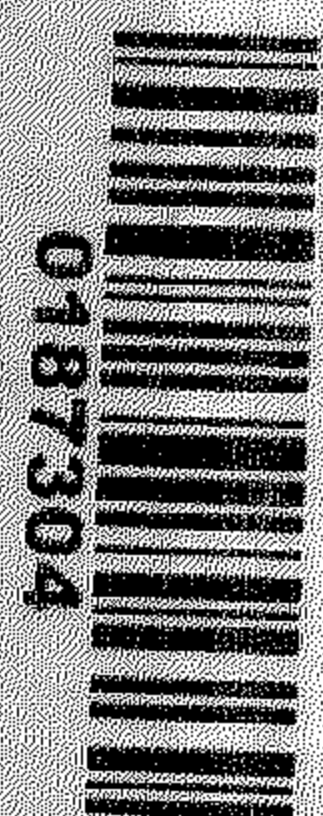
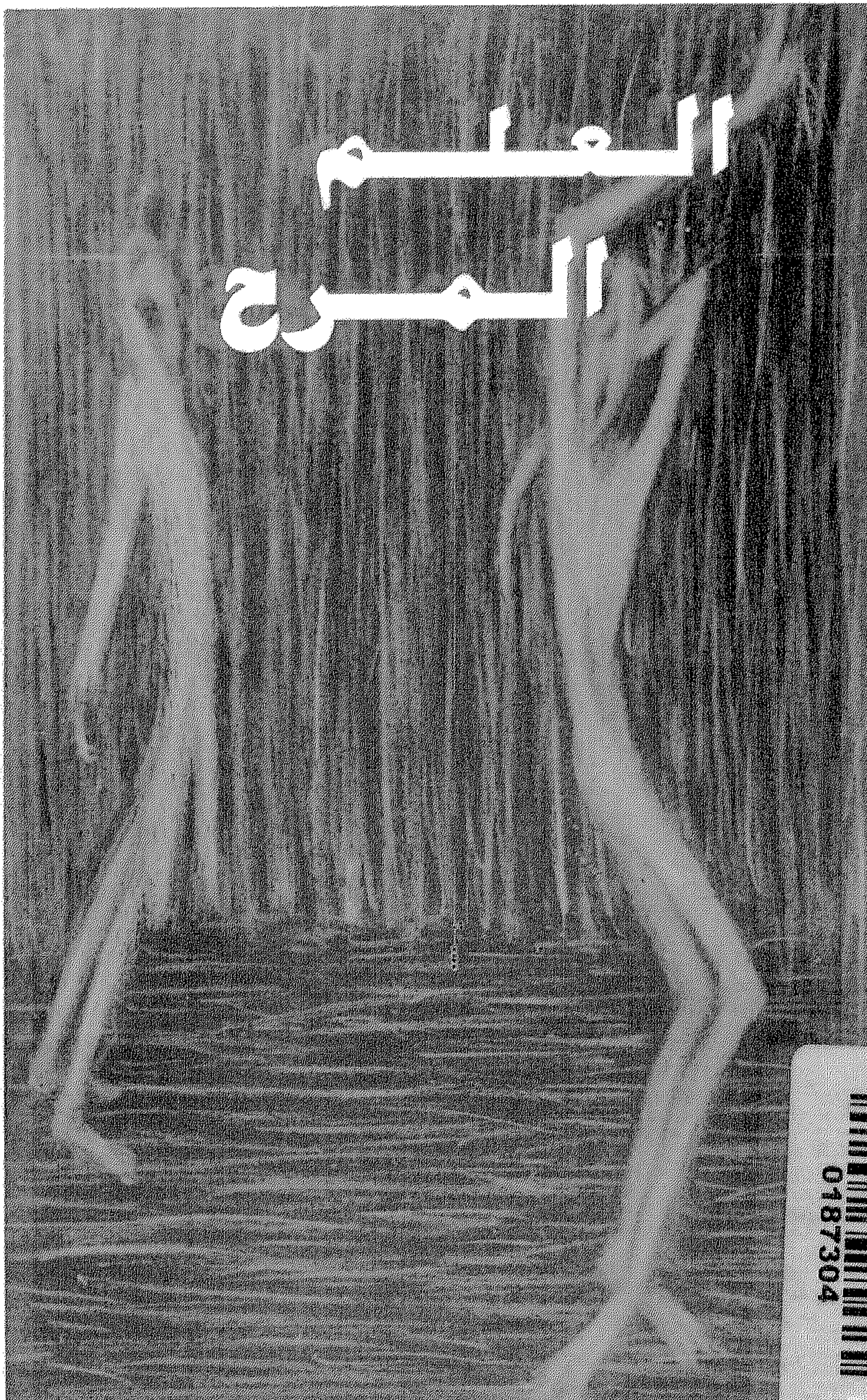


نيتشه - NIETSCHE

العلم المرج



0187304

Bibliotheca Alexandrina

ترجمة و تقديم حسان بورقية - محمد الناجي

أفريقيا الشرق

إِلْعَلِّمِ الْمَرْحُومَ

© أفريقيا الشرق 1993

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى


رقم الابداع القانوني : 1993 / 892

ردمك : 4 - 007 - 25 - 9981

نيتشه - NIETSCHE

العلم المرح

ترجمة و تقديم حسان بورقية - محمد الناجي

افريقيا الشرق 

هذه الترجمة مرفوعة إلى روح الوالدين ،
وسائر الأصدقاء . . .

بهاء اللايقين

... بمثابة تقديم

(تقاطعات الـ «مرأة» ، الـ «حقيقة» ، الـ «حياة والاسلوب») .

-1-

«بينما كنت أسير (. . .) التقيتُ بعجوز ناجتني قائلة :

- لقد كلمنا زرادشت مرارا نحن النساء ، ولكنه لم يتكلم عنا مرة واحدة !

قلت لها : يجب ألا يتكلم الرجل أمامي عن النساء إلا للرجال فقط فقالت : -
لك أن تتكلم أمامي عن النساء لأنني بلغت من العمر أرذله (. . .) ، قبلتُ
الرجاء . . . فقلت لها : كل ما في المرأة لغز ، وليس لهذا اللغز إلا مفتاح واحد ،
وهو كلمة «الحبل» . . . إن الرجل الحقيقي يطلب أمرين : المخاطرة واللعب ،
وذلك ما يدعو إلى طلب المرأة ، فهي أخطر الألعاب . . .

عندئذ قالت العجوز (. . .) والان اصغ إلي . . . فإني سأعلن لك حقيقة
صغيرة . . . : إذا ما ذهبت إلى النساء ، فلا تنس السوط» (1)

-2-

في نص آخر ، بعيد (2) ، يقول مخاطبا الحياة في نهاية المقطع الأول :

«لقد تعبْتُ من رعايتك والسير وراءك ، أيتها الساحرة ، لقد أسمعْتُك أغاني
حتى الآن ، فلسوف تسمعيني صراخك ، هيا : أرقصي على نقرات سوطي ،
ألهبك به ، فإنني ما نسيته» .

-3-

تنقص بعض النصوص ليكتمل أمرُ العلاقة بين المرأة ، الحياة ، الحقيقة والأسلوب . . . ذلك أن كل نصوص نيتشه قيل - من بين ما قيل إليه - إلى هذه العلاقة . لنستمع إليه إذن :

«لقد حدّقت يوماً في عينيك أيتها الحياة ، فحسبّني هويت إلى غورٍ بعيد القرار، غير أنك سحبتي بشباك من ذهب ، وأطلقت قهقهة ساخرة عندما قلت إن غورك لا قرار له . وأجبتني : هذا ما تقوله الأسماك جميعاً ، فهي إذ تعجز عن سبر الأغوار تحسبها لا قرار لها . وهل أنا إلا المتقلبة النفور ؟ وهل أنا إلا امرأة ، وامرأة لا فضيلة لها ؟ لقد تقول الناس كثيراً عن صفاتي ، وأجمعوا على أنني غير المتناهية ، المليئة بالأسرار . . . إن للحكمة عيني الحياة ولها ابتسامتها ، بل لها أيضاً شباكها المذهب . . . وعندما سألتني الحياة عن الحكمة ، أجبتها : هي الحكمة يشتهيها الإنسان بكل قوته ولا يشبع منها . فهو يحدّق فيها ، ليتبين وجهها من وراء القناع ، متسائلاً عن جمالها وما يدره ما هو هذا الجمال . . . ولكم رأيها تعض على شفّتها وتسرح شعرها ، ولعلها شريرة مخادعة ، بل لعل لها صفات المرأة بأجمعها . فهي لا تبلغ أبعد مداها في اجتذاب القلوب إلا عندما تهجر ذاتها .

وبعد أن قلت هذا عن الحكمة للحياة ، مرّت على شفّتها ابتسامة شريرة وغيّضت مني قائلة : - عمّن تتكلم ؟ . . . لعلك تتكلم عني أنا . . . » (4)

-4-

إذا افترضنا - مع نيتشه - أن الحقيقة امرأة ، ألم نكن لنشكّ في أن كل الفلاسفة ، في نطاق كونهم دوغمائيين ، قد أساءوا فهم النساء ؟ وأن الجدية المرعبة ، الفضول الأخرق الذي تابعوا به الحقيقة ، حتى الآن ، لم يكونا سوى وسائل غير موفقة وغير لائقة ليتزوجوا بنتاً ، عبارة حقيرة : بنت سهلة (5) . وفي " العلم المرح " يبقى الفرق صارخاً بين العجوز ، المرأة والبنت . الحياة إذن تفيض بأشياء جميلة ، لكنها تعوزها اللحظات الجميلة والإظهار الجميل لأشياء ممائلة . «لكن ربما كان ذلك هو سحر الحياة الأكثر فعالية : إنها مغطاة بحجاب منسوج من ذهب ، حجاب إمكانيات جميلة يمنحها مظهراً واعداً ، صموتاً ، محتشماً ، سخرية ، محناً ، مفتناً ؛ أجل ، إن الحياة امرأة» (6)

لهذا توضع في كتابة نيتشه كلمة « الحقيقة » بين مزدوجتين . . . المرأة تعني الشكوكية والمواربة المحجبة ، كما الكتابة (الشذرة 64 من العلم المرح) . الـ « حقيقة » لم تكن إلا سطحاً ولن تصبح حقيقة عميقة ، خاماً ، مشتهاة ، إلا بفعل القناع : الذي يقع عليها . حقيقة غير معلقة بمزدوجتين ، والتي تخفي السطح بحركة احتشام . . . يكفي أن نسقط القناع أو أن نتركه يقع بطريقة أخرى ، لكي لا تكون هناك حقيقة أبداً ، أو على الأقل ، لكي لا تكون هناك « حقيقة » .

-5-

المرأة (الحقيقة) لا تستسلم

بمجرد ما تمزق قناع الخجل أو الحقيقة الذي أردنا أن نغلفها به ، للاحتفاظ بها « في أكبر جهل ممكن بالإيروسي » لن تكون لشكوكيتها تخوم . لنقرأ عن العفة النسائية (الشذرة 71) لنعرف أين « ترسخ قصارى فلسفة وشكوكية المرأة » . إذ في هذا الفراغ تلقي مرساتها بين : « الحب والحشمة » « التعايش اللامعقول للإله والحيوان » ، « حل اللغز » و « لغز الحل » . . .

-6-

« هل تستطيع المرأة أن تأخذنا (أو كما نقول أن « تفتن » نا) من حيث لا ندري ، عند اللزوم ، هل تعرف كيف تستعمل الخنجر (أي نوع من الخناجر) ضدنا ؟ أو ضد نفسها هي : ذاك ما يكون في حالات معينة انتقاماً أكثر حساسية (الانتقام الصيني) » (7)

ترادف الفتنة باستعمال الخنجر باعتباره شكلاً يحيل على ما هو جنسي (يدخل باب الغواية) ومن حيث شكله يشبه القلم ، قلم الكتابة . . . أسلوب الفتنة : أسلوب حاد ، مهمّز ، أداة طويلة ، متطاولة ، وسلاح للزينة مثلما هو ثاقب ، سنان يحوز قوته -بلغة دريدا- من الأقمشة ، من الستارات التي تتوتر ، تطوى وتبسط حوله ، إنه بعبارة أخرى « نسيت مظلتي » (8) . ويُصح بأن لا تُنسى هذه العبارة . . . كلها تميل إذن إلى شكل واحد : كونها حادة ، نواجه بها الغير في لحظة عنف ، كخنجر ، نعلم بها ، نرسم العلامات ، نترك بصمة أو شكلاً معيناً ، وبها كذلك ندفع خطراً ، نقصيه إلى بعد ، إلى مسافة . . .

-7-

في الشذرة (6) من " العلم المرح " التي تحمل عنوان «النساء وتأثيرهن البعيد» يقول «أما تزال لي أذنان ؟ أأست بعد سوى أذن ولا شيء عدا ذلك ؟ (- وما أسئلة نيتشه هنا - يقول دريدا ، سوى أسئلة امرأة بالخصوص . . . الأسئلة التي تلتف في متاهة أذن -) في وسط اضطرام ارتداد الأمواج حيث تتدفق ردة اللهب المزبدة حتى قدمي - ليس [اللهب] سوى عويل ، وعيد ، وزعيق تهاجمني ، بينما رجّة الأرض القديمة في كهفها الأكثر عمقا تغني بلا رنين لحنها كثور خائر : أثناء ذلك بقدمها الرّاجّ تعين نغما كما يهتز قلب شياطين هذه الصخور المفتتة . حينئذ عند أبواب هذه المتاهة الجهنمية كأنه تدفق من العدم ، بعيد بياعين فقط ، يظهر مركب شراعي عظيم يعبر بانسياب شبحي صامت . أيها الجمال الشبحي ؟ أي سحر لا يمارسه علي ؟ ماذا ؟ أينقل هذا الزورق الصغير راحة العالم الصّموت ؟ أترسو غبطتي الخاصة هناك . في ذلك المكان الهاديء ، أناي أكثر حظا ، وأناي الثانية نفسها مخلدة ؟ لم أمت بعد على أي الآن لست حيا ؟ منزلقا وعائما ، أكون وسيطا ، شبحيا ، صامتا ورائيا ؟ شبيها بالمركب الذي يحوم بأشرعته البيضاء فوق البحر ، كفراشة عملاقة ؟ آه ، أن نحلق فوق الكائنات كلها ! هو ذاك ، هو ذاك ما يلزم ! - أأكون هذه الضجة إذن قد صيرتني غريب الأطوار ؟ إن كل هيجان يرفعنا لتخيل الغبطة في السكون والمكان النائي . حينما يجد الإنسان ، الذي كان مرتعا لضجته الخاصة ، نفسه في وسط ارتداد أمواج «انبجاسات» له ومقاصده : سيرى على الأرجح حينئذ كائنات ساحرة وصامتة تنساب أمامه أيضا ، حيث يتمنى الغبطة والعزلة - وهذه الكائنات هي النساء . . . إن أقوى سحر النساء هو أن نعرف به إلى مسافة بعيدة ، وحتى نتكلم لغة الفلاسفة ، إنه الفعل عن بعد : لكن لبلوغ ذلك يجب أولا وقبل كل شيء بعض المسافة ؟»

فيما بين النساء لا توجد الـ «حقيقة» لأن مجرد معرفتها انتهاك لكل أغراضهن (9) . المرأة ليست حتى مسطحة وتعتبر عميقة «لأننا فيها ، لا نلامس العمق أبدا» (10) ، هو ذا لغز الاقتراب المحجوب ، وإذا كانت المرأة التي تتهرب هي تلك التي لا فضائل ذكورية لها ، «هي التي تخفي» ، فإن البعد يضاعف ، ما أسماه نيتشه بلغة الإغريق : *actio in distans* ، يُمسي ، باستعمال هايدغر ، البعد مبتعدا ، أو يتباعد البعد ، يفتح في الانزياح ليفسح المجال للـ «حقيقة» ، ولـ «مرأة» لكي تتباعد عن نفسها . وبما أن الأمر كذلك فإنه لا حقيقة للمرأة ، لأنها

تبتعد عن نفسها . الـ «مرأة» اسم للا حقيقة الحقيقة هاته (11) ، كما لو أن كل شيء يجري في نهر الشعر .

-8-

حيثما يكون أسلوب ما ، يجب أن يكون متعددًا . . . والكائن بحاجة إلى التحول في «الأسلوب» ، لأنه لا وجود أبدًا لـ : الأسلوب ، الظاهر ، المرأة (. . .) لكي يحدث الظاهر ، يجب أن نكتب في الانزياح بين العديد من الأساليب . إذا كان هناك من أسلوب فسيكون ذاك ما توحى به إلينا امرأة نيتشه . يجب أن يكون أكثر من واحد . حافتنا حيزوم على الأقل ، ذاك هو الاستحقاق ، بينهما الهوة حيث نُلقى ، نخاطر ، نضيق المرساة ربما (12) . مؤكد - ونيتشه لا يغفل ذلك - أن قوانين الأسلوب تدخل انزياحا ، تخلق المسافة ، ولا تسمح للزائر الأول «بالنفاذ» إلى الفكر . وبها يمكن لـ «كاتب» ما ، في الآن ذاته ، أن يفهم وأن ينفلت من كل فهم - أن يتحفظ وأن يقدم نفسه بانتقاء لفظة أولئك الذين ، دون أن يرفعوا الحجاب ، يعرفون كيف يقرأون «بطرف العين» وكما بطريقة مباشرة ، في الهامش (13) ، «ألا نكتب بالضبط ، يقول نيتشه بسخرية ، لكي نستر ما نخفيه بداخلنا ؟» والفكرة الكبيرة لكي تنقل لا تحتاج لفضاء واسع ، بل في الغالب الأعم لا تنقل إلا في خفايا جملة ، وكما في الهامش (هايدغر) .

-9-

«عندما نعشق امرأة [نحن الفنانون] ، . . . يوحى إلينا الطيف وقوة الخيال . وها نحن نرتقي بتيقظ المسالك الأكثر خطورة ، غير آبهين بكل مخاطرة ، على السطوح ، على الأجراف ، وعلى أبراج التخيل دون أدنى دوار ، للتسلق خلقنا - نحن متسر نمو النهار ! نحن الفنانون ! نحن كاتمو الطبيعة ! نحن غريبو الأطوار والباحثون عن الإله ! نحن المسافرون إلى صمت الموت ، المسافرون الجلد على أعالي لا نحسبها كذلك ، نعتبرها سهولنا ، [نعتبرها] يقينياتنا . » (14) في هذا التحليق إلى الأعالي ، فوق الكل وكل الأشياء ، في مناطق الرياح القوية ، قريبا من النور والثلج والشمس ، تكمن اللذة المؤلمة ، الشغف بالصدق المطلق : منطقة المخاطرة المميتة ، حيث يتفوق الإنسان على الإنسان الذي كانه . وما قلب السعادة سوى تجسيد للغوص في كل شيء ، في كل اتجاه : فما أكثر المجاهل والخفايا . تلك صورة تقريبية للمقامرة بكل شيء ، ليصبح المجهول واللايقيني في الإنسان هو ما يحدد

آماله العظيمة : نشوة اللامعنى باعتباره موطن الانتشاء والرقص . إن سؤال الـ «حقيقة» سيظل باستمرار سؤال الـ «مرأة» لديه ، لأن «الرجل الحقيقي يطلب أمرين : المخاطرة واللعب ، وذلك ما يدعوه إلى طلب المرأة ، فهي أخطر الألعاب» ، خاصة وأن كتاباته تغطي مجموع مساحة السؤال : «منذ الأصل ، لا شيء أكثر غرابة ، تناقضا ، عداوة للمرأة من الحقيقة - فنَّها الكبير هو الكذب ، وشرطها الأكبر هو الظاهر والجمال» .

- 10 -

لنعد الآن إلى جملة : «لقد نسيت مظلتي» يذهب دريدا إلى أنها رابط مؤجل للإخصاء : ليس لحقيقة الإخصاء التي لا تؤمن بها المرأة ، لا ولا للحقيقة كإخصاء ، ولا الحقيقة - الإخصاء . نسيان المظلة ، نسيان لشكل ما ، ومثلما له ما يحدده ، له كذلك فعله ، غير أن هذا الفعل نُسي الآن ، فبقي مفعوله فقط . أي لم يتم الإخصاء فعلا . لا وجود إذن لحقيقة - إخصاء . هذه القضية ، قضية رجل صرفة . إنها الإنشغال الذكوري الذي لم يَبَل كما ينبغي ، لم يُسْتَر كما ينبغي ، والذي ، في سذاجته ، في غباوته (الجنسية دائما ، التي تمنح بالمناسبة لنفسها تمثيل السلطة الخبيرة) يُخصي نفسه برشح طعم الحقيقة - الإخصاء (ربما كان يجب هنا أن نسأل الانتشار المجازي للحجاب ، للحقيقة التي تتحدث ، للإخصاء وللامتلاك القضيب في خطاب جاك لاكان J. Lacan ، مثلا) .

بعد الآن ، لا تؤمن المرأة بالضد الصريح للإخصاء ، إنها أكثر مكرراً من ذلك وتعلم بأن قلبا ممثالا سيجردها من كل إمكانية ظاهر ، لتصبح مريدا مهذبا للسيد (المعلم) . في حين أن الـ «مرأة» بحاجة كذلك إلى مفعول الإخصاء ، والذي بدونها لا تستطيع أن تفتن ولا أن تشهر رغبتها . وكل ما يلعب له صورة الـ «مرأة» .

-11-

«لقد نسيت مظلتي» ، معناه : أن ترث جمالية ذكوريةً جماليةً أنثويةً ، أي أن تحلَّ جمالية المنتجين محل جمالية المستهلكين : السليبيين والمستقبليين . شذرة «الأمهات» تحيل على ذلك : إن الحمل قد صيّر النساء حنونات أكثر ، صبورات أكثر ، هلوغات أكثر (. . .) وكذلك الحمل الفكري ينمّي طبع محبّي التأمل ، حليفي الطبع الأمومي : أولئك أمهات ذكورية ، وعند الحيوانات يُعرف الجنس المذكر بالجنس اللطيف» . (15)

يذكر هايدغر في تحليله الشذرة التالية «كانت جماليتنا أنثوية ، في هذا المعنى حيث وحدها الأمزجة المستقبلية للفن قد شكّلت تجربتها حول «ماهو الجميل؟» في مجموع الفلسفة حتى يومنا هذا ، تغيب الفنان» . بشكل آخر ، حتى الآن في مقابل الفن يكون فيلسوف الفن ، والذي يكون دائما سابقا للفن ، لا يلمسه ؛ الذي في حالات معينة يخال نفسه فنانا ومنتجًا للآثار الفنية بينما يكتفي بالحديث عن الفن . يكون هذا الفيلسوف امرأة : امرأة عاقر طبعًا ، وليس أمًا ذكورية . إزاء الفن يبقى الفيلسوف الدغمائي ، الممالق الأرعن كعالم من الدرجة الثانية ، كالعنّين ، كعانس (16) .

-12-

المنتج إذن : أم ذكورية ، لأنها يتقاطعان - هو والمرأة- في علاقة الحمل . ومن خلال أغلب أعماله ، يبدو نيتشه ، دون سابق ، مفكر الحمل ، الحمل الذي لا يمتدحه لدى الرجل أقل من المرأة . في «العلم المرح» يقول : «إن الحيوانات تتصور الإناث ، بخلاف [ما يتصوره] الرجل [عليهن] : الأنثى بالنسبة إليها قيمتها في طبيعتها الإنتاجية . لا وجود عندها [أي الحيوانات] لحب أبوي ، هناك شيء يشبه الحب الذي نكنّه لأبناء العشيقة ، والطريقة التي نتعود عليها في ذلك . تجد الإناث في صغارهن إشباعا لرغبتهم في السيطرة ، ملكية ما ، انشغالا ما ، شيئًا واضحًا بالنسبة إليهن تماما ، يمكن أن نثرثر معه : كل هذا يكون الحب الأمومي ، مثل حب الفنان لأثره . إن الحمل قدصير النساء حنونات أكثر» . . . (17) مثلما يذهب إلى أن «صورة الأم تحدد إذن سمات المرأة . . . كل رجل يحمل صورة عن المرأة ، تعود إلى أمه : إنها هي التي تحته على احترام النساء بصفة عامة أو على احتقارهن ، أو على ألا يحسّ إزاءهن إلا بعدم الاكتراث» (18) . أما في «هكذا تكلم زرادشت» : كل ما في المرأة لغز ، وليس لهذا اللغز إلا مفتاح واحد ، وهو كلمة الحمل» (19) .

-11-

الكذب إذن هو فن المرأة الكبير ، لأن «من لا يعرف أن يكذب لا يعرف ماهية الحقيقة ولا كيفيتها . . . إن في أنايتكم أيها المبدعون ، حزم الحبل ومحاذرتها» . . . هذا بعض سمة رسم نيتشه «للإنسان المتفوق» في كتابه الذي بشر به ثمانية عشر شهرا التي كان فيها يؤلف «العلم المرح» وليس من المدهش إذن أن نعثر في هذا الأخير ، باعتراف من المؤلف نفسه على مئة مؤشر تعلن دنو شيء لا يقارن» (20) ،

كتاب «العلم المرح» تحضير للنظريات الكبيرة مثل «العودة الأبدية» ، «إرادة القوة» «الإنسان المتفوق» . . . وغيرها . والكتاب كما هو معروف شيء للسخرية من الحقائق التي يعتبرها بالية كالقيم التي تدعمها ، والتي إذا انتصرت مرة هنالك «فتساءلوا بكل ارتياب عن الضلال الذي دافع عنها فأولاه انتصارها» ، شأن حقائق العلماء التي ينصح بالحذر منها لأن أصحابها لعلسة عقمهم يكرهون الراقين . «وعيونهم باردة جافة لا تلقي نورها على طير حتى تعريه من ريشه ، إنهم يباهون بامتناعهم عن الكذب ، فاحذروا من هذه المباهاة لأن المجال بعيد بين من عجز عن الإتيان بالكذب ومن أحب الحقيقة» (21)

- 10 -

عندما يسقط القناع تتداعى الاحتمالات ، احتمالات لعبة النرد . لأن القناع ضيق بالحقيقة الواحدة ، واختراق للمعنى الأوحده ، وفتح لما أسماه هولدرلين بنشوة الكلام في اللامعنى . المرأة إذن في هذا السياق ، وما سبقه ، زرع للـ «فوضى» في اليقين ، في الاعتقاد الساذج ، لأن المرأة «فنانة تماما» وأسئلة الفن ، الأسلوب ، الحقيقة ، الحياة ، لا تبرح المرأة ككائن للتأمل - لأن القناع - أي الكذب بالمعنى التشي - إبعاد للمعنى المبعده أصلا ، سؤال حول السؤال . وفي ذلك ، كما في الرقص واللعب ، تحديد لمعنى من معاني العلم المرح . لأن هناك نساء ليست هن ، أينما بحثنا لديهن ، حقيقة باطنية ، لكنهن مجرد أقنعة . الرجل الجدير بالشفقة ، من يرتبط بهاته الكائنات الشبه شبحية ، الخداعة بالضرورة ، لكن القادرة بالضبط على بعث رغبة الرجل أشد ما يمكن : يمضي باحثا . . . وأبدا لا يكف عن البحث (22)

- 9 -

العلم المرح ؟ : تعلّم إجادة اللعب والتحدي . «وهل نحن في الحياة إلا جلّاس مائدة كبرى للسخرية والمقامرة ؟ . . . إن أعظم ما ارتكب في العالم من أخطاء هو من قول القائل : «ويل للضحاكين في هذه الدنيا» فإن من جاء بهذا الإنذار قد قصّر في التفتيش فما وجد على الأرض شيئا يستحق الضحك في حين أن الأطفال يجدون ما يضحكهم (. . .)

. . . فانظر إلى خطواتي تدرك حالي ، وإذا رأيتني راقصا فاعلم أنني اقتربت من هدي . . . إن بين طلاب السعادة حيوانات ضخمة ثقلت حركتها ، وبينهم من ولد كسيحاً ، فمثل هؤلاء يجاربون الرشاقة كالفيل يجرب أن ينتصب على قمة رأسه .

غير أن المجانين بالسعادة خير ممن يجنون بالشقاء ، والراقص متثاقلا ، أفضل ممن يتعارج في مشيته . . فتعلموا أيها الراقون أن تقفوا سويا على أقدامكم . . .

أيها الرجال الراقون ، إن شرّ ما فيكم هو أنكم لم تتعلموا الرقص على أصوله لتتوصلوا إلى الانطلاق بخطواتكم فوق رؤوسكم ، وما يضيركم ألا توفقوا إذا حاولتم . . إن الممكنات كثيرة ، أيها الراقون ، فتعودوا أن تضحكوا ولو على ضحككم فوق رؤوسكم . ارفعوا قلوبكم أيها الراقصون المجيدون ولا تنسوا أن تضحكوا ضحكا جميلا» (23) .

-8-

العلم المرح : فن وضع قبعة البهلوان ، رقصة " العارف " الخاصة ، بل تأجيل الرقصة الأرضية ، منا يُسمح له بالاندراج بين «مديري أعياد الوجود» . تعهد دوام الحلم . إنه الفن الذي يمنح الانسان أعينا وآذانا للنظر والسمع بشيء من الحبور إلى ما يكونه هو في حد ذاته ، ما يحس به هو ما يريده هو كإحساس وإرادة فعالتين . إنه كل منا «علم» الناس العاديين كيف يحترمون البطل المتخفي في كل واحد منهم ، علمهم فن اعتبار أنفسهم كأبطال - كي يتجاوزوا أنفسهم باستمرار . العلم المرح هو روعة الإحساس بالعيب الذي يُشعر بعدم التفوق بعد في قول كل مانريد - ومن «نحن» هاته ؟ - أن نعبر عنه . . . (المرأة ؟ الفنان ؟ الشاعر ؟ الكوميدي ؟) رواد المسافة التي تُستمد منها البلاغة التي لا تقل هوّلاً في التوق والشراسة ، والتي بها يُمنح المنشدون أجنحة ، ليمسوا هم أنفسهم شعراء ورّائين .

العلم المرح إذن صورة مجازية للهب ، للجنون الساخر . . . حيث تفقد الحقيقة - التي كانت - بهاءها ، ولن يُنظر إليها بعد على أنها كذلك ؛ لن تعود قادرة على شدّ المرح - كراقٍ - إليها . . . لشدّ ما تسمي لحظتها قصيرة ، ولشدّ ما " عاداته " أقصر ، إذ يستهويه المروق كالسهم إلى الضفة الثانية ، لأن ما يتركه يصبح فحماً ، لأن نفسه تفيض «حتى يسهو عن ذاته ، إذ تحتله جميع الأشياء ، فيضمحل فيها ويغنى بها» . . . ففي كل رجل حقيقي يتخفى طفل يتوق إلى اللعب ، خاصة وأن كلّ ما هو عميق يحب القناع» .

-7-

ثم ألم يقل هيراقليط : «الشعراء يكذبون كثيراً» ؟ والذي قال «دون الإيقاع لم نكن شيئاً ، وبالإيقاع كدنا نمسي إلها . . . هل هناك شيء أكثر إثارة من أن نرى الفلاسفة الأكثر رصانة ، الأشد صرامة عادة فيما يتعلق باليقين ، يرجعون دائماً في ذلك إلى حكم شعري ، لمنح أفكارهم متانة وقابلية للتصديق ؟ ومع ذلك أليس أكثر إلزاماً على حقيقة ما أن يمنحها شاعر تصديقها ، على أن يخالفها ؟» (24)

وفي مكان آخر (25) : «انظر الى صغار الناس ، وأخص منهم الشعراء بأي بيان يشكون الدهر وتصاريفه . وإذا ما أصغيت إلى هذا الأنين الشاكي فلا يفوتك أن تنصت لنبرات اللذة في كل شكوى .

إن الحياة تقول لمن يشكو وهي تتحكم فيه بغمرة من عينيها : إنك عاشقي ، فانتظرنى لحظة لتفرغ لك» .

الارتباط بين الشعر والكذب في أعمال نيتشه يجوهر بشكل آخر العلاقة بين الأسلوب وال«حقيقة» ، خاصة وأن الرمز الشعري هو ما يمكن أن يقدم شكلها ، لأنه نوع آخر من الأقنعة المتعددة الألوان : قناع القناع وغنيمة الفجيعة . فالشعر تطهير من عفن اليقين ، المنطق والعقل ، لأن الكلام بالاستعارة والتشبيه ، رفع لعقيرة القناع وركض على معابر البيان «الكاذب» تحت آفاق لا حقيقة لها ، تربُّ للتيه وقفز من نوافذ المساكن التي تزكم بالحقيقة الواحدة . وما شهوة الشاعر إلا شهوة ديونيزوس المقنعة بألف قناع . «أجل لقد جنحت فيها مضى جنوح الهلال هارباً من جنون الحقيقة وشهوة النور ، تعبت من النهار ومن أضوائه فانحدرت عليلاً نحو المغرب إلى مطارح الظلام ، وقد أحرقتني الحقيقة بشعارها (. . .) مالي وللحقائق جميعها ، سحقاً لها ، ما أنا إلا مجنون ، ما أنا إلا شاعر» (26) . يكون البيان عديم الجدوى كلما لم تستدع حقيقةً قهقهةً وكلما مرّ يوم دون رقص ، ولو مرة واحدة .

هل كان ليتحمل الحياة أو ليتحمل أن يكون إنساناً ، لو أن الإنسان لم يكن شاعراً محللاً للأسرار ؟ وليس محولاً بحوره إلى إمكانيات للأشباح لكي تعزو تفاعيله . . . الأحرى إدراك القوى الكافية في النبرات ، للتكلم «إلى مسافات بعيدة من مسافات أبعد بالوزن الإيقاعي» : محرر الطاقات والأهواء . . . «لكم اتبعث الحقيقة

. . فرجعت إليّ لتصفعني على وجهي ، وما لمست الحقيقة حين لمستها إلا عندما كان يلوح لي أنني أقول الكذب» (27)

-6-

ولأن المرح عند اشتداد الألم يتجاوز الألم شدة وعمقاً ، فإن الإنسان التراجيدي - كما يراه هنا- ليس كائنًا مأساويًا ، مرهقًا أو متشائمًا بل بالأحرى كائنًا مشحونًا بفتنة تجربة الأفاصي ، التجربة التي يتأخّم فيها الألم الملدّ ، واللذة المؤلمة ، الشعور بالقوة الطافحة ، والفيض الظافر بالانتشاء ، وبإيجاز ، ما يصطلح عليه هو بـ "العافية الكبرى" أو الصحة الريّانة : حيث الوصول إلى هدف جديد ، يرادف الحاجة إلى صحة جديدة : إذ يقف الإنسان «على مرأى أرض غير مكتشفة ، لم يجد حدودها أحد بعد» (. . .) على مرأى عالم فيه وفرة كبيرة من الأشياء الجميلة ، الغريبة ، المريبة ، المرعبة والرائعة ، بحيث أن فضولنا ، مثله مثل تعطشنا لامتلاك قد أثرا بذلك - أوه ! حتى أنه لا شيء منذ الآن سيشبعنا ! بعد مثل هاته المنظورات ، وبمثل هذا الجوع النهم في الشعور وفي المعرفة ، كيف سيمكننا أن نكتفي بالإنسان الحالي ؟ (28)

بلغة جيل دولوز ، فإن ديونيزوس يقرّ بكل ما يظهر (من الظاهر) «حتى الألم اللاذع بإفراط» وبما يظهر في كل ما تمّ إقراره (29) . الإقرار المتنوع هو ذا جوهر الكائن التراجيدي : كل شيء يمكن أن يضحى موضوع إقرار ، موضوع مرح . يكفي أن نعرف الوسائل الخاصة التي بها أقرّ ، حتى لا يتداخل فيها الفعل بالارتكاسي صفة «تراجيدي» تعين الشكل الجمالي للمرح ، ليست وُصفة طيبة أو حلاً أخلاقياً للألم ، للخوف أو للشفقة . «الإنسان التراجيدي» بطلٌ مريحٌ ، وفي كتاب «إرادة القوة» يعرفه بالبطل الخفيف ، البطل الراقص ، البطل اللاعب ؛ ومهمة ديونيزوس هي أن يصيرنا خفيفين ، أن يعلمنا الرقص ، أن يكسبنا غريزة اللعب (30) .

-5-

كعلم مريح ، ليس الفكر المستتر- المجازي ، فكراً فنياً فحسب ، بل فكر قناع وظاهر ، فكرٌ سخرية وباروديا : هو بعبارة أخرى ، فكر لا قعر له ولا قرار ، يحل ويتشذر فوق الهوة وحين تكون فاتحة كل شيء بالقناع وبالخيال المجازي ، «لا

يكون هناك شيء ، لاشيء في الواقع ، لوجود لحقيقة الكينونة . لقد بُعِدَت الكينونة مسبقا ، وسقطت في هذه الرحابة الفاغرة : " النسيان الفعّال " (31)

وبعد ، ماذا يمكن أن يكون هذا العلم المرح ؟ أليس قلب العبارة الغريب هذا . هذا التناقض الذي لا ينحل ، هذه الدائرة التي يستحيل رسمها ، حيث سيُحاذي الوُضوح النسيان الأعَمَق ؟ : السقوط إلى الأعَمَق ، إلى الأسفل . . .

كيف تتم هاته التجربة ؟ «إنها نشوة إذ تعزّي روحنا المتوترة بإفراط نفسها أحيانا بسيل من الدموع . . . إنها فيض من السعادة حيث لم يعد الألم الأقصى والرعب يُكابِدان كتنقيض أبدا بل كأجزاء مكملة ولا غنى عنها ، كفارق ضروري وسط محيط الضياء هذا ، إنها غريزة الإيقاع التي تكتنف عالم أشكال بكامله . . . كل هذا يحدث دون أن يكون لحريتنا أي نصيب فيه ، بينما نُجذِبُ ، كما في دُرْدُورٍ ، بإحساس طافح بالنشوة ، بالحرية ، بالسيادة ، بالقدرة على كل شيء . . . » (32)

-4-

القصيدة والمثل هما تعبيرا نيتشه المجازيان ، غير أن لهما ارتباطا ممكن التحديد بالفلسفة . إن المثل إذا تأملناه شكليا يبدو كشذرة ، إنه شكل الفكر المتعدد ، وفي محتواه ينوي قول وصياغة معنى ما . معنى كائن ، فعل ، شيء ما ، هذا هو موضوع المثل . ورغم إعجابه بالكتاب الحكميين فإن نيتشه يدرك جيدا ما ينقص الحكمة كنوع : كونها لا تصلح إلا للكشف عن الأجسام المتحركة لذلك لا تستند عموما إلا على الظواهر الإنسانية . والحال أن بالنسبة لنيتشه ، حتى الأجسام المتحركة الأكثر خفاء ليست مظهرا مؤنسنا للأشياء فحسب ، مظهرا سطحيًا للنشاط الإنساني . وحده المثل يقدر على قول المعنى ، المثل هو التأويل وفن التأويل . كذلك القصيدة هي التخمين وفن التخمين : تقول المدلولات . . . وبالضبط مدلول ومعنى المفاهيم المركبة جدًا ، حيث يلزم أن نُخَمِّن القصيدة نفسها ويؤوّل المثل . هما إذن بدورهما موضوعان لتأويل معين ، لتخمين ما . . . ومن جهة التعددية يحيل معنى ما على العنصر التفاضلي الذي يشتق منه معناه ، كما تحيل القيم على العنصر التفاضلي الذي تشتق قيمتها منه . هذا العنصر ، الحاضر دائما ، لكن المضمّر والخفي دائما كذلك في القصيدة وفي المثل ، يشبه البعد الثاني للمعنى وللتخمينات . . . وبتطوير هذا العنصر ، وبالتطور فيه ، شكّلت الفلسفة في ارتباطها الأساسي بالقصيدة وبالمثل ، التأويل والتخمين التامّين ، أي فن التفكير ، ملكة التفكير العليا أو «فن الاجترار» . اجترار وعودة أبدية : معدّتان ليستا أكثر مما ينبغي للتفكير (33) .

واكب اهتمام هايدغر بالشعر الفترة التي تلت صدور كتابه «كينونة وزمن» (1927)، عندما بدأ يبحث قضية الكينونة في الشعر⁽³⁴⁾، إذ توصل إلى أن «الفلسفة لا تقبل في مستواها إلاّ «الشعر»» ، إذ أصبحت القصيدة تجربة ظاهراتية للحقيقة عبر الكلام الذي أصبح دار إقامة ، عالما لا يبرح ، لأن اللغة تتكلم وتتكلم عن ذاتها أولا ، قبل الشاعر . إن الشعر - يقول هايدغر - هو «التسمية المؤسسة للكينونة» ، ولجوهر الأشياء كلها - ليس قولاً اعتباطياً ، ولكنه ما ينكشف به كل ما نتجادله ، نباحته في الكلام اليومي . إن الشعر يلامس الأرض باللغة ، ويظهر اللغة كأرض ، كمستقر . وإذا استعرنا «فضاء اللغة الفيزيقي»⁽³⁵⁾ فإن القصيدة تبرز أولى للكلام الملفوظ (المنطوق في حالة الصفاء ؟) مثلما هي رؤية جديدة للحروف المكتوبة . إن القصيدة تُسمع وتُري ما تنطوي عليه اللغة . إن الكلام الشعري ، وقد جعل اللغة مسموعة ومرئية كما هي ، شأن قدرتها على الانفتاح ، لا يُظهر أصواتاً وعلامات فحسب ، بل البعد الجوهرى لإقامة الإنسان⁽³⁶⁾ ، لأن اللغة تضمّ مجال الإنسان وهو يقطن العالم ، على الأرض وتحت السماء⁽³⁷⁾ وأن يُجلي الشعر الأشياء وكأنها عادت لفجرها وليلاها وكأنها تُرى لأول مرة ، أمرٌ لا يعود لما يمنحه من «مبادرة للكلمات» (مالارمي) بل على الأصح لأنه يُعيد لها قدرتها على التجلي ، عبر الصور والنبرات ، ولا يرتبط الأمر بالشاعر ذاته لأنه يتكلم «على إثر» ما تقوله اللغة بشكل خفيض (ميشال هار) وجوهر الصور هو «أن تُظهر شيئاً ما . . . العالم اليومي ، لكن كعالم سرّي ، تبين الأمرئي⁽³⁸⁾ . . . لأنه لا وجود لشعر إلاّ انطلاقاً من اغتراب فكري ، من «ضيّق هو ضيق زمنه ووجوده الخاص» . . . نحن [الشعراء] نعود بشهواتنا إلى الأمور التي تتحدث عنها العجائز في السمر ونقول إن ما نبحت فيه إنما هو قضية المرأة الأبدية»⁽³⁹⁾

وإذا كان البحث عن الـ «مرأة» الأبدية ، بمثابة بحثٍ عن الـ «حقيقة» ، عن تعدد المعاني . . . فقد صدق هيراقليط . . .

-3-

يقول ميشال راي⁽⁴⁰⁾ : «ما تم اكتشافه ، في الآن ذاته ، تراتبية في المدلولات تحيل إلى «إرادة» حقيقة ، والتي وجدت سندها في مجموعة من «العلاقات البيانية» (إنه السؤال الجديد الذي توجهه الجينيالوجيا : من يتكلم «خلف» طبقات الـ «خير» ، الـ «شر» المزعومة هاته) إذ أمكن لإنسان أن يُعيّن نفسه بفعالية اندفاع نحو

تقديم مجازي ، فذلك بعد أن أصبحت مرموزة في فضاء بلاغة سمّت نفسها بالفلسفة ، والتي حمل الظاهر بداخلها قيمة جوهر بالإسم نفسه الـ «حقيقة» . كجواب أولي يمكن أن نعود إلى الشذرة 58 (لا يمكن أن ندمّر إلا باعتبارنا مبدعين) : «أي جنون كان سيكون في الزعم أنه يكفي إبطال هذا الأصل ، هذا القناع الضبابي من الهذيان لتدمير العالم الذي يعتبر أساسيا [لتدمير] الـ «الحقيقة المزعومة» ! وحدهم المبدعون قادرون على التدمير ! غير أنه لا يجب أن ننسى قط ما يلي : يكفي أن نبذع أسماء جديدة ، تقديرات ، احتمالات جديدة لنبدع على التهادي «أشياء» جديدة» . . . لأنه غالبا ما كان الأصل هم أولئك الذين أطلقوا الأسماء على الأشياء» (الشذرة 261) «وهل الأسماء إلا جلودًا» ؟

-2-

بهذا العمق يكون المفكر السابق لأوانه غير مقروء بعد ، يظل سوء تفاهم نتيجة إفراغه للمعنى الفارط أو الراهن وإخضاعه للـ «مطرقة» ، كتمفصل صارم للكتابة وللقراءة ، فلم تنج - رغم لا راهنتها - من الإقحام القسري في القراءة السياسية ، ولم تنج كذلك - ككل فلسفة عظيمة - من تجنب المصير الذي عدّها : تسهيلها ، إساءة استخدامها ، الخطّ من سمعتها ، الناجمة عن فهم خاص لفلسفته الحقيقية . هل «قرأنا» نيتشه حتى الآن ؟

لقد حبّا نيتشه كلمة الحياة رنين الذهب ، حسبما قال شيلر . مع العلم أن الألم الذي أنزلته به كان عظيما ، ربما كان ذلك من بين أدوات تأويله الجديد المرتبط بالـ «فزيولوجيا» لأن الفلسفة لم تستطع أن تحدث إلا «كتأويل للجسد وكسوء فهم له» (مقدمة العلم المرح) .

يقول أوجين فنك : « . . . ولعلنا لا نستطيع أخيرا أن نفهم نشيده للحياة المتوحشة في عنفوانها وللإنسان المتفوق وللصحة الريانة إلا انطلاقا من بؤس المريض وصنوف حرمانه . وتحديد صورة نيتشه تبعا لمظاهر خارجية في آثاره أكثر مما لنواة فلسفته» (44) إن انتهاءه إلى الكتاب البعدين (أو ما بعد الموت posthumes) ، الذين لا يفهمون كثيرا بالمقارنة مع الذين هم «ظلال» لعصرهم ، ربما كان ما يشد إليه أكثر ، لأنهم في كونهم يتأملون فقط ، ثمة تكمن سلطتهم . يقول : «إننا بعيدون عن أن نكون «ألمانين» بالمعنى الرائج اليوم لكلمة Deutch ، حتى نجعل من أنفسنا الناطقين باسم الوطنية والحقد العرقي ، حتى نبتهج بالعدوى الوطنية (. . .) . إننا

نحن الذين بلا وطن ، متنوعون ، ومختلطون فيما يخص الجنس والأصل باعتبارنا «ناسا عصريين» ، وبالتالي نادراً ما نعزى بالمشاركة في هاته المغالاة وفي خدعة الهيام بالذات العرقي هاته ، التي تعرض نفسها في ألمانيا كعلامة مميزة للمزايا الألمانية ، والتي لدى شعب «الحس المؤرخ» تعطي انطبعا مزدوجاً عن الزيف والوقاحة» (42).

وما معنى المعاصرة هنا سوى القدرة والاستعداد على التبدد ، ما تم تأويله خطأ في مقولة «الإنسان المتفوق» الذي تم بعيداً عن سياق "العودة الأبدية" : إرادة الحياة ، التي تميل إلى أن يخرج الإنسان عن مجرى الإنسان الراهن ، بتجاوزه المستمر لذاته ! ليس بالدخول فقط في غياهب المجهول ، بل في الضارب في القدم كذلك ، البحث عن إمكانية وشكل جديدين للحياة ، ليوفر الإنسان على نفسه «الغضب الصامت الذي سيحكم به عليه» . في شذرة «المبهمون» (371 من العلم المرح) ، يقول «الحقيقة هي أننا في نمو ، نخلع عنا قشوراً بالية في تغيير دائم ، نكتسب جلداً جديداً كل ربيع ، لا نفتأ نصير شباباً أكثر فأكثر ، نصير مستقبلين ، شاخين ، أقوياء ، نغرس جذورنا دائماً بقوة أكبر في الأعماق - في الشر - بينما في الوقت نفسه نعانق السماء دائماً بحب وسعة أكثر ، وبكل أغصاننا ، بكل أوراقنا نمتص ضوءها بتعطش . إننا ننمو مثل الأشجار ، مثل كل ما هو حي ، هذا ما يستعصي على الفهم - ولسنا ننمو في مكان واحد فقط ، لكن في كل مكان لا في اتجاه واحد بل بقدر ما ننمو إلى الأعلى ، إلى الخارج ، ننمو إلى الداخل وإلى الأسفل . . . » .

لذلك تقترن الإرادة عنده بالنسيان ، كل فعل يقتضي النسيان ، الذي لا تكون حياة بدون هذا الفن . وللنسيان هنا علاقة ليس بما هو ضد التذكر وسلطته كحقيقة وحيدة ، كامتلاء للمعنى والجواب المتوارث فحسب ، بل كذلك بمعنى «أن نحيا» بمعنى الـ «قتل» لإفراغ قيمة «الأب» ، فأن نحيا «-معناه : أن نلقي باستمرار بعيداً عنا شيئاً ما ينزع إلى الفناء ؛ أن نحيا معناه : أن نكون قساة وبلا رحمة بالنسبة بل ما هو ضعيف وبالي فينا ، وليس فينا فحسب» (43) .

-1-

بناء عليه ، هل يريد مريدين له ؟ مع العلم أن زرادشت لا يريد أن يعود إلا عندما يُجْحَدُ عكس الذين يبحثون عن أن يتضاعفوا بعشرات ، بمئات ، يبحث نيتشه عن أصفار . لأن المسألة كما يقول مسألة لياقة ووعي ، وللوعي «ينقص الآن طبيب الأسنان» ، ليقوّيها ويفحصها ، لأن «ملكة الاجترار» رهينة بسلامتها ،

لذلك يقول للقارىء : «أسنانا قوية ومعدة سليمة ، هو ذا ما أتمنى لك ! وإن فهمت كتابي ، مؤكد أنك ستفهمني» (44) لأن الفم المجرد من الأسنان-كما يقول- خليف به ألا يتناول بيانه جميع الحقائق (45) .

ح-ب

بني ملال

1992_4_25

هوامش المقدمة

- (1) هكذا تكلم زرادشت - نيتشه . ت . فليكس فارس . نص الشيخة والفتاة ص . 92
- دار القلم
- (2) نفسه - نص : نشيدا آخر للرقص ، ص 256 .
- (3) نفسه . نص : نشيدا للرقص ، ص 135 .
- (4) نفسه ص 136-137
- (5) وردت الإشارة في الكتاب : Epérons. J. Derrida, ed Flammarion 1978 p. 41
- (6) نفسه ص 39-40
- (7) العلم المرح - الترجمة الحالية ، الشذرة (ش) 69
- (8) وردت الجملة في كتاب : Epérons ص . 103 . وهي من الشذرات التي لم تنشر ،
إذ وجدت من بين مخطوطات نيتشه ، وحدها على ورقة ، بين مزدوجتين ، وهي
الجملة التي اعتمد عليها دريدا في تحليله لأساليب نيتشه .
- (9) - Crépuscule des idoles. Nietzsche. ed. essais/folio p. 15
- (10) نفسه ص 17
- (11) Epérons P. 39
- (12) - Questions de Style, in Nietzsche aujourd'hui 10-18. P 289
- (13) - L'étrangeté du texte . Claude Lévresque. 10.18 P 25
- (14) العلم المرح -52-
- (15) نفسه - ش 72
- (16) - Espérons. P. 62
- (17) العلم المرح
- (18) - Humain, trop humain. Nietzsche. ed. Folio/essais P. 290 frag, 380 :-
Leg maternels
- (19) هكذا تكلم زرادشت نص الشيخة والفتاة ص 91
- (20) - Eccé Homo. Nietzsche. ed. Folio/essais P. 114
- (21) هذا الشاهد وما قبله عن هكذا تكلم زرادشت ص 317
- (22) - Humain, trop humain - frag. Masques 405 P. 295
- (23) هكذا تكلم زرادشت - ص 322-323 .
- (24) العلم المرح ، ش . في أصل الشعر 84
- (25) هـ . ت زرادشت ، نص ، النقاقة ص . 250

- (26) نفسه . نص نشيد الأشجار ص 327 . يمكن العودة كذلك إلى نص " الشعراء " من نفس الكتاب ص 155
- (27) نفسه ، نص الظل ص 302
- (28) العلم المرح ، ش . 382 (الصحة الكبرى)
- (29) Nietzsche et la philosophie. Gilles Deleuze, nrf . p.19
- (30) نفسه ، ص 20 ، يمكن كذلك العودة إلى نهاية الشذرة 38 ، عن الوضوح (العلم المرح)
- (31) - L'étrangeté du texte. p. 31
- (32) - Ecce Homo P. 119. 120
- (33) - Nietzsche et la philosophie P. 35. 36
- (34) انظر كتاب - Approche de Hölderlin, Martin Heidegger
أو مقارباته لشعر تراكل ، ريلكه وغيرهما .
- (35) -Acheminement vers la parole
- Martin Heidegger, ed. Tel / Gal . P. 193
- (36) - Mag. Littéraire N 235 . NOV. 86 P. 38
- (37) - Acheminement vers la parole P. 18
- (38) -Essais et conferences. M. Heidegger, ed. Tel/Gal P. 240
- (39) هـ . ت زرادشت . نص الشعراء ص 156
- (40) La Généalogie Nietzscheenne, Par Jean - Michel Rey in , La Philosophie III de Kant à Husserl, ed. Marabout 1979. P. 246
- (41) « فلسفة نيتشه » Eugène Fink تعريب إلياس بديوي - منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق 1974 . ص 7 . وعن القراءة الخارجية : انظر : «تخطيم العقل» الجزء II - جورج لسوكاش - دار الحقيقة ، بيروت - ترجمة إلياس مرقص ، الطبعة الأولى 1981 كما يمكن الرجوع لمقاربات جديدة ، بالخصوص رقم 4 ، 12 ، 13 ، 14 ، ضمن كتاب - Nietzsche aujourd'hui ? T.2 - Passion 10-18. 1973
- (42) العلم المرح . ش 377
- (43) نفسه ، ش 26
- (44) نفسه ، ش 54 بعد المقدمة
- (45) هـ . ت زرادشت ص 98

هزء، مكرٌ وانتقام

1 استدعاء

تَجَرَّأُوا أَنْ تَذُوقُوا مِنْ طَعَامِي ، أَيُّهَا الْأَكَلَةُ !
غداً سيكون طعامه أفضل
وبعد غد سيدو لكم أحسن !
أترغبون في المزيد منه ؟
ستلهمني وُصفاتي القديمة
بقدر وصفاتٍ جديدةٍ

2 سعادتي

عندما مللتُ البحث
تعلمت الاكتشاف
ولما أمست لي ريح رفيقاً
صرْتُ لكل ريح شراعاً

3 إقدام

أُسِرْ ، حيثما تكونُ !
ففي العمق يكون المنبعُ !
دع بنات وردان تصرخ :
« إن الجحيم في العمق أبداً يكونُ »

4 حوار

أ- هل كنتُ عليلاً ؟ هل شُفيتُ ؟
من كان إذن طبيبي ؟
ولكن ، هل استطعت نسيان كل شيء !
ب- الآن اعتقد أنك شُفيتَ :
لأن من ينسى ، سليمٌ .

5 للفاضلين

على فضائلنا أيضا ، أن تعلم كيف ، بأقدام ناعمة
كأبيات هو ميروس ، تأتي وتروح

6 حكمة

في السهل لا تمكث !
وعلى الصعود أكثر لا تتجراً !
فالعالم مُدْرَكٌ من منتصف الارتفاع
أحسن مرأى ، يقدم

7 Vade mecum , Vade tecum (*)

أيسحرك أسلوبك وكلامي ؟
ماذا ؟ ستتبعني خطوة خطوة ؟
لاتأبه بأن تكون إلا لنفسك مخلصا
وستكون قد تبعني - رويدا ! رويدا !

8 التغير الثالث للجلد

الآن جلدي ينطوي ، يفتت ،
الآن ، في ، الثعبان يصبو
بشوقٍ إلى المزيد من التراب
لمقدار ما من التراب هضم .
زالقابين العشب والحجر
شرة ، على طريقي الملتوي ،
لقوتي الأبدى ، التراب !
أنت يا مرعى الثعابين !

(*) صديقي الملازم ، صديقك الملازم .

9 ورودي

أجل حظي -يريد أن يفتنكم !
 لأن كل حظ يطلب الفتنة !
 أترغبون في قطف ورودي ؟
 انحنوا ، واختبئوا
 بين الصخر والأشواك ،
 وأصابكم ، غالبا العقوا !
 لأن حظي - حظٌ منكذ !
 لأن حظي - حظٌ مُعَفَّر !
 أترغبون في قطف ورودي ؟

10 المستخف

لأنني كففت عن الاهتمام ،
 لأنني نثرت كثيراً
 عُرِفْتُ بالمستخف .
 من يشرب ملء الكأس
 فقد سكب منها كثيراً
 ولم يزد ، لأجل هذا ، خمرا .

11 يقول المثل

فجٌ ووديعٌ ، ظريفٌ وفظٌ
 غريبٌ وألوفٌ ،
 قذرٌ وطاهرٌ ،
 لقاء العقلاء والمجانين ،
 أنا كذلك ؛ وأريد أن أكونه
 يمامةً ، ثعباناً وخنزيراً .

12 إلى صديق للنور

إذا أردت أن لا يَكَلَّ
نفاذُ النظر والرأي
طارِدِ الشمسَ في الظلِّ

13 من أجل الراقصين

فردوسٌ
هو الجليد الناعم
لمن يعرف جيداً كيف يرقصُ .

14 الباسلُ

عداوةٌ بلا مرونة ولا جمال
خيرٌ من صداقةٍ بإصلاح رديءٍ

15 الصدا

غير كافٍ ، أبداً ، أن تكون مشحوداً
فالصداً ضروريٌ لك أيضاً
إن أردت ألا تُعرف مغفلاً .

16 إرتقاء

- «كيف أصل بسرعة إلى القمة؟»
- اصعد دائماً ، ولا تأبه بذلك !

17 شعار العنيف

لا تترجأ أبداً : كف عن التشكي هكذا !
انتزع ، أقول لك ، لا تتوقف أبداً عن الانتزع !

18 نفوس بليدة

أكره النفوس البليدة
حيث لا طيبة ، ولا خبث أيضا .

19 الفاتن رغما عنه

كسلًا ، ألقى
بكلمة فارغة على غير هدى
سببت زلة امرأة .

20 للوزن

إن أُلما مضاعفاً مطاقٌ ، أكثرُ
من ألم أوحده :
أتريد أن تخاطرُ ؟

21 كبرياء

لا تنتفخ : خوفاً عليك من أن تنفجر
بأقل وخزة .

22 رجل وامرأة

«إنزع المرأة التي من أجلها يحترق قلبك !»
هكذا يفكر الرجل ؛ المرأة لا تنزع أبداً ، إنها تخفي .

23 تفسير

أفسّرني ، وأكذب عليّ !
أنا مفسّر نفسي العاجز !
وحده من يرتقي مسلكه الخاص
يبجل معرفتي بنفسي !

24 دواء للمتشائمين

لم يعد لأي شيء مذاق - إذن ؟
 نفس النزوات دائها ؟
 حنقك ، بصقاتك ، شتائمك -
 تضني أناقي وفؤادي .
 اعزم طوعاً
 على أن تبتلع فوراً
 بلا تكلف ، ضفدعا شحوماً !
 علاج ضد عُسر الهضم .

25 رجاء

لعددٍ من الناس أخبرُ العقول
 وما خبرت أنا من أكون !
 فعيني مني أدنى !
 وما أراه ليس أنا ،
 لا ولا أكثر ما رأيت .
 كنت أغنم أكثر
 لو مدّ بي وبيني ،
 طبعاً ، أقل بعداً من عدوى !
 ومن أقرب الأصدقاء أكثر بعداً
 لكن الوسط بيني وبينه
 أكشفتكم عما أرجوه ؟

26 صلابتي

يجب أن أرتقي مئات الدرجات
 يجب أن أعلو بيننا تصيحون :
 «أيها الصلب ! أنحن إذن متحجرون ؟
 يجب أن أرتقي مئات الدرجات .
 ولا كرامة لمن يرضى بالقيام مقام درجة .

27 المسافر

«لا طريق لأي مكان ، هوة حولي وصمتُ الموتِ !»-
 تلك كانت إرادتك ! وانحرفتُ عن كل مسلكٍ -
 أيها المسافر ، آن الأوان
 فانظر بثبات وكن صاحبا ! لقد تهت ،
 إذا كنت - بالخطر - تؤمن .

28 عزاء للمبتدئين

بين ظهرائي الخنازير التي تنخر ، انظروا
 الطفل العاجز ، متقلصة أصابعه
 والبكاء ، كل ما يمكنه -
 أيسطيع يوماً أن يقفُ ويمشي ؟
 لا تخافوا ، فقريباً ، أعتقد ،
 سترونه يرقص ! -
 بمجرد ما يقف على قدميه - لن يلبث
 أن يقف على رأسه أيضاً !

29 أنانية الكواكب

إن لم أَدْحَرْجُ ، تدحرج البرميل المستدير -
 حول نفسي دون توقف - هل سأحتمل
 التوق الى الشمس المحرقة ، دون أن أشتعل ؟

30 القريب

قريباً ، يضايقني القريب :
 إن ، بعيداً عني ، لم يَسْمُ إلى الأعالي
 كيف سيمسي لي نجما ؟

31 القديس المقنع

بحياء غبظتكَ
تكسو دهاء الشيطان ،
سخريته وزيه
عبثا [تحاول] ! فمن عمق نظرتك
تشع القداسة

32 الخاضع

أ- يتوقف ، يُصغي : ما عسى
أن يُضله ؟ ماذا يسمع ، مد مدماً ، في أذنيه ؟
من يكون قد هدّه ؟
ب- ككل من كان ، قديماً ، مقيّداً ،
حيثما يكون ، يسمع صلصلة القيود .

33 المنعزل

أكره أن أتبع بقدماء أكره أن أقود
أن أطيع ؟ لا ، أبداً ، وأبداً أن أحكم !
من لم يرعب نفسه ، أبداً من الآخر يستلهم الرعب -
ووحده من يستلهمه ، قيادة الآخرين يعرف .
مسبقاً ، أكره أن أقود نفسي !
كحيوانات الغاب والبحر
أحب أن أتيه حيناً
أتأمل أية متاهة فتانة ،
أؤقل ، أتذكر عن بعدٍ ويهدوء ، مسكني -
لا سترجع حواسي وانسحر بنفسي .

Seneca et hoc genus omne (*) 34

هذا الوغد يكتب ، ويعيد كتابة كلامه ، بحكمة مقيّنة

* سنيك وهاته الأنواع كلها (سنيك : فيلسوف إغريقي ، وهو معلم نيرون)

كما لو كان المهمُّ أن يكتب أولاً،
ويتفلسف ثانياً .

35 أثلوجة

أجل ، أحيانا أصنع الأثلوجة
[فهي] للهضم ضرورية !
إذا كان ما ستهضمون كثيرا
آه ، كم ستعجبكم أثلوجتي !

36 آثار الشباب

بداية ونهاية حكمتي ،
أصغيت لصداهما : ما ذا سمعت !
نفس الإيقاع اليوم لا يملكان ،
وحدها الآهات والواهات السرمديّة
لشبابي ، هي ما أسمع

37 احتراس

لم تعد الأسفار في هذه الناحية آمنة بعدُ ،
إن كنت نبيهاً ، ضاعف نباهتك !
تُغرى ، تُهمل ثم تُمزق ،
مهووسة ، هذه النفوس : يهجرها العقل

38 الرجل التقى يتحدث

الإله يحبنا لأنه خلقنا !
«الإنسان خلق الإله» تجيبون أيها الحاذقون ،
ولأنه خلقه ، أهو مجبول على جحوده ؟
أمر مضطرب ومفلوق كقبقاب الشيطان .

39 في الصيف

برشح جبيننا
كان يجب أن نأكل خبزنا ؟

في العَرَق ، الأَجْدَر أَلَّا نَأْكُل شَيْئًا !
 حسب تخمينات أطباء حكماء .
 إذا القيظ داهمنا : لم نحتاج ؟
 بِمِ يَبُوحُ رمزه الناريُّ ؟
 أن يعرق جبيننا
 سنشرب إذن من كرومنا !

40 دون رغبة

أجل ، إن نظرتَه بارده :
 ولذلك تُبَجِّلُونَهُ ؟
 هو لا يبالي بتشريفاتكم ،
 كالنسر ، عينه على الأقاصي
 كَلَّا ، لن يَرَاكُمْ
 لن يبصر إلا النجوم ، النجوم !

41 هيراقليطية

بالصرع يا أصدقائي
 تنزل كل سعادة ساحة الأرض .
 أجل ، لنصبح أصدقاء
 لا بد من جلجلة المدافع .
 يتوحد الأصدقاء في ثلاثة أشياء :
 إخوة في الضرورة
 سواء أمام العدو
 أحرار أمام الموت !

42 مبدأ المرهفين

على رؤوس الأصابع ، خير
 من على أربع ،
 من ثقب القفل ، خير
 من أبواب مشرعة .

43 نصيحة

أفي المجد أنت طامع ؟
تقبّل هذه الموعظة إذن :
في الوقت المناسب ، احسن التخلي طوعا
عن الأبحاث !

44 الوصول إلى العمق

ماذا ، أنا منقّب ؟ - بمنّة ، وفّرّوا عنيّ هذا الكلام
ما أنا إلا ثقيل كالعديد من الأوزان !
أسقط ، أسقط دون توقف
للوصول أخيراً إلى العمق !

45 إلى الأبد

«اليوم سآتي ،
لأن اليوم يلائمني»
كذلك ، يفكر كل من على الدوام يأتي
ما همه هذر الناس :
«تجيء قبل الأوان ! تجيء بعد الأوان !»

46 أحكام الكائنات المتعبّة

الشمس ، يلعنّها كل المنهوكين
وعندهم ، قيمة الأشجار : ظلالها !

47 هبوط

«هاهو يهبط ، الآن يقع»
هكذا لا تكفّون عن الثلب -
في الحقيقة ، إنه ينزل باتجاهكم في هذه الدنيا !
فسعادته المفرطة إلحاح
ونوره المفرط يتحرّى ظلامكم .

48 ضد القوانين

من اليوم فصاعداً ، في حبل عُرفٍ
حول عنقي ، سأعلق ساعة :
من اليوم فصاعداً يتوقف مجرى الكواكب ،
الشمس ، صياح الديك والظلال
وكل ما يمكن أن يُنبئني به الزمان
الآن ، كل شيء - كما أرى
أخرس وأصم وأعمى
كل طبيعة حولي
تتصامم لدقات القانون والساعة .

49 الحكيم يتحدث

غريب عن الناس ، غير أنني مُجدٍ للناس ،
أتبع سبيلي ، تارة شمسا وطورا سحابا -
ودوما فوق هؤلاء الناس

50 ضياع الرشد

هي ، الآن ، نبيهة -
كيف حصل ذلك ؟
إن رجلا ، بسببها ، فقد صوابه ،
رُشده قويا كان ، قبل هذه التسلية -
إلى الجحيم ذهب رشده -
لا ! بل قل إلى المرأة !

51 رغائب تقيّة

على كل مفتاح
أن يضيع الآن
وفي كل ثقب قفل
أن يُدار مفتاح عمومي !

كذلك ، يفكر دائماً
كل من هو مفتاح عمومي !

52 أن تكتب بالرجل

لا أكتب باليد فقط
فرجلي أيضاً ، تريد أن تكتب دائماً ،
تابثة ، طليقة وقوية تجري
تارة عبر الحقول وعلى الورق طورا .

53 «انساني، مفرط في إنسانيته» كتاب

كئيب وجفول
مادمت بالخلف تلوي ،
واثقا مما سيأتي ،
ومادامت لك بنفسك ثقة ،
أعدك ، ياطائراً ، واحدا من النسور ؟
أست بوم مینارفا (*) السميز ؟

54 لقارئتي

أسنانا قوية ومعدة سليمة -
هو ما أتمنى لك !
وإن فهمت كتابي
مؤكد أنك ستفهمني .

55 الرسام الواقعي

«الطبيعة بأمان ، كل الطبيعة !»
- على أي نحو سيتصرف ؟
أيمكن للطبيعة أن تُستوفى في الصورة ؟
لأنهائي هو أصغر جزء في العالم !
وهو لا يرسم منها ، في النهاية ، إلا ما يريد .
وماذا يريد ؟ ما يعرف أن يرسمه

(*) Minerve : إلهة الحكمة عند اليونان .

56 زهو شاعر

أعطوني صمغاً فقط :
 سأجد خشباً بنفسني !
 فأعطاء معنى لأربع قواف لا معقولة
 ليس موضوعاً قليل العُجب .

57 الذوق الذي يختار

إن تُركتُ وشأني لأختار،
 بسرور، مكاناً صغيراً، سأختار،
 وسط الفردوس :
 أوريا : بياضه، أحسن .

58 أنف أعقف

يتقدم الأنف بانفراد
 في العالم، والمنخر ينتفخ -
 لذلك، كوحيد القرن بلا قرن
 تسقط دائماً، أيها الرجل الصغير الفخور، إلى الأمام !
 حتى أنهما دائماً ندان :
 فخرٌ منتصبٌ وأنفٌ أعقف .

59 الريشة تخربش

الريشة تخربش : أمرٌ لا يطاق
 أمحكوم عليّ إذن بالخربشة ؟
 لذلك، كلما استولت عليّ، بجرأة، دواتي
 أكتب بأمواج من المداد .
 كيف ينساب ذلك، مترعاً، سخياً !
 كم أفلح في كل شيء، مهما كتبت !
 دون شك، تشكو الكتابة من عدم الوضوح
 ما همّني ؟ ثم من يفكر في قراءة ما أكتب ؟

60 رجال متفوقون

هذا يصعد إلى الأعالي -
 هو من يجب مدحه !

ولكن طول الوقت ، ذلك ، من الأعلى يأتي !
ذاك يجيا حتى عن الأمداح خفيا .
فهو من الأعلى .

61 الشكوكي يتحدث

نصف حياتك انصرم
العقرب يتقدم ، وروحك ترتعد !
منذ أن كانت تائهة من أمد طويل
وهي تبحث ، شيئا لم تجد - وهنا تتحير ؟
نصف حياتك انصرم :
لا شيء عدا الكدر وهنا وهناك خطأ من حين لآخر
عما تبحث ثانية ؟ لماذا ؟
بالضبط - أبحث عن العلة .

62 Ecce homo (*)

نعم ، أعرف أصلي !
شره كاللهب ،
استهلك نفسي ، متوهجا !
نورا يصبح ما ألمسه ،
فحما يمسي ما أتركه
مؤكد ، أنا لهب

63 أخلاق النجوم

نختار منذ الأزل لمدار الكواكب
فيم تعنيك ، أيها النجم ، الغياهب ؟
تدحرج بهدوء عبر هذا الزمان !
وليكن بؤسه عنك غريبا بعيدا !
وللعالم الاقصى ينتمي وميضك !
إنما تكون الشفقة عندك
أن تكون صافيا ! ذاك مبدؤك .

(*) هذا هو الإنسان .

أقطن بيتي الخاص ، ولم أقلد أحدا في شيء قطُّ ، وأسخر من كل معلم لم يعرف
كيف يسخر من نفسه .

مكتوب فوق بابي

- 1 -

لن يكون هذا الكتاب بحاجة إلى تمهيد فحسب : ففي نهاية الأمر سيبقى الشك دائما على أنه لم يمكن لأحد أبدا، أن يؤالف مع التجربة* بتمهيدات سابقة لهذا الكتاب، إن لم يعيش تجربة مماثلة. يبدو أنه مؤلف في كلام طلاقة ذوبان الجليد : كل شيء فيه نزق، قلق، تناقض، كأيام أبريل، حتى وكأننا استرجعنا فيه فصل الشتاء القريب جدا، تماما كما نسترجع النصر عليه، النصر الذي يأتي، الذي يجب أن يأتي، الذي ربما أتى الآن... الاستكشاف يسيل بغزارة، كأن الحدث الأكبر مفاجأة قد تحقق، استكشاف ناقه - ذلك أن الشفاء كان هذا الحدث المفاجيء.

«العلم المرح» : هو ذاك ما يبشر بأعياد زحل عقل قاوم بصبر أطول وأعنف قسر - [قاوم] بصبر، بصرامة، ببرودة، دون إذعان، ولكن أيضا بلا أمل، والذي فجأة يبدو مهاجما بالأمل، بأمل العافية، بنشوة الشفاء. أي شيء أعجب في هذه الحال من ميلاد العديد من الأشياء اللامعقولة والخرقاء، وأن الكثير من الرقة النزقية قد بُدِّدت لصالح قضايا ذات إهاب شائك، والتي لم تكن مطلقا لتستجيب للمداعبة والإغراء. إن هذا الكتاب كله ليس في الواقع سوى رغبة في المتعة بعد فترة طويلة من الحرمان والضعف. سوى ارتعاشة فرح بالقوى المسترجعة، سوى الايمان الموقظ مجددا بغدٍ وبيعد غدٍ، سوى الاحساس والحدس المفاجئين بالمستقبل، بمغامرات جديدة، ببحار مباحة مجددا، بأهداف مسموح بها من جديد، [أهداف] جديدة بالثقة مرة أخرى. ثم كم من الأشياء لن تلاحقني بعد الآن ! [ك] أثر الخلاء، الإنهاك، الجحود، الجمود في ريعان الشباب، هذه الشيخوخة المحشورة في المكان الرديء، استبداد الألم هذا، المتجاوز أحيانا باستبداد الأنفة، الذي يأبى نتائج الألم - والحال أن النتائج عزاءات - هذا الانفراد الجذري كمقاومة يائسة ضد بغض البشر بوضوح مرضي، هذا التقييد العميق للمرارة، للضراوة، لمظهر المعرفة الجارح مثلما يُخضعه للتقادم هذا النفور المتنامي تدريجيا لصالح حمية روحية طائشة، تدليع حقيقي للذهن - هذا ما نصطلح عليه بالرومانسية. وأها ! من ذا الذي يقدر أن يكابد هذا ! غير أن من يستطيع ذلك سيغفر لي، دون شك، قليلا من الجنون، من

(*) هذا التشديد وغيره من المؤلف .

الفيض ، من «العلم المرح» - مثل حفنة من الأناشيد حيث يستهزئ شاعر من كل الشعراء بشكل يعسر الصفح عنه . أي ! ليس فقط بخصوص الشعراء و«أحاسيسهم الغنائية» الجميلة يشعر هذا المنبعث بالحاجة إلى تجريب مكره : من يدري أية ضحية من الضحايا سيختار ، أي موضوع هائل من المواضيع المخيفة الساخرة المحاكاة سيحرضه عما قليل ؟ مستهل التراجيديا (Incipit Tragedia) (*) هو ما كتب في ختام هذا المؤلف بوقاحة قلقة : علينا أن نحاذره ! فشيء ما مخيف جوهريا يتها : مستهل محاكاة ساخرة ، ذلك أمر لا ريب فيه . . .

- 2 -

ولكن لنترك ثمة السيد نيتشه : ماذا يعني لنا أن يسترجع السيد نيتشه عافيته ؟ إن عالما نفسيا لا يعرف إلا القليل من الاسئلة المغربية تلك التي تبحث في العلاقة بين الصحة والفلسفة ، وفي حالة مرضه هو فإنه سيتعمق في مرضه بكل فضوله العلمي . في الواقع يكفي أن نكون إنسانا لتكون لنا بالضرورة فلسفة خاصة : غير أن ثمة اختلافا بيننا . فالحاجة لدى الواحد ، هي ما يباشر التفلسف ، ولدى الآخر ، ثرواته وأبهااته ، أما فلسفة الأول فضرورة ، باعتبارها سنداً ، تهدئة ، دواء ، تخليصاً ، رفعة ، تجرداً من الذات ، أما بالنسبة للثاني فلا تعدو أن تكون مجرد ترف جميل ، وفي أحسن الأحوال ، مبهجا لاستكشاف ظافر يجب أن يُسجّل في النهاية في عواصم كونية على القبة الزرقاء للأفكار . في الحالة الأخرى ، المألوفة جداً ، عندما يكون الضيق هو منتج الفلسفة شأن ما هو معروف عند كل المفكرين العُليين - وربما كان المفكرون العُليون متفوقين في تاريخ الفلسفة - : كيف سيمسي الفكر ذاته ، وقد خضع لضغط المرض ؟ ذاك هو السؤال الذي يهم عالم النفس : وهنا تكون التجربة محتملة . ليس بخلاف ما يفعل مسافر يقرر أن يستيقظ في ساعة محددة ، ثم يستسلم بهدوء للنوم ، قياساً على ذلك ، لنفترض نحن الفلاسفة أننا مرضنا ، سنستسلم جسماً وروحاً للمرض - نطبق أعيننا تقريباً على أنفسنا . وشأن ذاك الذي يعرف أن شيئاً ما فيه لا ينام ، [هذا الشيء] يعد الساعات ليوقظه في الوقت المطلوب ، نحن أيضاً نعلم أن اللحظة الحاسمة ستجدنا يقظين - ووقتذاك ينبجس شيء ما ويضبط العقل في حالة تلبس ، أقصد ، على وشك أن يضعف أو أن يتراجع ، أن يستسلم أو أن يتصلب ، أن يكتب أو أن يتداعى ، لا أدري لأية

(*) الكلمات والجمل اللاتينية واردة في النص الأصلي كذلك . احتفظنا بها في سياقها وحاولنا ترجمتها في الهامش .

حالات عقلية مَرَضِيَّة، تُقاومها عادة، أيامَ العافية، أنفُ الذهن (حتى نبقي في المعنى القديم : «الذهن الأبِّي، الطاووس، الفرس، هي حيوانات الارض الثلاثة الأكثر زهوا»). نتعلم على إثر مساءلة الذات بشكل مماثل، على إثر تجربة ذاتية مماثلة، إعادة النظر في كل ما سبق أن تم تأمله حتى الآن، بنظرة ذرية : نحوز أحسن مما مضى الضلالات، الموربات، أنواع الاصطياف، مناطق شمس الفكر حيث لم يكن المفكرون لينقادوا ضد إرادتهم أو ليضلوا إلا لأنهم كانوا يتألمون. من الآن فصاعدا نعرف إلى أين، باتجاه ماذا يقود عند الضرورة الجسدُ المعتل العقل، ويدفعه ويجدبه لا شعوريا - نحو الشمس، السكينة، الرقة، الأناسة، الدواء، التعزية بمعنى معين. كل فلسفة تولي للسلم مكانة أرفع مما توليه للحرب، كل أخلاقيات تنمّي مفهوما سلبيا للسعادة، كل ميتافيزيقا وكل فيزيقا تدعي الإلمام بغاية ما، بحالة نهائية ما، كل طموح ذي سيادة جمالية أو دينية، لجهة، لما وراء، لخارج، لما فوق، تسمح بالتساؤل عما إذا لم يكن المرض هو ما يلهم الفيلسوف. إن التنكر اللاشعوري للحاجات الفزيولوجية تحت أقنعة الموضوعية، التصور الذهني، العقلانية الخالصة، قادر على أن يأخذ أبعادا مخيفة - وكثيرا ما تساءلتُ، بعد تقليب طويل، إن لم تكن الفلسفة إلى ذلك الحين عبارة عن تأويل للجسد وسوء فهم له، على الإطلاق. فوراء أحكام القيمة السامية حيث كان تاريخ الفكر مسددا حتى الآن، كانت تُستتَرُ خلافات بصدد بنية الجسد، سواء من قبل أشخاص منفردين، أو من قبل طبقات اجتماعية أو أجناس بكاملها. ومن المشروع أن نتأمل الحماقات المتهورة للميتافيزيقا، وبالأخص الأجابة التي تقدمها عن سؤال قيمة الوجود، كهذا المقدار من الأعراض المرضية للبنيات الجسدية الخاصة لبعض الأشخاص، قبل كل شيء، وإذا ما كانت تخمينات مماثلة عن العالم، إيجابية كانت أو سلبية، لا تتضمن، من وجهة نظر علمية، أدنى شيء من الواقعية، فإنها بالمثل، لا تقدم للمؤرخ ولا لعالم النفس مؤشرات موثوقا بها باعتبارها أعراضا مرضية كما ذكرت آنفا، عن بنية الجسد القابلة للاستمرار أو الفاشلة، عن فيضه وعن طاقته الحيويين، عن سيادته في التاريخ، أو بالعكس عن تضايقاته، عن انهاكاته، عن افتقاراته، عن حدسيه النهائية، عن إرادة بلوغ مداه. مازلت بانتظار مجيء فيلسوف طيب، بالمعنى الاستثنائي لهذه العبارة، حيث ستنهض مهمته على دراسة مشكلة الصحة الاجتماعية لشعب ما، لحقبة ما، لجنس ما، للانسانية - وسيجرؤ يوما ما على إيصال ريبتي إلى أقصى حد، وعلى تطوير الفرضية : في كل نشاط فلسفي لم

يكن الأمر يتعلق حتى ذلك الحين بالعثور على الـ «حقيقه» إطلاقاً، ولكن بشيء آخر تماماً، لنقل بالصحة، بالمستقبل، بالنمو، بالقوة، بالحياة . . .

- 3 -

نحزر [إذن] أنني لا أريد أن أتخلى أبداً، بصعوبة، عن فترة السقام البالغ هذه، حيث ما تزال فائدتها حتى اليوم، بالنسبة لي، غير مستنفدة بعد : كما أنني واع بما فيه الكفاية، بكل الطائلة التي تمنحني، قطعاً، إياها التغيرات اللامتناهية لحالات الصحة عن كل نموذج خشن للعقل . إن فيلسوفاً عبر ولا يكف عن عبور حالات صحية عدة، ومر بهذا المقدار من الفلسفات، لا يستطيع أن يفعل أكثر من تغيير كل حالة من حالاته للشكل وللأفق الأكثر روحية، - فن التغيير، تلك هي الفلسفة . لا نملك نحن الفلاسفة الآخرون أن نفصل بين الروح والجسد، كما يفعل الناس، أقل من أن نفصل أيضاً بين الروح والعقل . لسنا ضفادع مفكرة، آلات للإسقاط أو للتسجيل دون أحاسيس، - يجب علينا أن نولدّ دوماً أفكارنا من صميم آلمنا، وبأمومة ننع على كل ما فينا من حياة، من حب، من رغبة، من شغف، من وجع، من شعور، من مصير - من حتمية . أن نحيا - هذا يعني بالنسبة لنا : أن نغيّر باستمرار كل ما نحن عليه نوراً ولها، كذلك الحال أيضاً، أن نحول كل ما يؤثر فينا، لا يسعنا أبداً أن نتصرف بوجه آخر . أما ما يتعلق بالمرض، هل من الممكن على الأقل، إذا سولت لنا أنفسنا أن نتساءل، هل من الممكن أن نعفي أنفسنا من ذلك ؟ وحده الألم العظيم هو المحرر النهائي للعقل، مُرَبِّي الريبة الكبيرة الذي يجعل من كل (ياء) (هاء)، هاء أصيلة حقاً، أي [أن نجعل] الحرف ما قبل الأخير، قبل الأخير . . . وحده الألم العظيم، هذا الألم المديد والبطيء، الذي لا يتعجل، حيث نؤكل تقريباً، كما مع الخطب الغض، يُكرهنا، نحن الفلاسفة، على النزول إلى عمقنا الأخير، على انتزاع هذه الثقة منا، [على انتزاع] كل عطف، كل حل وسط، حيث وظّفنا ربها كل إنسانيتنا فيما مضى . أشك في أن ألماناً مماثلاً «يُحَسِّنُ» - ولكنني أعرف أنه يعمقنا . منذ ذلك الحين - إما أننا نكون تعلمنا أن نواجهه بأنفتنا - بسخريتنا، بقوة إرادتنا على غرار الهندي الذي يصمد لأقبح ألوان العذاب، بفرط ذمّه لجلاده، وإما أننا بفضل الألم نكون انطويناً في هذا العدم الشرقي - النيرفانا - في الخرس، الخمول، صمم الزهد، الكفر بالذات وخَوَرِها : يبقى أن مثل هذه التمارين الطويلة والخطيرة، لضبط النفس، تجعل منا إنساناً آخر، باستفهامات إضافية، بل قبل كل شيء بإرادة التساؤل في المستقبل، بإصرار أكثر،

بعمق، بصرامة، بقساوة، بفضاظة وبرصانة لم يسبق لها مثيل حتى الآن. لم تعد هناك ثقة في الحياة، فالحياة بدورها أصبحت مطلبا. ولكن لا يُعتقد أن أحدا قد تكدر بالضرورة من ذلك! حتى آنذاك يظل حب الحياة ممكنا - ولو أننا سنحب بعد الآن بطريقة أخرى. إن حبا تجاه امرأة هو ما يوقظ فينا شكوكا... فالابتهاج الذي يحس به مثل هؤلاء الناس، الأكثر رهافة، والمُرَّوحنين أكثر (Spiritualisés)، تحت وطأة الافتتان بكل ما له طبيعة ربيبة، قادر بتوجهه الجلي على تحويل كل ضيق المشكوك فيه، كل مخاطرة الخوف وغيره العاشق أيضا، باستمرار [هكذا] سنختبر غبطة جديدة...

- 4 -

في النهاية وحتى لا يبقى المهم مُضمرا: فمن هوى مماثلة، ومن سقام بالغ مماثل نشفى، كما من خدر الشك البالغ نعود وقد ولدنا من جديد، بآراء جديدة، أكثر حساسية، أكثر فضاظة، بذوق مهذب أكثر للإبتهاج، بمذاق مرهف لكل الأشياء الجميلة، بحواس أكثر مرحا، ببراءة جديدة وأكثر مخاطرة في الفرح، أكثر سداجة وأكثر رهافة في الآن ذاته، مما لم نكن عليه قط فيما سبق. واهأ! كم تبدو لكم المتعة وقتئذ منفرة، خشنة، تفهة وباهتة كما يفهمها عادة طالبو اللذة «أصحابنا المثقفون»، أثرياؤنا، وأولياء أمرنا! بأي خبث نشاهد بعد الآن ضجيج المعارض الكبير حيث يستسلم اليوم ال «إنسان المثقف» المدني للغضب من طرف الفن، الكتاب والموسيقى، بغايات «المتع الروحية»، كتأثير المشروبات الروحية! كم تشج في آذاننا صرخة الشغف المسرحية، كل التمرد الرومانسي، كل التباس الحواس، التي تؤثرها الدهماء المثقفة، بكل طموحاتها إلى اللاموصوف، إلى التعظيم، إلى التخديد، كم أضحى كل هذا غريبا عن ذوقنا! لا! على قدر ما نكون نحن الناقهون بحاجة إلى فن، سيكون فنا آخر تماما، فن هازيء، خفيف، منفلت، رشيق بغاية الإتقان، مصطنع بكمال مطلق، يلتمع كلهب مضيء، في سماء بلا غيوم! فن، قبل كل شيء من أجل الفنانين، من أجل الفنانين فقط! نحن خير خبراء في هذا الذي يُعتبر، قبل كل شيء ضروريا لهذا الفن: المرح، كل أنواع المرح أيها الأصدقاء! ثم كفنان، أحب أن أبرر ذلك، إننا نعرف جيدا عددا من الأشياء، بعد الآن، نحن الناس المتيقظون: أي نعم! كم نفرط في التعلم لكي نحسن النسيان من بعد، لكي لا نعلم جيدا أي شيء، كفنانين! أما ما يتعلق بمستقبلنا: فسيعثر علينا بصعوبة في أعقاب أولئك المصريين الذين يعكرون أمن المعابد ليلا،

الذين يحتضنون التهايل ويحرصون على الإطلاق على إظهار [و] كشف وإخراج ما احتُفظ به سرّاً لأسباب دقيقة في واضحة النهار. لا، إن هذا الأسلوب الضار، إرادة الحقيقة، هذه «الحقيقة» مهما كان الثمن، هذا الهذيان الصبياني في طلب الحقيقة، كلها عندنا بعد الآن من المكروهات : فنحن مفرطو الضرس، الرصانة، الابتهاج، المبتلون بالاحتراق، أعمق من ذلك. لا نعتقد أبداً بأن الحقيقة تظل كذلك، بمجرد ما نزيح عنها قناعها : لقد عمّرنا طويلاً لنؤمن بهذا. واليوم فالمسألة بالنسبة لنا، مسألة لياقة عندما لا نستطيع أن نرى كل شيء بلا قناع، ولا أن نشاهد كل عملية أو نريد فهم كل شيء و «العلم» به. «أصحيح أن الإله حاضر في الأشياء كلها؟ - سألت طفلة صغيرة والدتها - يبدو لي أن ذلك غير لائق» - [هذا] تنبيه للفلاسفة ! علينا أن نُمجّد الحياء الذي تتخفى به الطبيعة وراء الأسرار والرّيب المبرقشة. ربما يكون اسمها، حتى نتكلم إغريقيا Baūbo (*) ؟ هؤلاء الإغريق ! كانوا منسجمين ومعنى أن نحيا : أي ما يستلزم أسلوباً جريئاً للتوقف عند الظاهر، عند الغلاف، عند البشرة، عند الافتتان بالظاهر، الايمان بالأشكال، بالأصوات، بالكلمات، بآلهة الظاهر كلها ! هؤلاء الإغريق كانوا سطحيين - بعمق ! أليس هذا بالذات هو ما عدنا له، نحن مقتحمو أهوال العقل، الذين توقّفوا أعلى وأخطر قمم الفكر المعاصر - الذين راقبوا الآفاق، من الأعالي، والذين من هناك ألقوا نظرة باتجاه الإغريق ؟ عشاق الأشكال، الايقاعات، الأسفل ؟ أليس في هذا ما يجعلنا - إغريقين ؟ مولعين بالأشكال - بالأصوات وبالكلمات ؟ وبالتالي فنانون ؟

روتا، قرب جنوة

خريف هذه السنة 1886

الكتاب الأول

1 أطباء الهدف من الوجود

حاولت عبثاً تأمل الناس ملياً باستحسان أو باستقبح، جميعاً وكل واحد على حدة، ولم أبصرهم أبداً إلا وهم مثابرين على شغل واحد : العمل على ما هو مفيد لحفظ النوع . وهذا الأمر في الحقيقة لا يعود للاحساس بالحب تجاه هذا النوع [البشري]، ولكن فقط لأنه لا شيء أكثر تأصلاً، قوة، تصلباً ويستحيل قهره أكثر من هذه الغريزة- ذلك أن هذا الاحساس الفطري هو أصل النوع القطيعي الذي هو نحن، على الإطلاق . فبمجرد ما نشرع، بقصر النظر المألوف، في تصنيف الأنواع، بحسب العادة، إلى أناس نافعين وضارين، طيبين وأشرار، يحدث بعد تحليل عميق وتفكير حصيف في مجموع الإجراء، أن يداخلنا الشك في نمط هذه التصنيفية وهذا الفصل، وفي النهاية نصرف النظر عن ذلك . إن الانسان، حتى الأكثر ضرراً، ربما كان الأكثر أهمية من جهة الحفاظ على النوع، ذلك أنه يغذي بداخله أو بفاعلية تأثيره، عند الآخرين، إغراءات كانت البشرية من دونها ستكون منحلة ومنحطة من أمد بعيد . إن الكراهية، الفرَح لتعاسة الآخرين، الظمأ للسلب والسيطرة، وكل ما ينعت بالفظ : كل هذا يتعلق بالادخار المدهش لحفظ النوع، بالادخار الباهظ والمُسرف، دون ريب؛ وبالجملة، بالادخار الغريب بشكل مدهش؛ - ولكن الذي يمكن أن نبرهن على أنه حافظ على نوعنا إلى اليوم . لا أعلم يا نظيري، وقريبي، كيف يمكنك أن تحيا إطلاقاً بمضرة البشر، أي بطريقة «لا معقولة»، «شنيعة»، فما يمكن أن يكون قد ألحق ضرراً بالبشرية، ربما توارى منذ قرون عديدة، ومستقبلاً [سيضحى] من طبيعة الأشياء التي تعتبر لا معقولة حتى بالنسبة للإله . امثلْ لأحسن أو أقبح رغباتك، وقبل كل شيء : كن فانياً ! في هذا الخيار أو ذاك، بطريقة معينة، ستبقى بوجه الاحتمال مؤسساً، وليّ نعمة الانسانية، وبهذه الصفة سيكون لك الحق في مادحيك بقدر مزاح محتقريك ! غير أنك لن تجد أبداً من يستهزئ بك، أنت الانسان الفريد، ولو بما فيك من تفوق، ويشعرك، كما تفرضه الحقيقة، بما فيك من بؤس الذبابة والصفدع ! في الواقع، لمعرفة كيف نضحك من أنفسنا، كما يليق بنا أن نضحك، لكن بضحك ينفجر من عمق الحقيقة المطلقة، فالأذهان المتفوقة لا تملك حتى الآن القدر الكافي من حس الحقيقة، والأكثر موهبة منها، دون الكفاية من النبوغ ! ترى هل سيكون للضحك مستقبل أيضاً ! وذلك عندما تكون أطروحة : «البشر هو الكل [أما] المفرد فلا أحد»، متجسدة في

الانسانية، ويكون هذا التحرير النهائي، هذه اللامسؤولية الأخيرة سهلة البلوغ لكل إنسان. ربما آندئذ سيكون الضحك حليفاً للنبوغ، ولن يكون هناك علم آخر باستثناء «العلم المرح» غير أن الامر في الآونة الراهنة بخلاف ذلك تماماً، فكوميديا الوجود لم «تع ذاتها» بعد - ونحن لم نزل في عصر التراجيديا، في عصر الأخلاقيات والديانات. ماذا يعني الظهور المتجدد دائماً لهؤلاء المؤسسين لـ «الأخلاقيات والديانات»، للمحرضين على المقاومة من أجل انتصار المعايير الاخلاقية، لأطباء حالات الوعي وحروب الديانات، هؤلاء؟ ماذا يعني هؤلاء الأبطال على هذه الخشبة؟ - ذلك أنهم كانوا إلى ذلك الحين أبطال هذا المشهد ذاته، والآخرين الذين ظلوا وحدهم، لفترة، ظاهرين ومباشرين فوق الحد، لم يصلحوا أبداً إلا لتهييء هؤلاء الأبطال، إما كآليات وكواليس، وإما لأدوار المؤتمنين على الأسرار والفراشين. (فالشعراء مثلاً كانوا دائماً فراشي أخلاقيات معينة) - مسلمٌ به أن ممثلي المآسي هؤلاء يخدمون أيضاً لصالح البشرية، مع أنهم يعتقدون أنهم يخدمون لصالح الإله، وكمبعوثين من طرفه. هم بدورهم يشجعون حياة البشرية، بتشجيعهم الإيمان بالحياة. «من الأهمية بمكان أن نحيا» - هكذا يهتف كل واحد منهم، - «هذه الحياة تعني شيئاً ما، شيئاً ما عقبها، تحتها، احذروا ذلك!». هذه الغريزة التي تفعل بانتظام في الانسان الاكثر سمواً كما في الانسان الاكثر دناءة، غريزة حفظ النوع، تظهر، في أوقات متباينة، في هيئة العقل وشغف الروح، فتلفي نفسها آندئذ، مدعومة بمبررات أخاذاة، ثم تنزع إلى السهو ما أمكن، عن أنها في الحقيقة مجرد اندفاع، غريزة، حماقة وانعدام أساس. الحياة تقتضي أن تُعشق، لأن...! الانسان يقتضي أن يشجع نفسه وأن يشجع قريبه، لأن...! ومهما تكون التعاريف الآنية والمستقبلية وكل هذه الـ (تقتضي)، لكل هذه الـ (لأن) ! وأنداك، وحتى لا يبدو من الآن فصاعداً ما يحدث بالضرورة وباستمرار من تلقاء نفسه ودون أي هدف، مُنشأً في هدف محدد ويُكسب الإنسان وضوحَ الذهن والناموس الأخير، - فإن طيبب الاخلاقيات يلج المسرح، بعقيدته الـ «هدف من الوجود»، لذلك يختلق واحدة أخرى، [أي] وجوداً ثانياً، وبواسطة تركيبه الجديد يخرج الوجود القديم، المبتذل، عن أطواره البالية. المبتذلة، أكيد أنه لا يريد إطلاقاً أن نسخر من الوجود، ولا من أنفسنا - أو من نفسه على الأقل، فبالنسبة له يظل الكائن دائماً كائناً، شيئاً من الأول والأخير والعظيم أيضاً، ليس هناك، في نظره، نوع، كميات، أصفار قط. وبقدر ما تبلغ اختلاقاته وتقديراته من الحماقة والهديان، بقدر ما يغالي

في تجاهل سيرورة الطبيعة ونكران شروطها : - وكل الأخلاقيات كانت على الدوام خرقاء وضد الطبيعة لدرجة أن كل واحدة [من هذه الاخلاقيات] كانت قادرة على تقويض الانسانية لو أنها نُصِّبت سيِّدة لها - لكن ! مع كل ولوج جديد «للأبطال» على الخشبة ، يكون شيء جديد ما قد تم اكتسابه : الرأي المخالف الشنيع للسخرية ، هذه الرجة العميقة للكثير من الاشخاص مع هذه الفكرة : «أجل ، من الالهية بمكان أن نحيا ! أجل ، أستحق أن أحيأ !» - الحياة ، أنا كذلك ، أنت ونحن جميعا قد أصبحنا البعض للبعض الآخر ، مفيدين ثانية ، لبعض الوقت - يقيني أنه على التهادي وحتى إشعار آخر للضحك ، انتهى العقل والطبيعة بالانتصار على كل واحد من أطباء «الهدف» هؤلاء : فالتراجيديا القصيرة لم تكف عن أن تعبر وتعود إلى كوميديا الوجود الأبدية ، ويجب - حتى نقول مع إيشيل - أن ترتد في النهاية «أمواج الضحك اللايحصي» أيضا إلى أكبر هؤلاء التراجيديين . ولكن على العموم ، بالرغم من كون كل هذا الضحك ناجعا للإصلاح ، فإن عودة الظهور الدائمة لأطباء الهدف من الوجود لم يكن لها أدنى مفعول لتحويل الطبيعة الانسانية - هذه الطبيعة ستفتقر من الآن فصاعدا إلى شيء آخر ، وبالضبط الحاجة إلى العودة الدائمة لظهور أطباء مماثلين ، [لظهور] مذاهب «هدف» مماثلة . لقد أصبح الانسان بشكل غير محسوس حيوانا غريب الأطوار ، وأكثر من أي حيوان آخر ، وجد نفسه مجبولا على تلبية شرط وجود : يجب على الانسان ، من وقت لآخر ، أن يعتقد أنه يعرف لماذا هو موجود ، ولا يستطيع نوعه [البشري] أن يزدهر دون ثقة دورية في الحياة ! دون ايمان بالعقل في عقر الحياة ! وعلى التوالي سيأتي زمن حيث سيفتي الجنس البشري أنه : «يوجد شيء ما لا يستحق أن نضحك منه !» وصديق الجنس البشري ، الأكثر تبصرا سيضيف : «ليس الضحك والحكمة المرحية فحسب ، هما ما يَرِدُ ضمن عدد وسائل وضرورات حفظ النوع ، بل المزاج التراجيدي أيضا بغاوته التي لا توصف» ! - وبالتالي ! النتيجة ! لكن هل فهمتم ما أردت قوله أيها الرفاق ؟ هل فهمتم هذا القانون الجديد للمد والجزر ؟ فنحن أيضا سيكون لنا موعدنا !

2 الوعي الفكري

أقوم بالتجربة ذاتها باستمرار ، وباستمرار امتنع عن بدايتها ، مع أن الفعل محسوس : فالوعي الفكري ينعدم لدى الأغلبية ، وعادة ما كان يبدو لي أن المطالبة بوعي مماثل تحوّل حياتنا في كنف المدن المعمورة جدا إلى عزلة كما في صحراء . كل واحد ينظر إليك بغرابة ويستمر في جَسّ التصرف معينا هذا حسن ، ذاك قبيح ؛ لا

أحد يستحيي، إذا لفتَ نظره إلى أن هذه المعايير لا تساوي الوزن المطلوب، - الشيء الذي لا يثير، من جهة أخرى، أي إغاضة من جانبك؛ ربما سيُسخرُ من شكوكك. أقصد أن الأغلبية لن ترى في الايمان بهذا أو ذاك احتقارا ولا في أن تلائم معه نمط حياتها، دون وعي قبلي بالأسباب الأخيرة وأؤكد الحسنات والسيئات، دون أن تبالي بعدئذ بإعطاء بواعث مماثلة - والرجال الأكثر موهبة، والنساء الأكثر نبلا ينتمون دائما لفئة «العدد الوافر» هاته. لكن ما الطائل من طيبة القلب، [من] الرهافة والنبوغ، ما دام إنسان الفضائل المماثلة يكابد وجود عواطف خِرعَةٍ في اعتقاده وحُكمه، حيث أنه لم يعد لرغبة اليقين، في نظره، قيمة الاشتهاء الأكثر حميمية والضرورة الأشد عمقا - بناء على ما يباعد بين المتفوقين والأكثر حقارة! لقد وجدت لدى أشخاص ورعين معينين كرها للعقل وكنت في غاية الامتنان: هكذا على أية حال يفضح الوعي الفكري الرديء نفسه! على أن البقاء ضمن *rerum* *concordia discors* هذا، البقاء في كنف اللايقين كله، تعددية الوجود المدهشة كلها، دون أن نسأل، دون أن نرتعش توقا ورغبة في السؤال، ولا حتى أن نكره المستفهم الخالص من حاجة التلهي حتى إشباع أسئلته - هذا ما أحس أنه جدير بالاحتقار، وهذا الاحساس بالذات هو ما أبحث عنه أولا في كل واحد: - لا أعرف أي جنون يقنعني على أن كل إنسان - كائن سييتلي بهذا الاحساس، بما أنه طبيعة بشرية. هنا أفهم معنى أن أكون جائراً.

3 نبيل ونذل

تبدو كل العواطف النبيلة والسماحة، للسوقيين، مجردة من منفعة فعلية، ولهذا السبب، بما أنهم مشبهون أولا: يشيرون بطرف أعينهم بمجرد ما يسمعون الحديث عن ذلك ويتظاهرون بقول [إن]: «ثمة بعض الفائدة دون ريب، لا نستطيع أن نبدد كل شيء تام» - إنهم يفيضون بالمرارة بخصوص الإنسان النبيل الذي يهتمونه بالبحث عن منفعته بطرق ملتوية. وإذا تبين لهم أنهم اقتنعوا جدا بانعدام مصالح، بواعث أو فوائد شخصية، فما النبيل إذن غير مجنون عادم الأهمية في نظرهم: يحتقرون أفراحه ويستهزءون من بريق عينيه. «كيف يمكن لنا أن نغبط بقبول خسارة، كيف يمكن لنا أن نتعرض لذلك بتبصّر! لا بد أن المحبة النبيلة تتوقف على مرض عقلي ما» - هكذا يفكرون باستخفاف: بالاستخفاف ذاته الذي يقابلون

به الأفراح التي يستمدّها المجنون من فكرته الثابتة . إن الطبع السوقي في هذا الأمر لجدير بالملاحظة ، أن لا تغرب عن باله مصلحته أبداً وأن فكرة المنفعة والفائدة هذه ، لأقوى من أقوى الدوافع : لا يجب أن يستسلم المرء للضياع ، بسبب من دوافعه ، في أعمال عديمة الجدوى - تلك حكمته ووعيه الذاتي . وبالمقارنة معه فإن الطبع المتفوق هو الأكثر مخالفة للصواب . - بما أن الكائن النبيل ، الشجاع ، عندما يضحى بنفسه ، يستسلم لاندفاعاته الخاصة ، في لحظاته الأكثر جمالا يكون عقله في لحظة استراحة . إن حيوانا يُخاطر بحياته لحماية صغاره ، أو يتبع أنثاه في الموت فترة النزو ، لا يفكر في الخطر ، فإدراكه أيضا يكون في حالة توقف ، ذلك لأنه مسيطرٌ عليه ، آنثد ، من طرف الشهوة التي يمدّه بها نسله أو الانثى ، وخفاة أن يحرم من هذه المتعة يصبح أرعنا أكثر من العادة ، تماما كالكائن النبيل والشجاع . هذا الأخير يمتلك بعض ميولات الشهوة والنفور بالكثافة التي يستحيل العقل معها صامتا وإلا خَدَمَهَا : من هنا فإن القلب ، عند كائن كذلك ، يدخل الرأس ومن ثم لا نتكلم سوى عن «الشغف» (ودون شك يحصل أحيانا العكس أيضا ، [أي] نوع من «تغير مفاجيء للشغف» ، مثل ما في حالة فونتيل (fontenelle) الذي قال له أحدٌ وهو يضع يده على قلبه : «إن ما تملكون هنا ، لدماعا أيضا يا عزيزي») فأن تُضَلَّل الغباوة أو العقل الشغف ، فذلك ما يزدريه النذل في الكائن النبيل ، سيما وأن الشغف هذا ينخرط في أشياء تبدو له خيالية وكيفية . فإذا اغتاز من منظر ذاك الذي يستسلم لشهوة البطن ، سيفهم مع ذلك استعباد هذا النوع من اللذة ؛ وبالمقابل قلما يفهم أنه يمكن ، مثلا ، من أجل عشق شغف المعرفة أن نعرض عافيتنا ومجدنا للخطر . إن ميل الانواع المتفوقة يمضي إلى استثناءات ، إلى أشياء عادة مالا تثير اكتراثا وتبدو تافهة : للطبع المتفوق حكم قيمة فريد . أما فيما يتعلق بخاصية ميله ، فإنه يعتقد بصفة عامة ألا نحكم انطلاقا من معيار فريد ، أو أنه بالأحرى يسن قيمه وقيمه المضادة كأن لها معنى مطلقا ، وبهذا الشكل تصبح مبهمة وعسيرة .

من النادر جدا أن يتصرف الطبع المتفوق بما فيه الكفاية من العقل لفهم ومعاملة أناس الحياة اليومية على علاقتهم : فعادة ما يصدق شغفه وكأنه شغف الجميع السري ، ومن هذا الاعتقاد بالضبط يظل مترعا بالشوق والبيان . وقتئذ إذا لم يجرب أناس نادرون مماثلون أنفسهم كاستثناءات ، كيف سيتمكنون أبدا من معرفة الطبائع السوقية وتقدير القدوة بعدل ! بهذا الشكل يتحدثون هم أيضا عن الجنون ، عن

انعدام الهدف، عن أحلام الانسانية الغربية الأطوار، المليئة بالحيرة أمام التعجل الجنوني لهذا العالم وإصراره على الذنوب بخصوص هذا «الذي سيكون له ضروريا» أيضا.

4 الذين يحفظون النوع

إن النفوس القوية، النفوس الخبيثة هي لأولئك الذين ساهموا أكثر، حتى الآن، في التقدم البشري : إذ لا يتوقفون أبدا عن تحميس الأهواء الخاملة مجددا - كل مجتمع منظم يخدرها -، لا يتوقفون أبدا عن إيقاظ روح المقارنة، التناقض، التذوق للجديد، المحاولات الجسورة، التجربة الخلاقة دائما، ويكرهون الناس على مقارعة الرأي بالرأي، الأمثلة بالأمثلة. وذلك مع التلويح بأسلحة [ما]، وقلب تخوم الحدود، وفي الغالب، مع جرح روح التقوى : ولكن أيضا مع خلق ديانات وأخلاقيات جديدة ! إن «الخبث» عينه الذي يحط من قدر غاز، يعمل في كل طيب وداعية للجديد - مع أن [الخبث] أنشد يبين بوضوح أكثر، فإنه لن يحرك العضلة في الحال، ولن يثير افتضاحا مماثلا ! إن الجديد يوجد مع ذلك في كل حالات الشربا أنه الساعي إلى الغزو، إلى احتقار تخوم الحدود القديمة والتقوى القديمة، والقديم وحده هو ما يمثل الخير ! إن الرجال الطيبين في كل عصر هم أولئك الذين يخدّون كليا الأفكار القديمة، والتي تنبت معها الثمرات. إنهم حرّاثو الروح. غير أن حقلا كهذا لن يثمر في النهاية ويجب على سكة محراث الشر أن تقلبه ثانية. وتوجد الآن هرطقة أخلاقية، مبدّلة في انجلترا بالخصوص : تبعا لها تترجم أحكام ما هو «حسن» وما هو «قبيح»، جملة تجارب الـ «نافع» وغير الـ «نافع» : ويكون الخير هو كل ما يحفظ النوع، «قبيح» كل ما هو ضارّ له. وفي الحقيقة، إن الدوافع القبيحة تعتبر، في درجة عليا، مفيدة وصالحة لحفظ النوع مثل الدوافع الحسنة : باستثناء أن لها وظيفة مغايرة.

5 الواجبات المطلقة

كل الرجال الذين يحسون أن الألفاظ والنبرات الفعالة أكثر، [و] أن الاشارات والمواقف المفخمة ضرورية لهم من أجل مزاولة نشاط بطريقة عامة، كالشوريين، الاشتراكيين، المبشرين بالتوبة مع مسيحية أو دونها : كل هؤلاء الرجال يتحدثون عن «واجبات»، ودوما عن واجبات ذات طابع مطلق - تحت طائلة عدم تبرير الكلام المهيج الذي يثيرهم : ويعرفون ذلك جيدا. هكذا يلتجئون إلى الفلاسفة الاخلاقيين

الذين يلقون خطاباً أخلاقياً مضجراً حول أمر مطلق ما، أو يقتبسون جزءاً لا بأس به من الدين، كما فعل مازني/MAZINI مثلاً. ولأنهم يريدون أن نثق بهم بشكل تام، فمن الضروري أن يثقوا مُقدماً بأنفسهم، بشكل تام [أيضاً]، بموجب قانون ما سام، لا يُناقش ولا يوصف في حد ذاته، وحيث يحسون أنهم خدامه وأدواته ويتظاهرون بأنهم كذلك. هنا نواجه الخصوم الطبيعيين وذوي المكانة أكثر في الانعتاق والشكوكية ذات الطابع الأخلاقي: ولكنهم قلة. وفي المقابل نجد طبقة أوسع من نوع الخصوم هذا في كل مكان حيثما تُعلّم المصلحة الانقياد، في حين أن السمعة والشرف يُبديان منعها. كل من يعتبر نفسه مُشاناً، باعتباره سليل أسرة عريقة النبالة، بفكرة أن يكون أداة أمير مثلاً، حزب أو طائفة، لا بل سلطة مالٍ، ولكن من دون أن يكون أبداً، أو أن يلقي نفسه مكرهاً على أن يكون أداة شبيهة، في نظره كما أمام الرأي العام، فهو بحاجة إلى مسلماتٍ مثيرة للعواطف، والتي يمكن أن نثيرها في كل مناسبة: مسلماتٍ واجب مطلق لنا الحق في أن ندعن لها ونتجهّز بالامتثال [لها] دون خجل. كل عبودية بارعة أكثر تبقى مقيدة، بصلابة، بالأمر المطلق، وهكذا تكون العدو المميت لكل أولئك الذين يريدون تجريد الواجب من طابعه المطلق: ذلك ما تستلزمه اللياقة عليهم، وليست اللياقة فحسب.

6 خسارة في الكرامة

فَقَدْ التأمّل كل كرامة الشكل، لقد خلقنا موضوع هزء من تقاليد الحفلات، وحالة «احتفالية» من التأمّل، ولم نعد نتحمل كثيراً حكيماً من النمط القديم. نحن نفكر بسرعة مفرطة، وسيراً على الطريق، بين ظهرائي مختلف الأعمال، ومع ذلك فالأمر يتعلق بالأشياء الأكثر خطورة؛ إننا بحاجة إلى القليل من التهيؤ، القليل من الهدوء كذلك، - فالأمر يتم وكأننا نحمل في الرأس آلة دائمة الدوران، حتى في الظروف الأقل ملائمة. قديماً، كنا نلاحظ على ظاهر كل واحد أنه كان للحظة بحاجة إلى أن يفكر - كان ذلك استثناء دون شك! - ابتداءً من لحظة محددة، كان يرغب في اكتساب المزيد من الحكمة وكان يتحسّب مجيء فكرة: يخلق وجهها موافقاً كما من أجل صلاة، ويتوقف، نعم حين «تخطر» الفكرة، كان يبقى جامداً في الطريق لساعات، على قدم أو اثنتين. لهذا الحد «كانت» الفكرة - فاضلة! !

7 ملاحظات للمثابرين

كل من يريد أن يجعل لنفسه، من الآن فصاعداً، من الأسئلة الأخلاقية مادة دراسة، سيبدأ مجالا واسعا للعمل. فهناك كل ضروب الشغوفات للتأمل، للمعاينة على انفراد عبر العصور، لدى الشعوب، الاشخاص كبارا وصغارا: لإبانة طرق تفكيرها، أساليب تقديرها للقيم وتوجيهها للأشياء! حتى اليوم لا شيء مما يلون الوجود، قد أُلِفَ تاريخه: في أي مكان إذن شرعنا في تأريخ للحب من قبل، للجشع، للحسد، للشعور، للورع، للفظاظة؟ حتى تاريخا مقارنا للحقوق أو للعقوبات فقط، قد تغيب تماما. هل سبق وفكرنا أن نجعل موضوع بحث عن مختلف تقاسيم النهار، نتائج تحديد متصل للعمل، أعياد وأيام الراحة؟ هل نعرف الآثار المعنوية للأطعمة؟ هل توجد فلسفة للتغذية؟ (فقط القلق الذي ينفجر باستمرار لصالح أو ضد النباتية يشهد بما فيه الكفاية على أن فلسفة مماثلة لا توجد!). هل سبق أن تأملنا تجارب الحياة داخل الجماعة، كالحياة الديرية، أو بينا جدل الحياة الزوجية، أو [جدل] الصداقة؟ هل وجدت مختلف عادات العلماء، التجار، الفنانين، الصناع، منظرها؟ أصعب إلى هذا الحد أن نفكر في كل هذا؟ كل ما اعتبره الناس حتى الآن «شروط وجودهم»، كل ما وظفوه من عقل، من شغف ومن معتقدات باطلة لاعتبارها كذلك - هل تحريئنا أبدا كليا؟ إن الملاحظة الوحيدة لمختلف أشكال النماء التي أخذتها الاندفاعات البشرية ويمكن أن تأخذها أيضا بحسب تنوع المناخات الأخلاقية، تمثل الآن عملا أكثر مما يجب بالنسبة للمتحمسين أكثر: أجيال بأكملها - أجيال علماء متعاضدين منهجيا سيكون لا بد منهم لاستيفاء وجهات نظر و[لاستيفاء] موضوع هذا المجال. نفس الشيء سيكون لاستنباط الاسباب المحددة لاختلاف المناخات الأخلاقية («لماذا الشمس الفلانية لحكم مبدئي، لمعيار قيمة، تسطع في المنطقة الفلانية - وأخرى هناك؟») ثم إن عملا جديدا سيشتغل على توضيح خطأ كل هذه الأسباب بل وحتى طبيعة الحكم الأخلاقي الذي رجح إلى ذلك الحين. إذا افترضنا أن كل هذا العمل قد تم إنجازه، فإن السؤال الشائك جدا سيتحول مرة أخرى إلى المقام الأول: هل سيكون العلم قادرا على تحديد غايات للفعل بعد أن بين أنه قادر على خلع وتدمير غايات مماثلة؟ - آنئذ سيبدأ تجريب قابل للاستجابة لأي تصنيف من أصناف البطولة، تجريب لعدة قرون، قادر على حجب كل الأعمال العظيمة وكل التضحيات المعروفة في التاريخ. إن العلم لم يشيد بعد صروحه الهائلة: [و] هذا الزمن سيأتي بدوره.

8 مزايا لا شعورية

كل مزايا الانسان، تلك التي يعرفها — لا سيما عندما يفترض أنها كذلك ظاهرة وجلية لمحيطه — تجد نفسها خاضعة لقوانين تطور أخرى عكس المزايا التي لا يعيها أو لا يعرفها جيدا، والتي تتوارى ولو من أمام عيني ملاحظ نبيه، بسبب من كونها تختفي، وتتستر جيدا كما خلف العدم. هكذا أيضا بالنسبة للـ«نحوت» الدقيقة على حراشيف الزواحف: يكون من الخطأ الخلط بينها كزينة أو كسلاح — أننا لا نميز بينهما إلا بواسطة مجهر، بفضل عين ذات حدة اصطناعية إذن، كتلك التي قلما تملكها الحيوانات المماثلة، حيث سيكون الأمر عندها زينة أو سلاحا! إن مزايانا المعنوية الجلية، وبالأخص تلك التي نعتقد أنها ظاهرة، تسلك سبيلها — فيما المزايا الخفية من الطائفة ذاتها، والتي بالمقارنة مع الأخرى، ليست بالنسبة لنا لا زينة ولا سلاحا، تسلك أيضا سبيلها، سبيلا آخر بوجه الاحتمال، مزايا مزودة بالخطوط، بالخفايا وبالنحوت التي ربما سترضي إلهامالك لمجهر رباني. لدينا الاندفاع، الكبرياء، حدة نفوذ البصر مثلا: الكل يعرف ذلك — ولكن بالإضافة إلى هذا لدينا اندفاعنا، كبرياؤنا ونفوذ بصرنا؛ ولتمييز هذا الصنف من الحراشيف الهامية التي هي حراشيفنا، لا زلنا لم نخترع مجهرا بعد! — وهنا سيقول مؤيدو السلوك الفطري: «ممتاز! إنه على الأقل يعتقد بوجود فضائل آلية — حسبنا ذلك!» — كم أنتم متواضعون!

9 ثوراننا

عديدة هي الكفاءات التي احتازتها الانسانية في المراحل السالفة، غير أنها باهتة وجنينية أيضا لدرجة أن أحدا لم يتمكن من إدراك أنها اكتسبت [فعلا]، تنبجس فجأة إلى النور، بعد زمان طويل من اكتسابها، وربما قرون فيما بعد: وفي غضون ذلك تقوّت ونضجت. يبدو أن موهبة وفضيلة مماثلتين تغيبان في أزمة معينة، كما عند أناس معينين: على أن نتظر أن يضطلع حفدة وصغار الحفدة بسريرة أجدادهم في وضوح النهار، هذه السريرة التي لم يكن فيها لدى الأجداد أدنى ريبة. فالابن نفسه هو غالبا من يفشي سر الأب. هذا الأخير الذي سيفهم نفسه أحسن مذكون له ابن. كلنا نحمل بداخلنا أغراسا وحدائق سرية، ولاختيار تشبيه آخر، فنحن جميعا براكين نامية تنتظر ثورانها: — أما أن نعرف ما إذا كان [هذا الثوران] قريبا أو بعيدا، فالأحد قطّ يعرف ذلك، حتى «الإله» نفسه.

10 نوع من التأسلية (*)

يطيب لي تأمل الرجال الأفذاذ لحقبة ما ، وكأنهم خلف متأخر لحضارة وقدرات كاملة ، الذين ينبجسون على حين غفلة : كتأسلية شعب وعاداته مثلا : - بحيث أنه يبقى في الواقع ، شيء آخر لدى هؤلاء الرجال يتعين فهمه ! إنهم يبدون اليوم غرباء ، أفذاذاً ، خارقين : وكل من يأنس في نفسه وجود قدرات مماثلة فهو مدعو إلى الإعتناء بها ، إلى الدفاع عنها ، إلى تبجيلها ، إلى تربيتها على مخالفة عالم مغاير وعنيد : وبهذا النحو إما أن يغدو إنسانا عظيما أو كائنا مختل الشعور وغريب الاطوار ، حتى لا يذبلن في غضون ذلك . فيما مضى ، كانت هذه الصفات النادرة عامية ، ومن ثم اعتبرت دارجة ، لم تكن لتقيم تمييزا . ربما كانت لازمة ، مفترضة ، [و] كان من المستحيل أن نجد في ذلك رفعة لأننا لم نكن نعرض معها أنفسنا أكثر لخطر الجنون والعزلة . ففي العائلات والطبقات المحافظة من شعب ما بالخصوص ، كانت تظهر ردات فعل نزوية قديمة مشابهة ، في حين أن ثمة احتمالا ضئيلا لظهور هذا النوع من التأسلية حيثما تتحول الأجناس ، العادات ومعايير القيم بسرعة . إن معيار قدرات النمو لدى الشعوب له من الأهمية قدرا للموسيقى : في حالتنا هذه لاغنى حتما عن تباطؤ في النمو ، بما أنه إيقاع ذهن شغوف ومتمهل : وبهذا المعنى بالضبط يعمل ذهن العائلات المحافظة .

11 الشعور

إن الشعور هو النمو الأخير والأكثر تأخرا في الحياة العضوية ، وبالتالي الأقل تكاملا والأكثر تعرضا للعطب منها . فمن خلال الحياة تنشأ كبوات لا تحصى ، أفعال فاشلة ، تجعل حيوانا ، [و] كائنا بشريا ينقرضان قبل أن يكون ذلك ضروريا - «نكاية في القدر» كما يقول هوميروس . لولا وثاق الغرائز المحافظ ، الشديد المتانة للغاية ، لولا الفضيلة المنظمة التي يباشرها [الكائن البشري] ، لكان ينبغي أن تنقرض الانسانية من جرّاء أحكامها الفاسدة ، هذيانها في حالة اليقظة ، حاجتها لأساس وسداجتها ، باختصار ، من جرّاء حياتها الشعورية ذاتها : أو بالأحرى ، من دون هذه الظواهر كانت الانسانية قد اتّحت منذ عهد طويل ! قبل أن يتطور فعل ما وأن ينضج فإنه يشكّل خطرا على الجهاز العضوي : نعم الأمر إذا كان خلال هذه

(*) التأسلية : (Atavisme) ردّة وراثية ، أو عودة الى طباع الأسلاف التي ابتعدت عنها الأنسال السابقة . وراثية الأفكار والتصرفات المتحدرة من الأجيال السابقة (المنهل) .

الفترة، مضطهدا جدا! هكذا يلقي الشعور نفسه مضطهدا بجفاء، ومن دون شك أليست غطرسته الخاصة هنا الأقل جورا! إننا نعتقد أن ثمة نواة الانسان : [أي] الدائم، الأبدي، الأخير، الأكثر أصالة فيه . نتعامل مع الشعور ككم ثابت معطى! نتجاهل نهاءه وتقلباته! نتصوره مثل «وحدة الجهاز العضوي»! - هذا التقدير المبالغ فيه للشعور! وهذا الإنكار المثيران للسخرية ، كانت عاقبتها الصائبة تحاشي تدبيره السريع جدا . ولأن الناس اعتقدوا مسبقا امتلاك الشعور فإنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء لاكتسابه - وقلما يختلف الأمر اليوم عن ذلك! فأن نتمثل المعرفة وأن نجعلها فطرية، ذلك ما يؤسس حتما دورا جديدا، لا يكاد يدرك، حيث يتنبأ تماما الإبصار الانساني بوميضه - دور لا يدرك جيدا إلا من طرف أولئك الذين فهموا أنه حتى الآن وحدها أخطاؤنا هي التي تشبهت بنا، وأن شعورنا كله لا يستند إلا إلى الأخطاء!

12 من غايات العلم

ماذا عسانا أن نقول؟ إن الغاية الأخيرة للعلم ستكون توفير ما أمكن من المتعة للانسان وتجنبيه أدنى انزعاج ممكن؟ لكن ماذا سيحدث عندئذ عندما تُلغى المتعة والانزعاج نفسيهما أنهما لم يؤلفا سوى عقدة واحدة، حتى أن كل من يريد أن يحقق ما أمكن من المتعة يجب أن يتحمل على الأقل نفس المقدار من الانزعاج - وأن على من يريد أن يتعلم «الابتهاج حتى السماء» يجب أن يتهيا لكي «يكون حزينا حتى الموت»؟ وربما هكذا تلبث الأشياء! فالرواقيون على الأقل كانوا يعتقدون ذلك، وكانوا منطقيين في التوق الى أقل متعة ممكنة. (إن الحكمة التي مانكف نردها : «الانسان العفيف هو الأكثر سعادة»، يمكنها أن تصلح شعار مذهب للطبقات الشعبية، بمقدار ما تصلح تنميكا سفسطائيا للحاذقين). واليوم كذلك لكم نفس الاختيار إما أقل ما يمكن من الكدر، غياب الوجد الشديد - والحقيقة أن على اشتراكيي وسياسي كل حزب أن لا يعدوا بنزاهة أناسهم أكثر -، أو أقصى الكدر الممكن جزاء ازدياد بحبوحه الأفراح والمتع المهدبة، [التي] قلما استُمتع بها حتى ذلك الحين! ستعزفون على الخيار الأول، بنية إضعاف وتخفيف طاقة الألم عن الناس، فإذاً يجب كذلك انتقاص وتخفيف طاقة السرور عندهم. الواقع أنه بواسطة العلم يمكن لنا تفضيل هذه الغاية كتلك! ربما هو اليوم معروف أكثر بوسائله القوية على حرمان الانسان من أفراحه، وبجعله أكثر برودة، أكثر مشابهة لتمثال، أكثر رواقيا! لكن يحتمل أن ينكشف [العلم] يوما كأكبر مدخر للألم -

وحينئذ ربما سنكتشف في الآن ذاته طاقته المضدّة : القدرة على تلميع كوكبة نجوم فرح جديدة!

13 من مذهب الشعور بالقوة

في فعل الخير أو الشر للآخرين ، نمارس عليهم سلطتنا - [إذ] لانبغى شيئا عدا ذلك ! في فعل الشر ، نمارسها على أولئك الذين يجب أولا أن نختبرها فيهم ! ذلك أن الألم وسيلة ظاهرة بهذه الغاية أكثر من اللذة : فالألم يحتاج دائما إلى علل ، في حين أن اللذة ميّالة إلى ألا تراعى إلا لذاتها دون مراعاة لناحية [ما] . إننا نمارس قوتنا في فعل أو في إرادة الخير لأولئك الذين يخضعون لنا بطريقة معينة (بمعنى ، الذين جرت العادة عندهم بأن يفكروا فينا كما يفكرون في مبرراتهم) ، نريد أن ننمي كثيرا سلطتهم الخاصة ، لأنه بهذا الشكل ننمي قوتنا ، أو أننا نريد أن نبين لهم ميزة وجودهم في تبعيتنا ، - هكذا سيرضون أكثر على ظرفهم وسيكونون أكثر عدائية ، أكثر قتالية لأعدائنا نحن . أما أن نقدم توضيحات في فعل الخير أو الشر ، فلن يبدل ذلك القيمة الأخيرة لأفعالنا في شيء ؛ أكان يجب أن نراهن بحياتنا كالمستشهد في سبيل كنيسته ، - فثمة دائما توضيح لصالح ظمئنا للقوة أو على الأقل للحفاظ على شعورنا بها . كم من السيطرة يحوز ذلك الذي يريد أن يحمي الإحساس بأنه «يملك الحقيقة» ! كم من الأشياء لم يعد يلقي بها قط من عل ، ليبقى في «العلو» - أي فوق الآخرين الذين تغيب عنهم الـ «حقيقة» ! مؤكدا أن الحال التي نسيء فيها ، نادرا ما تكون مقبولة ، خالصة من كل شائبة مثل الحال التي نحسن فيها - تلك علامة على أن القوة ما تزال تعوزنا ، أو [ما تزال] تفشي بعائق هذا النقص ، وافتقارنا للفعل كذلك يُسبب مجازفات جديدة وشكوكا جديدة في قدر القوة التي حظينا بها سابقا ، ويكدر أفقنا بهواجس الانتقام ، الهزء ، العقاب والفضل . وحدهم الناس الأكثر حنقا والأكثر عطشا للشعور بالقوة يمكنهم أن يحسوا بلذة أكبر في وصم مُعائِدِهِم بخاتم قوتهم : يحسون بمظهر الخاضع لهم ، كعبء وغمّ (باعتباره سبب عطفهم) . كل شيء يتعلق بالطريقة التي نطّيب بها عادة حياتنا : المسألة مسألة ذوق في أن نفضل نمواً بطيئاً للقوة بدلا من [نمو] مباغت ، نمواً محققاً بدلا من [نمو] مجازف أو مغامر ، - نختار هذا البهار ، أو ذاك ، بحسب المزاج . إن ضحية سهلة لشيء جدير بالاحتقار بالنسبة للأمزجة الشائخة ، لأنها لا تحس إحساس الراحة إلا عند رؤية أناس لم يستطع شيء أن يصطدم بهم والذين بإمكانهم أن يكونوا لهم معادين ، مثلما لا تفتنهم سوى رؤية الحيازات الصعبة البلوغ : إن أمزجة ممائلة تبدو دائما قاسية

للذي يتألم، إذ يظهر غير جدير بأنفتها وسعيها، بالمقابل يبدو هؤلاء أولى باللباقة بالنسبة إلى أندادهم الذين سيكون الصراع والمقاومة معهم مشرقين على أية حال، إذا أتاحت الفرصة لذلك. إن الشفقة هي دائما المحسوس بها بلذة من طرف أولئك الذين لهم أنفة أقل ولا يستطيعون الوثوق بفتوحات كبيرة: إن الضحية السهلة في نظرهم - كذا كل كائن يتألم - شيء فاتن. إننا نعظم الشفقة وكأنها عفة المومسات.

14 كل ما نسميه حبا

جشعٌ وحبٌ: أية أحاسيس، متضاربة، لاتوحي إلينا بها كل من هاتين اللفظتين! ومع ذلك يمكن أن تكون نفس النزوة، وقد سميت مُضَاعَفَةً، تارة بشكل كاذب من وجهة نظر الشُّبَاع، حيث عرفت هذه النزوة لديهم بعض الارتواء سابقا، وحيث يخشون في المستقبل عما «يملكون»؛ وطورا من وجهة نظر غير الراضين، العطشى، حيث يعظمون النزوة، باعتبارها «مفيدة». أليس حبا للقريب نزوة لاكتساب ملكية جديدة؟ ورغم ذلك حبا للمعرفة، وللحقيقة؟ وبشكل مطلق كل اندفاع باتجاه حقائق جديدة؟ رويدا رويدا وقد كرهنا القديم، و [كرهنا] ما نملك بكل طمأنينة، نمد أيدينا للقبض على الجديد، حتى المشهد الطبيعي، الأكثر جمالا، الذي قضينا به ثلاثة أشهر لم يعد متأكدا تماما من تعلقنا [به]، ويحرض رغبتنا ساحل ما بعيد: إن نفعا ممتلكا تقل أهمية، على العموم، بفعل امتلاكه. فمتعنا نحن تود أن تكون كبيرة بحيث تغتير فينا نحن الآخرين على الدوام شيئا جديدا - وذلك هو ما يركز عليه الامتلاك. (أن نكون مشبعين زيادة بامتلاك ما يعود إلى كوننا مشبعين أكثر بأنفسنا نحن. يمكن أن نعاني كذلك من الفائض - فرغبة الرفض، المشاطرة أيضا يمكنها أن تغطي بالاسم الجدير بالاحترام للـ «حب»). عندما نشاهد شخصا يتألم، ننتهز طوعا الفرصة السانحة لتملكه: ذاك مثلا ما يفعله الانسان الرحيم والرئيف ويعتقد بدوره أنه يحس بالـ «حب»، حالما يرغب في تملك جديد، ويجد فيه متعة تضاهي صوت نصر جديد. غير أن الحب بين الجنسين ما ينفصح بجلاء أكبر كإغراء بتملك منفعة خاصة: فالعاشق يريد تملك المرغوب فيها تملكاً يقتصر عليه وحده، يريد أن يمارس سلطة مانعة على روحها، كما على جسدها، يريد أن يكون معشوقا من طرفها إلى حدود استبعاد أي شخص آخر، أن يسكن هذه الروح، ويهيمن عليها كأنه أسمى من يكون وأشهى بالنسبة لها. إذا فكرنا أن كل هذا لا يعود في مداه، إلا إلى حرمان بقية الناس من الاستمتاع بالنفع وبسعادة عزيزة؛ أن العاشق يسعى إلى إفقار وحرمان كل

المنافسين الآخرين ولا يلتبس سوى أن يغدو تنين كنزه، الـ «آسر»، المحتال، الأكثر تجرداً من الوسائس والأكثر أنانية؛ وأخيراً أن العالم عينه يبدو كله في عيني العاشق، عديم الأهمية، أكمد، لاقيمة له، وأنه مستعد للتضحية بكل شيء، للإخلال بأي نظام، لاحتقار أية مصلحة أخرى، فهناك ماسيدهشنا، أن هذا الجشع وهذا الجور الهمجيين للكلف الجنسي جاز لهما أن يكونا مبجلين ومعظمين إلى هذه الدرجة كما حصل في أي عصر، وأنه ولو بالغنا في أن نستمد، من نوع العشق هذا، مفهوما للحب باعتباره نقيضاً للأنانية، فإن الأمر ربما يتعلق بالتعبير الأكثر وقاحة عن هذه الأخيرة. هنا، حسب الظاهر، أن الذين لا يملكون، غير المشبعين - وهم دائماً الأغلبية على الأرجح - هم الذين ساهموا في التعابير الشائعة للكلام. أما الذين كان القدر، في هذا المجال، قد خبأ لهم الكثير من التمتع والإشباع، فقد انفلت منهم، دون شك، بعض الكلام هنا وهناك بصدد الـ «جنّي الساخط»، شأن أطف وأحبّ الآثنيين : سوفوكليس؛ أما إيروس فقد كان يسخر دائماً من مجدّفين مماثلين مع أن الأمر كان يتعلق بالضبط بأكبر مُفضّليه. أكيد أنه يوجد على الأرض، هنا وهناك نوع من التمديد للعشق، والذي في غضونه استسلم هذا الطمع الجشع والمتبادل بين شخصين، لطمع جديد، لجشع جديد، للظماً المتفوق المشترك لمثل يستعلي عليهما : لكن، من يعرف هذا الحب؟ من خبره؟ إن اسمه الحقيقي هو : صداقة.

15 مُشَاهَدٌ عَنْ بَعْد

هذا الجبل يشكّل مجموع إغراء المشهد الطبيعي الذي يحيط به، إنه مانعُ سحره : ولأننا شاهدنا [هذا المنظر] مئات المرات، فإننا نحس بميل لامعقول جداً وفي الآن ذاته نشكر هذا الجبل ممارسته هذا الإغراء الذي نعتبره العنصر الأكثر فتنة لهذا المشهد الطبيعي - وهكذا نتسلقه ونحن خائبو الظن. وفجأة يبدو تحتنا الجبل ذاته وكل المشهد المحيط به دون سحر، فقد نسينا أن العديد من الرفعة، كالعديد من الطيبة، يستدعي أن يُشَاهَدَ عن بعد، بالخصوص من أسفل، لامن أعلى - وبهذه الطريقة وحدها يُجَدِّثُ تأثيره. ربّما عرفت أشخاصاً من محيطك لا يمكنهم أن يحسبوا أنفسهم إلا على بعد معيّن ليشعروا بأنهم حتماً مطاقون أو جذّابون أو قادرون على منح المتعة : إن معرفة الذات يجب أن يُنصَحُوا بالعدول عنها.

16 عبور الجسر الضيق

يجب أن نعرف الكتمان في معاشرات الأشخاص الذين يحتشمون من العواطف : فهم قابلون لحقد مفاجيء على الذي يكتشف لديهم شعورا رهيفا ، حماسيا أو عظيما ، وكأنه تبين أسرارهم . إذا حرصنا على وجودهم الرغيد في لحظات مماثلة ، سواء أضحكناهم أو رشقناهم ببعض المزاح البارد : - فإن انفعالهم سيسكن وسيتمالكون أنفسهم فورا . غير أنني أقدم هنا الأخلاق عن التاريخ . - لقد كنا ذات يوم متقاربين في الحياة الواحد من الآخر بهذا المقدار حتى بدا الأمر وكأن لاشيء يعوق صداقتنا وإخاءنا ، وحدها مسافة جسر ضيق مازالت تفصل بيننا . وها قد كنت على وشك عبورها ، عندما سألتك : «أتريد أن تلحق بي عبر هذا الجسر الضيق؟» لكنك لم ترد ذلك بعد ، ومن ذلك الحين ، جبال وسيول ، وكل ما يفرق ويغرب الواحد عن الآخر ، قد اعترضتنا ، ومع ذلك كنا نريد أن نتضام ، [و] لم نستطع ذلك أبدا ! لكن ، عندما تفكر الآن في هذا الجسر الضيق الصغير ، فإنك ستعجز عن الكلام - ولن تملك سوى النحيب والحيرة .

17 أن يعلل المرء عوزه

أكد أنه ليس ثمة حلية تسمح لنا بأن نجعل من فضيلة عديمة الأهمية فضيلة غنية ووافرة ، وبالمقابل يجوز لنا أن نفسر ، بلباقة ، هذا العوز من ناحية الضرورة ، مع أن حاله كفت عن إحزاننا وأننا لم نعد نبرطمُ القدر (Fatum) . هكذا يتصرف البستاني الحكيم الذي يسلم خُيْطَ ماء حديقته الهزيل لساعِدِ حورية الينابيع (*) ، وبذلك يبرر عوزه : - من لن يحتاج ، مثله ، لحوريّات إذن؟

18 فخر عتيق

إن الفارق الدقيق القديم للتمييز يعوزنا ، ذلك أن عبَدَ العصور القديمة ينقص تجربتنا . إن إغريقيا نبيل المنشأ يجد ، بين سمو طبقته وهذا الهوان الأخير ، الكثير من الدرجات الوسطية ومن التفاوت حتى أنه لم يكد يتبين شخصية العبد أيضا : أفلاطون نفسه لم يدرك ذلك تماما . إن الأمر بالنسبة لنا ، بخلاف ذلك ، نحن المتعودون على مذهب مساواة الناس ، إن لم تكن المساواة نفسها . إن كائنا حيّا لا يستطيع أن يتصرف بنفسه ، ويفتقر لكل وقت فراغ - : أمر غير جدير إطلاقا

(*) Nympe (إلهة الماء)

بالاحتقار في نظرنا : ربما كانت ظروف حيوية أمننا مخالفة للغاية لظروف القدماء ، الشيء الذي أوجد الكثير من صنف العبودية هذا في كل واحد منا . إن الفيلسوف الإغريقي كان يحيا بالإحساس السري أنه يوجد العديد من العبيد أكثر مما كان يُعتقد - يعني أن كل واحد كان عبداً ، ولم يكن أبداً فيلسوفاً : كان فخره يُترَعُ بإفراط لفكرة أن الأكثر جبروتاً في الأرض ذاتهم يلفون أنفسهم من بين هؤلاء العبيد ، أقرباءهم . إن هذا الفخر بدوره غريب عنا وغير معقول : حتى قياسياً ، افتقدت لفظة «عبد» ، بالنسبة لنا ، معناها المطلق .

19 الشـر

تفحصوا حياة الناس والشعوب الراقية ، والأكثر غنى ، وانظروا إذا ما أمكن لشجرة ، يجب أن تنمو إلى الأعلى ، أن تُعفى من الشوادن ، من العواصف : إذا كان عدم الرضى والعائق الخارجيان ، إذا كانت ضغائنٌ ، حُسودٌ ، إصرارٌ ، حذرٌ ، صلابَةٌ ، طمعٌ ، لا تشكّل ، بطريقة ما ، الظروف الأكثر ملاءمة والتي من دونها لا يكاد نمو كبير ، حتى في القوة ، أن يكون مُدركاً؟ إن السمّ الذي يموت به نوع ضعيف جداً ليعتبر منشطاً للقوي - هكذا لا يابيه [القوي] بأن يعتبره سماً .

20 كرامة الجنون

ثانيةً بعضُ آلاف السنين على هدى القرن الماضي ! - وفي كل ما يفعله الانسان ، سيتجلى علمُه : ولكن بهذا الشكل بالضبط ، يكون العقل قد فقد كل كرامته . سيكون ، بالتأكيد من اللازم أن يكون المرء عاقلاً لكن الأمر أيضاً سيكون شيئاً مألوفاً جداً ، أن يحس ذوق أكثر نبلاً بهذه الضرورة على أنها فظاظة . ومثلما يكون استعباد الحقيقة والعلم قادراً على الإعجاب بالكذب جهاراً ، يكون استعباد العقل قادراً على إنتاج نوع جديد ذي حسّ نبيل . أن يكون المرء نبيلًا - ذاك ما يمكن حينئذ أن يعني : أن تكون في الرأس حماقات .

21 لأطباء التعويض

نصف مزايا إنسان بأنها حسنة ليس بالنظر إلى ما تمارسه عليه هو بالذات من تأثيرات ولكن بالنظر إلى تلك التي نعتقد نحن أنها تمارس علينا وعلى المجتمع : قليلاً ما تظاهرنّا «بالنزيهين» ، «بالغريبيين» منذ الأبد! ذلك أنه كان بودّنا أن نرى خلافاً لذلك ، أن المزايا (كالغيرة ، الخضوع ، العفة ، الورع والإنصاف) هي في

أغلب الأحيان ضارة لأصحابها الشرعيين باعتبارها دوافع تسيطر فيهم بإكراه وباشتهاء مفرطين، واللذين لا يريدان إطلاقاً من العقل أن يحافظ على توازنهما بالمقارنة مع باقي الاندفاعات. إذا كانت لديك مزية، مزية حقيقية، كاملة (وليس فقط طيف مزية باعثة!) فأنت ضحيتها! بل لهذا أيضاً يمدح قريبك مزيته! نمدح المتحمس، مع أن حماسه يؤدي بالقدرة البصرية لعينه أو [بقدرته] الفطرية، وبحيوية ذهنه: نبجل ونرثي للشاب الذي «أضنى نفسه في العمل» لأننا نتصوره على الشكل التالي: «من أجل رفعة المجتمع، ما هلاك الشخص الأفضل بالذات سوى تضحية قليلة! مؤسف أن تكون هذه التضحية ضرورية! سيكون من الأسوأ دون شك، لو فكّر المستقل بطريقة مخالفة، وعلّق أهمية كبيرة على بقائه وعلى نمائه كما على عمله في خدمة المجتمع!» وهكذا إذن نحزن على ضياع هذا اليافع، ليس عليه هو بالذات، ولكن لأن وفاته حرمت المجتمع من أداة متفانية، ودون مراعاة خاصة - من «إنسان خدوم» مزعوم. ربما تساءلنا بالاضافة إلى ذلك إن لم يكن من مصلحة المجتمع أن المجدي لو يُصان أكثر في عمله ليحفظ نفسه أطول، - قد نذهب إلى حد الاقرار بالفائدة التي يمكن أن نكون قد انتفعنا بها، غير أننا نشبت بالطائفة الأخرى كالأكثر سمواً والأكثر رسوخاً، لأن تضحية في الواقع قد تمت وأن عقلية الحيوان المرصود للتضحية ستجد نفسها مؤيدة علناً. ومن ثم فعندما نشني على المزايا فإننا نظري على طبيعتها الوظيفية، من جهة، ومن أخرى على الاندفاع الأعمى في جوهر كل مزية، والذي لا يوقف أبد من طرف المصلحة الكلية للشخص، وبالجملة: إنها غباوة المزية عينها التي نعظم، والتي بفضلها يسمح الفرد بأن يُحتَرَك إلى دور وظيفي على العموم. إن مدح المزايا يشيد بشيء ما مضر للحياة الخاصة - إنه يشجع نزوات تجرد الانسان من أنبل شعور بنفسه، قوة الصيانة العليا. بالتأكيد أنه: في سبيل تربية وتمثل تقاليد فضائية تخضع لسلسلة من تأثيرات الفضيلة التي توضح أن الفضيلة والمصلحة الخاصة متضامتان الواحدة مع الأخرى - وفي الحقيقة يوجد تكافل متماثل! إن الهيجان الأعمى للحماس، مثلاً، هذه المزية النموذجية ذات الطبيعة الوظيفية، تُصوّر كالسبيل للاغتناء والشرف، كالسم الأكثر فعالية ضد العدو والأهواء: لكننا نضرب صفحاً عن خطره، عن طابعه الخطير إلى حد بعيد. إن التربية تعمل قطعاً هكذا: تبحث من خلال سلسلة من المثيرات والفوائد، على تحديد طريقة للتفكير والفعل لدى الانسان، والتي بمجرد ما تصبح تقليداً، اندفاعاً، انفعالاً، تستبدّ بمنفعته النهائية، بشكل مضرٍ، لصالح «أحسن

مصلحة مشتركة». كم مرة سجّلتُ أن الجنون الأعمى للحماس، الذي يحصل دون شك على موارد وأمجاد ترفع عن الأعضاء الرهافة التي تسوّغ التمتع الحقيقي بالموارد والأمجاد، مع أن هذا العلاج الأساسي ضد العدو والاهواء يضعف الحواس ويجعل العقل مقاوماً لإغراءات جديدة. (إن الحقبة الأكثر حماساً - حقبتنا - لا تعرف ماذا تصنع بكل حماسها، بكل ما لها، إذا لم يكن فائض الحماس كفائض المال : في حين أن المطلوب مهارة أكثر للإستهلاك من الاكتساب! (فليكن! لنتنظر أحفادنا). إذا توفقت التربية ستشكل كل مزية فردية إذن، إنتفاعاً مشتركاً وإجحافاً شخصياً، في سياق الغاية السامية للحياة الخاصة، - وبوجه الاحتمال [ستشكل] تلفاً للغرائز الروحية أو الانحطاط المبكر أيضاً، عندما نقوم بحسب وجهة النظر هذه لاغير، كل مزية من المزايا، كل خضوع، عفة، ورع وإنصاف. إن الثناء على النزيه، على المضحي المتطوع، على الفاضل - على ذلك الذي لايسلّط كل قوّته إذن وكل عقله على البقاء، على النمو، على السمو، على التفوق وعلى تنامي قوة حياته الخاصة، أما أن يحيا لذاته بتواضع وبلا مبالاة، وربما بلا اكتراث أو بسخرية أيضاً - فذلك الثناء ليس وليد روح النزاهة على أية حال! إن «قريب» لنا يطري على نزاهتنا لأنه يلمس فيها تفوقه! لو فكر الـ «قريب» نفسه بطريقة «نزيهية»، لكان رفض تشويهاً مماثلاً للقوة، خسارةً مماثلة لصالحه، لكان عارض نمو نوازع مشابهة، وقبل كل شيء كان برهن على نزاهته بامتناعه هو عن كل رافة! ها هنا ينفصح التناقض العميق لهذه الأخلاق التي هي اليوم بالضبط محط شرف : إن بواعث هذه الاخلاق تناقض مبادئها! ما تريد هذه الاخلاق أن تقيم به حججها تدحضه في نفس المحاولة بمعيارها الاخلاقي! إن الحكمة القائلة : «عليك أن تكفر بذاتك وأن تضحي بنفسك»، حتى لا تخالف عبرتها الاخلاقية الخاصة، يجب ألا تُعلن إلا من طرف نوع كفر هو الآخر، من جرّاء ذلك، بتفوقه، وربما سبب بالتضحية الواجبة من طرف أفراد [ما] عدمه الخاص. ولكن بمجرد ما يعظ القريب (أو المجتمع) بالغيرية في هدف نفعي، ستكون الحكمة المقابلة بالضبط : «يجب عليك أن تبحث عن تفوقك، ولو على حساب كل الآخرين» قد غدت مطبقة وسننصح بلا توقف ب «يجب عليك» و «لا يجب عليك قط»!

22 جدول أعمال للملك

بدأ النهار : لنبدأ [إذن] بتنسيق أشغال ومتنزهات عاهلنا اللطيف لهذا اليوم، والذي يروق له، حتى الساعة هذه، أن يبقى نائماً. سوف يجد جلالته اليوم

جواً رديئاً : سنتجنب نحن نعت [الجو] بالرديء ، لن نتحدث عن طبيعة الجو : ولكننا سندخل اليوم في أشغاله احتفالاً أكثر وفي متنزهه بذخاً أكثر مما يجب . ربما سيجد جلالته نفسه مريضاً : [لذلك] فخلال فترة الإفطار سنقدم له ، آخر خبر سعيد لعشية البارحة ، [مثل] مجيء السيددي مونتاني Monsieur de Montaigne ، الذي يعرف كيف يداعب مرضه بهذا المقدار من المرح - [إذ] أنه يعاني من الحصاة . سنستقبل بعض الشخصيات (شخصيات ! - ماذا يقول هذا الضيف المسن المتعجرف ، إذا سمع هذه الكلمة ! «ما أنا بشخصية قط ، سيقول ، أنا دائماً الشيء نفسه») - وستكون حفلة الاستقبال أطول مما يليق بأيّ كان : [وهذا] سبب كاف لتحدث عن هذا الشاعر الذي كتب على باب بيته «من يدخل هنا ، سيشرقني ، ومن لم يدخل قط : سيسعدني» . - تلك إذن طريقة كيّسة لقول الوقاحة ! وربما كان هذا الشاعر على حق ، من جانبه ، أن يكون وقحا : نقول إن أبياته ستكون أحسن من أبيات صانع مماثل . ليكن ! فليقل [أبياتاً] أخرى عديدة وليبتعد ما أمكن عن الناس : أليس ثمة معنى وقاحته الملائمة ؟ نشرثُ و كل البلاط يتخيّل أننا الآن نشغل وأنا نفرط في التفكير : [أننا] لانرى أبداً نورا صباحياً أكثر من ذاك الذي يضيء من نوافذنا ! - انتبه ! ألم يكن ذاك صوت الجرس ؟ إلى الجحيم ! النهار والرقص بدءاً ، ولا نعرف شيئاً عن متنزهاته . هكذا يجب أن نرتجل - الناس يرتجلون نهارهم ! لنفعل اليوم إذن ككل الناس ! - وأنئذ تلاشى حلمي الصباحي الغريب ، على الأرجح ، بالضربات العنيفة لساعة البرج ، والتي ، مع كل جاذبيتها الخاصة ، أعلنت الساعة الخامسة . يبدو لي أن المرة هذه ، أراد إله الأحلام أن يسخر من عاداتي . - في الواقع ، عادتي أن أبدأ النهار كما أرتبه لنفسني وأن أجعله محتملاً لنفسني أنا ، ولربما فعلت ذلك دائماً بطريقة مفرطة الصورية ومفرطة الأميرية .

23 معالم الفساد

إذا شئنا أن نتبين المعالم التالية في عمق الشروط اللازمة أحياناً للمجتمع ، والموصوفة بالـ «فساد» . فبمجرد ما يقع الفساد بطريقة معينة ، حتى تسود خرافة متنوعة ، في حين أن الاعتقاد التام الذي يجاهر به شعبٌ ما في عمومهم ، إلى ذلك الحين ، يخبو ويصبح ضعيفاً : إن الخرافة في الواقع فكر حرّ من الدرجة الثانية - والذي يهب نفسه لذلك يختار عدداً معيناً من الأشكال والصيغ التي تناسبه ، ويستند كذلك على حق الاختيار عينه . وبالمقارنة مع رجل الدين ، فإن الخرافي «أناني» جداً وسيكون المجتمع الخرافي ذاك الذي يحتوي الآن الكثير من الأفراد ،

وحيث تتجلى رغبة الفردانية مسبقا. إن الخرافة، وقد شوهدت من وجهة النظر هذه، تبدو دائما كتقدم بالمقارنة مع الاعتقاد وبمشابة المؤشر على أن العقل أصبح أكثر استقلالا وأنه أراد تأكيد حقه. وقتئذ يشتكي المولعون بالعقيدة القديمة، محامو التدين المفرط، من الفساد - فقد كانوا هم أنفسهم الذين كوّتوا إلى ذلك الحين المصطلح السائد، وقللوا من اعتبار الخرافة حتى لدى العقول الأكثر تحررا. لنعلم أنها دلالة على الإشراق. - ثانيا، نتهم بالانحطاط المجتمع الذي يتقدم الفساد في أرضه: ومن الواضح أن تقدير الحرب والميل للحرب فيه يتراجعان، بينما نصبو في المستقبل إلى رغد العيش بمثل الحرارة التي كنا نتطلع بها إلى الأجداد الرياضية والحربية. غير أننا نهمل عادة حقيقة أن هذه الطاقات القديمة، هذه الأهواء الشعبية القديمة التي كانت تحقق خارجانية مشرقة، أنها بعد الآن، أقل جلاء لتتحول منذئذ إلى أهواء متعددة للحياة الخاصة: من المحتمل أيضا أن تصبح حاليا قوة وعنقُ الطاقة، اللذان يُبدلان الآن لدى شعب ما، في ظروف الفساد أكثر من أي وقت مضى وأن الفرد يبذل منهما اليوم أكثر مما كان يستطيع أن يفعل فيما مضى - لم يكن آنئذ قويا بما فيه الكفاية ليفعل ذلك! وهكذا، ففي أزمة «الانحطاط» بالضبط تتردد المأساة على البيوت وتعم، ويولد الحب الكبير والكراهية الكبيرة، ويتعالى إلى السماء ألقُ المعرفة. - ثالثا، من عادتنا أن نسلّم بأن مراحل فساد مماثلة أكثر اعتدالا من المراحل السابقة وأن الفظاظة المقارنة من بعد مع فظاظة المراحل الأكثر اعتقادا والأكثر قوة لفي تراجع ملحوظ. لكنني لأستطيع أن انضم إلى هذا النوع من الشناء لاولا الى استنكارات مماثلة: سأقبل فقط بأن الفظاظة تتهدّب حاليا، وأن أشكّالها من الآن فصاعدا تضرّ بالذوق السليم: أما في مراحل الفساد فإن الاهانات والتنكيل بالكلام وبالنظر تبلغ أقصى تمثّلها - آنئذ نشأ الخبث والرغبة فيه كذلك. يتظاهر رجال الفساد بأنهم متقدّو الذكاء وافترائيون؛ يعرفون أنه توجد كذلك أنواع أخرى من الاغتيالات غير تلك التي تصنع بالخنجر وبالغارة؛ - يعرفون أيضا أن كل ما قيل بفصاحة موثوق به. - رابعا: بمجرد ما «تفسد الأخلاق» حتى تنبثق أولا هذه الكائنات التي نسمّيها طغاة: إنهم السابقون، وتقريبا [إنهم] طلائع الأفراد. بعد وقت قصير تبدو هذه الثمرة من دون سائر الثمرات، ناضجة وذهبية اللون في شجرة شعب [ما] - والحال أن هذه الشجرة ما وجدت إلا لحمل ثمار مماثلة! والتعفن في أوجه مثلما صراع كافة أنواع الطغاة، عندئذ يباغث القيصر دائما طاغية الختام، الذي يجعل حدا للصراع المستنفذ من أجل الهيمنة المطلقة للواحد،

مع الإبقاء على فعل التقزز لصالحه . ومع توليه للسلطة يجد الفرد نفسه عموماً في نضج تام ، والـ «ثقافة» ، بالتالي ، في قمّتها وفي الدرجة الأكثر غنى - ولكن ليس بسبب منه أو من طرفه قطّ : مع أن الرجال المثقفين إلى أبعد حدّ يحبون مدهنته عندما يحسبون أنفسهم أنهم من صنعه هو ، غير أنهم في الحقيقة بحاجة إلى سلام خارجي ، لأنهم يحملون بفؤادهم قلقهم وعناءهم . في الازمة تلك يكون شراء الذمم والخيانة ، هما الأكثر شيوعاً : ذلك أن حب الـ أنا ، الذي اكتُشف مؤخراً ، أضحى اليوم أكثر قوة من حب الوطن ، البالي ، المبتذل [و] المبدأ من فرط الكلمات : ثم إن رغبة الشعور بالأمان ضد تقلّبات الحظ جعل الأيدي الأكثر نبلا تمتد أيضاً ، بمجرد ما يكون هناك رجل قوي وغني قادر على دفع الذهب . توجد الآن ريبة كبيرة في المستقبل : لنحيا إذن من أجل اليوم ، هاهنا حالة عقلية حيث كل الغاوين يواتيهم الحظ - خصوصاً وأننا لانستجيب للغواية والفساد إلّا من أجل «اليوم» ، وننتظر المستقبل والفضيلة ! إن الأفراد ، هؤلاء [الذين ينادون] «بالشيء في ذاته» و «بالشيء لذاته» الحقيقيين ، ينشغلون باللحظة أكثر مما يفعلها الذين يعاكسونهم ، ناس القطيع ، لأنهم يعتبرون أنفسهم طارئين كالمستقبل : كما يتعلقون ، بطيبة خاطر ، برجال العنف لأنهم يشعرون بالقدرة على الفعل والتحاييل اللذين لن يعرفا لاتساعها ولالطفاء إزاء الطبقات الشعبية ، - ولكن يُتَّفَقُ أن الطاغية أو القيصر يتصوّر حق الفرد حتى في انتهاكاته هو ، وأن من مصلحته أن ينصّب نفسه لسان حال أخلاقيات خاصة ، بل وأن يدعمها . ذلك لأنه يظن بنفسه ، ويودّ أن يكون الظن فيه ما تلفّظه نابليون يوماً بطريقته الكلاسيكية تماماً : «لي الحق في أن أردّ على كل شكاويكم بـ أنا أبدي ، أنا مستقل عن الكل ، لأقبل شروط أحد . عليكم أن تخضعوا لكل نزواتي ، وأن تعتبروا الأمر بسيطاً أن تكون لي تسليات مماثلة» . هكذا تحدث نابليون إلى زوجته يوم كان لها من الأسباب ما يجعلها تشك في وفاء زوجها . - إن أزمة الفساد هي تلك التي تسقط فيها الثمار من الشجرة : أعني الأفراد ، الحاملين لبذور المستقبل ، المحرّضين على الاستعمار الروحي ، وعلى تكوين أعضاء جدد للدولة وللمجتمع . إن مصطلح «فساد» ليس سوى واحد من مصطلحات احتقار المرحلة الخريفية لشعب ما .

24 مختلف حالات الاستياء

إن الضّعاف والمتأثنين تقريباً من بين المستأثنين ، هم أناس ذوي طبيعة حساسة لتحسين وتعميق الحياة ؛ أما الأقوياء منهم الذين يمثلون العنصر الرجولي - لكي

نبقى أوفياء لصورتنا - يريدون إصلاح وسلامة الحياة. يبرهن الأولون على ضعفهم وتخنيثهم فيما يسلمون أنفسهم بسرور للانخداع، إلى حين، وينسجمون بلاشك مع النشوة والسطح، لكنهم لا يرضون على العموم، ويعانون من عدم رضاهم العضال؛ بالاضافة إلى ذلك يفضلون كل أولئك الذين يصطنعون عزاءات أفيونية ومنومة، ولأنهم لا يملكون إلا مقت أولئك الذين يفضلون الطبيب عن الكاهن فإنهم يغذون استمرارية الضيق الحقيقي! لو أنه وُجد في أوروبا منذ العصر القروسطي وفرة لا تحصى من غير الراضين من هذا الصنف، لربما ما كان من الممكن أبدا أن تتطور المهوبة الأوروبية الشهيرة الدائمة التحول: ذلك أن مقتضيات المستائين الرجولين فظة جدا وفي العمق بسيطة حتى لا يمكن إشباعها نهائيا. فالصين تقدم المثال عن بلد حيث عدم الرضى على نطاق واسع وحيث ملكة التحول مطفآن منذ قرون؛ والاشتراكيون، المولعون بالدولة في أوروبا، باستعمال كل قدرتهم بهدف إصلاح وسلامة الحياة يمكنهم بسهولة أن ينتهوا عندنا إلى شروط صينية، إلى «سعادة» صينية، شريطة أن يستأصلوا مسبقا عدم الرضى هذا، الرومانسية هذه، المرصنين أكثر، الرهيفين أكثر، المتأنثين أكثر، واللذين لا يزالان حتى الآن تحت وجوه متعددة. فأوروبا مريضة مدينة بأسمى عرفان جميل لاستحالة شفائها وللتحول الأبدي لألمها: هذه الحالات، هذه المخاطر، هذه الآلام وهذه السبل قد خلصت، بفعل تجدها الدائم، إلى بعث هذا النزق الثقافي الذي يشبه النبوغ تقريبا، وفي كل الحالات هو كل نبوغ.

25 غير مهيا سلفا للمعرفة

هناك نوع سخييف من الخضوع، وهو أمر غير نادر جدا، والذي منه أن يصاب المرء نهائيا بعدم القدرة على أن يكون طالبا للمعرفة. الحقيقة أنه في اللحظة التي يدرك فيها انسان من هذا النوع، شيئا مدهشا، يعود على أعقابته تقريبا، مخاطبا نفسه: «خطأ! ولكن أين كانت نباهتي إذن؟ يستحيل أن تكون [هذه هي] الحقيقة!» - ومنذ ذلك الحين، عوض أن يولي الأمر مرة أخرى عناية كبيرة وأن يرهف السمع باهتمام بالغ، يفرّ كأنه ارتعب أمام موضوع الغرابة ويحاول بأسرع ما يمكن أن يبعده عن أفكاره. ذلك أن شريعته الباطنية تأمره: «لن تلتمس رؤية ما يخالف الرأي السائد! هل خُلِقْتَ، أنت، لاكتشاف حقائق جديدة؟ فتمة [أخرى] قديمة عديدة».

26 ماذا يعني أن نحيا

أن نحيا - معناه : أن نلقي باستمرار بعيدا عنا شيئا ما ينزع إلى الفناء ، أن نحيا - معناه : أن نكون قساة وبلا رحمة بالنسبة لكل ما هو ضعيف وبال فينا ، وليس فينا فحسب . أن نحيا - سيعني إذن : أن نكون عديمي الشفقة تجاه المحتضرين ، البؤساء والعجّز؟ أن نكون قاتلين باستمرار؟ - ومع ذلك قال العجوز موسى : «لن تقتل قط» .

27 الذي يرفض

ماذا يفعل ذاك الذي يرفض؟ [إنه] يتوق الى عالم علوي ، يريد أن يتابع تحليقه أعلى وأبعد من كل أناس الموافقة - يتخفف من الكثير من الأشياء التي تُثقل انطلاقه ، ومن بينها العديد من الأشياء القيّمة العزيزة عليه : يتخلّى عنها طمعا في السمو . إن طريقة التضحية هذه ، طريقة الإلقاء [بالأشياء] من فوق الحافة ، هي ما يمثل المظهر الوحيد الظاهر من شخصيته : وانطلاقا من هذا المظهر نقول إنه يرفض ، وبهذا الشكل يقف قدامنا ، في ثوب راهب ، كأنه هيكل مسّح . لعلّه راض بهذا التأثير المماثل علينا : يريد أن يخفي طمعه ، فخره ، نيته في التحليق فوقنا بعيدا! - نعم ، هو محتمل أكثر مما نتصوّر ، ولطيف بالنسبة إلينا - هذا الانسان الواقعي ! ذلك أنه في الحقيقة كذلك ، رغم رفضه .

28 أن نؤذي لاننا نتفوق

أحيانا تدفعنا قوانا بعيدا جدا حتى لانكاد نتحمل نقائصنا أبدا فنُهلك بها : لاشك أننا نتوقع منفذا مماثلا ، ولانقبل بغيره قط . آنئذ فقط نمسي قساة اتجاه كل ما يطلب أن يُصان بداخلنا نحن ، وقوام عظمتنا في هذا الانعدام للشفقة . هذه التجربة المماثلة التي أدّينا ثمنها من حياتنا هي صورة لكل التأثير الذي يمارسه العظماء على الآخرين وعلى عصرهم : - وبواسطة ما يجعلهم متفوقين ، بواسطة ما هم قادرون وحدهم عليه ، به بالضبط يهدمون العديد من الكائنات الضعيفة ، المترددة ، [التي هي] في غمرة التحول ولا تملك إلا إرادتها . من هنا إذن يكون هؤلاء الرجال مؤذنين ، وعند اللزوم يمكن أن يحدث ، بعد كل تفكير ، ألا يكونوا سوى : أن الشيء الذي يجعلهم يتفوقون لا يتلقّى ولا يمتصّ تقريبا إلا من لدن أولئك الذين يفقدون صواب وحسّ الذات وكأنهم تحت وطأة مفعول شراب قوي : هؤلاء مأخوذون كما

بنشوة بحيث أنه لا يمكنهم أن يفعلوا أكثر من تكسير أعضائهم في كل الدروب المضللة، حيث تقودهم النشوة.

29 إضافات الكذب

حينما بدأت في فرنسا محاربة الوحدات الأرسطية الثلاث، وبالتالي الدفاع عنها كذلك، أصبح من الممكن مجددا أن نرى ما يمكن رؤيته غالبا، ولكننا لانشاهده إلا بانزعاج: بدأنا نفترض بواعث يمكن بها أن تبقى قوانين مشابهة قائمة، حتى لانسلم فقط بأننا اعتدناها وأنها لا نريد أبدا تغييرها. إنها الطريقة ذاتها التي نعمل بها في كنف كل أخلاق وكل ديانة سائدتين، وذلك ما كان دوما: أن البواعث والنيات التي تكون خلف عادة ما، لاتسند إليها إلا بكذبة رجعية، منذ اليوم الذي بدأ البعض ينكر عادة ما ويطالب بمعرفة مقاصدها وبواعثها. هنا تكمن أكبر عدم نزاهة محافظي كل الأزمنة: تكلفهم بإضافات الكذب.

30 كوميديا الرجال المشهورين

إن الذين - من بين الرجال المشهورين - هم بحاجة لمجدهم، كالساسة مثلا، لا يختارون حلفاءهم وأصدقاءهم أبدا دون نية سيئة: من فلان يريدون نصيبا من الجلال وصدى من فضيلته، ومن فلان آخر المظهر المخيف لخاصيات محيرة معينة يميزها بها كل واحد، فيما يصيرون أنفسهم متحلين لثالث عُرف بكونه عاطلا، وليتخذوا وضعاً مريحا أن يحسبوا من حين لآخر ساهين وكسالى، لأنه أمر يناسب مصالحهم الخاصة: وهو ما يسمح لهم بإخفاء أنهم كامنون، تارة بحاجة إلى غريب الأطوار بالقرب منهم، طورا إلى الخير، تارة للباحث الحائر، وطورا للمتحدثلق، كحضور أناهم الخاصة تقريبا، لكن يمكن كذلك أن يستغنوا عنهم! وهكذا تفنى حاشيتهم ومظاهرهم الخارجية باستمرار، بينما يبدو أن كل شيء يتعجل باتجاه هذه الحاشية ويسعى ليصبح «طبعاً» ها، الشيء الذي يجعلها تشبه أكبر العواصم. إن شهرتهم مثل طبعهم تظل في تحول دائم، ذلك أن وسائلهم المتغيرة تقتضي هذه التغيرات وتبرز هذه النوعية أو تلك، الواقعية أو الخيالية، لكي يدخلوها في المشهد [المسرحي]: وأصدقاءهم وحلفاؤهم يساهمون، كما قلت، في هذه الأنواع المسرحية. وبالمقابل يجب أن يبقى ما يريدونه صلبا، صلابة برونزية، [وعظيما] عظمة مستديمة - وذلك يقتضي أيضا تصنعا وألعاا تمثيلية أحيانا.

31 تجارة وأرستقراطية

أن تشتري وأن تباع يعتبران الآن شيئا مألوفاً كأن تقرأ وتكتب : ومع أن كل واحد قد تمرّن الآن، فلن يكون تاجراً أبداً، ولا زال يتمرن كل يوم على هذا النوع من التقنية كسالف الزمان تماماً : في الأزمنة البشرية البدائية، كل واحد كان صيّاداً ويتدرب مع تقادم الزمن على تقنية الصيد. لكن، ولو أن الصيد أصبح امتياز الأقوياء والنبلاء وفقد سمته المألوفة والعادية - من جرّاء أنه لم يعد ضرورياً ليكون قضية نزوة أو ترف - من الممكن في حقبة معينة أن يحصل نفس الشيء بالنسبة لفعل الشراء والبيع. يمكن أن نتصوّر ظروف اجتماعية حيث لا تشتري ولا تباع كثيراً وحيث ستتلاشى ضرورة هذه التقنية شيئاً فشيئاً : ربما سمح بعض الأفراد الأقل خضوعاً للظروف العامة حينئذ لأنفسهم فعل الشراء والبيع كترّف الإحساس. ابتداءً من هذه الفترة، وحدها التجارة ستكتسب امتيازاً، وربما سيكرّس الأرستقراطيون أنفسهم بسرور للتجارة عوض الحرب والسياسة اللذين مارسوهما سابقاً : بالمقابل يمكن من الآن فصاعداً أن تصبح السياسة قليلة القيمة تماماً، والتي كفت منذ الآن عن أن تبقى مهنة النبيل : وربما سنعتبرها يوماً أحقر من أن نصنّفها، ككل أدب حزبي وصحفي، تحت عنوان «عهاة الفكر».

32 مريدان غير مرغوب فيهما

— ماذا سأفعل بهذين اليافعين! صرخ بتبرّم فيلسوف كان يفسد الشبيبة مثلاً أفسدها سقراط قديماً، - إنها بالنسبة لي مريدان غير مرغوب فيهما. فذاك لا يعرف أن يقول لا، وهذا يقول في كل لحظة : «من زاوية ما»... . لنفترض أنها أدركا مذهبي، سيعاني الأول منه كثيراً، ذلك أن طريقة تفكيري تقتضي نفساً شرسة، إرادة التعذيب، رغبة في قول لا، جلداً صلباً - سيستسلم لجراحاته الظاهرة والخفية. وأما الثاني فكل قضية يدعمها سيكون مستعداً ليُجعل منها قضية بينَ بينَ - إن مريداً مماثلاً أتمناه لعدوي!

33 خارج قاعة الاجتماعات

لكي أبرهن لكم على أن الانسان ينتمي إجمالاً لجنس الحيوانات اللطيفة، سأذكركم بكل السذاجة التي برهن عليها منذ زمن بعيد. الآن فقط، أي مؤخراً جداً، وبعد جهود خارقة لكي ينتصر على نفسه بنفسه، أصبح حيواناً حذراً -

«نعم! إن الإنسان اليوم شرير أكثر من أي وقت مضى» - هذا ما قلنا أفهمه : لماذا يكون الانسان اليوم أكثر حذرا وأكثر شرا؟ - لأنه الآن يملك علما - «إنه بحاجة إلى علم!».

34 Historia abscondita (*)

كل إنسان عظيم يمارس تأثيرا زمنيا : بسببه يعاد النظر في كل التاريخ ، وآلاف أسرار الماضي تنبثق من مخبأاتها وتعرض لشمسه . - لانستطيع أن نتنبأ يوما بكل ما سيكون ثانية من التاريخ . ربما لا يزال الماضي ، جوهريا ، محجوبا . إن العديد من التأثيرات الزمنية ما تزال ضرورية!

35 بدعة وشعوذة

أن نفكر بخلاف ما جرت به العادة - فذاك مالا يعني من بعيد قط فعل أحسن عقل لا ولا فعل اندفاعات قوية ، فظة ، اندفاعات تفرق ، تُفرد ، اندفاعات متعجرفة ، خادعة ، والتي توصل إلى التمتع بضرر الآخرين . إن البدعة هي ند الشعوذة ، وبالتأكيد شيء ما أقل ضررا ، أقل وقارا في الذات كذلك . إن أصحاب البدع والمشعوذين يكوّنون نوعين من الكائنات الفظة : يشتركون في أنهم أنفسهم يحسّون بفظاظتهم ، لكن رغبة لا تُقاوم تدفعهم لإجهاد أنفسهم بطريقة مؤذية ضد كل ما يسود (رجالا أو آراء) . إن الإصلاح نوع من الازدواج العقلي القروسطي ، في حقبة لم يعد فيها لهذا العقل راحة الضمير ، أحدث أفواجا من النوعين .

36 كلمات أخيرة

سوف نتذكر الطريقة التي بدا بها الامبراطور أو غست غير متحفظ إزاء نفسه هو بكلماته الأخيرة ، هذا الرجل المدهش الذي كان يعرف كيف يصبح عنيفا وكيف يصمت مثل أي سقراط حكيم : لأول مرة سيسقط قناعه عندما أشار إلى أنه كان يرتدي قناعا وأنه كان يتظاهر بما لا يضمّر : كان يلعب دور أب الوطن والحكمة على العرش ، يلعب إلى حدّ الخداع! (1) Plaudite amici, comœdia finita est - إن حكمة نيرون وهو يحتضر : (2) Qualis artifex pereo! كانت هي حكمة أوغست

(*) تاريخ خفي .

(1) تصفيقات أيها الأصدقاء ، لقد انتهت الكوميديا !

(2) ياللفنان الفاني !

وهو يحتضر كذلك : غرورٌ ممثل فاشل ! ثرثرة بهلوان ! الرأي المعاكس بامتياز لسقراط وهو يحتضر. لكن Tibère مات صموتا، وهو الأكثر عذابا من كل أولئك الذين كانوا جلاّدي أنفسهم - لقد كان أصيلا، لم يكن ممثلا على الإطلاق ! ماذا يمكن أن يكون قد جال بخاطره قبل أن يلفظ نفسه الأخير؟ ربما كان الشيء التالي : « الحياة - ليست سوى موت طويل ! ألم أكن مجنونا عندما قصّرت حياة عدد هائل ! أَخُلِقْتُ لأكون مُحْسِنًا؟ كان عليّ أن أمنحهم حياة سمرمدية : وبذلك كان يمكن أن أراهم يتلاشون باستمرار. لذلك كان لي بريق جميل : (1) Qualis Spectator pereo! ». وبعد احتضار طويل عندما بدا أنه يستعيد قواه تبيّن أنه من الحكمة أن يُخنَّق تحت مخدّات، - فمات موتاً مزدوجاً.

37 بسبب أخطاء ثلاثة

لقد شجّعنا تطور العلوم خلال القرون الأخيرة، جزئياً لأن معها وبها كنا نأمل حسن فهم طبيعة وحكمة الإله - [هذا] سبب رئيسي لخلق عظماء الانجليز (مثل نيوتن) - جزئياً لأننا كنا نؤمن بالضرورة المطلقة للمعرفة، لاسيما بالرباط الأكثر باطنية بين الأخلاق، العلم والسعادة - [هذا] سبب جوهرى لخلق عظماء فرنسا (كفولتير) - جزئياً لأننا كنا ندّعي أن نمتلك وأن نحبّ في العلم شيئاً موضوعياً، غير ضار، مكتفياً بذاته، بريئاً حقاً وحقيقة، حيث لا وجود للإغراءات السيئة للإنسان على الإطلاق - سبب أساسي لخلق سبينوزا الذي، باعتباره عالماً، كان يحس بنفسه ربّانياً : - إذن بسبب أخطاء ثلاثة.

38 الأمزجة التفجيرية

إذا قوّمنا عموم رغبة الانفجار الكامنة في طاقة الشباب، فلن نستغرب إذا رأيناهم يعزمون على هذه المصلحة، أو تلك بقليل من الدقة وبقليل من الرويّة في اختيارهم : إن ما يحرضهم هو الغليان الذي تثيره مصلحة ما، أي رؤية الفتيل مُشعّلاً تقريباً - لا المصلحة في حد ذاتها. كذلك يدرك الغاؤون المراهفون جداً كيف يَعِدُّون بالانفجار والتغاضي عن تبرير مصلحتهم : ليس بالتبريرات قط نربح براميل من بارود مماثلة !

(1) يا للمشاهد الفاني !

39 تغير الذوق

إن تغير الذوق العام مهم أكثر من تغير الآراء : فالآراء بمجموع أدلتها، دحوضاتها وبكل تقنّعها الفكري ماهي إلا أعراض الذوق الذي يتغير وليست بالتأكيد دواعي هذا التغير، كما مازلنا غالبا نفترض . كيف يتحول الذوق العام؟ لكون أفراد منعزلين، أقوياء، ذوي مكانة، يعبرون بلاحياء عن -hoc est ridicu (1) بطريقة مستبدة : بهذا الشكل يحشمون الكثير إكراها يغدو شيئا فشيئا عادةً عدد أكبر وفي النهاية [يغدو] ضرورة الكل . لكن أن يحس هؤلاء الأفراد المنعزلون وأن يتذوقوا بشكل مخالف، فذاك ما يعود عادة لتفرد في طريقة عيشهم، تغذيتهم، هضمهم، [و] ربما لـ «كثير أو قليل» من الأملاح غير العضوية في دمهم وفي دماغهم، باختصار في Leur Physis (2) : الحال أن لهم جرأة الاستناد إلى جسدهم ورهاف السمع إلى مقتضياته الأكثر دقة : إن أحكامهم الجمالية والاخلاقية مطابقة لـ «مقتضيات دقيقة» مماثلة .

40 عن انعدام الأصل المتميز

للجنود والقواد دائما سلوك متبادل أكبر بكثير من ذاك الذي يوجد بين العمال وأرباب العمل . الآن على الأقل ما تزال كل ثقافة عسكرية مبررة، أعلى بكثير من كل ثقافة صناعية مزعومة : هذه الأخيرة، بصورتها الحالية، هي بصفة عامة شكل الوجود الأكثر ابتذالا والذي لم يُشهد له نظير إلى هذا الحين . هنا، ببساطة، يكون قانون الفاقة هو الذي يفعل فعله : نريد أن نحيا ويجب أن نباع، لكننا نحترق الذي يستغل هذه الفاقة ويتنازع لنفسه العامل . شيء نادر أن الخضوع لشخصيات قوية توحى بالخوف، بل بالعرب، الخضوع لطغاة ولقواد عسكريين، قلما يكون الاحساس به كطريقة مضمّنة أكثر من الخضوع لشخصيات مجهولة وغير مرغّبة، شأن كل علماء الصناعة الكبار؛ في شخص المستخدم لا يرى العامل عادة سوى رجل قاس ماكر، مستنزف، مستغل كل بؤس، حيث لا يبالي بالاسم، بالسياء، بالاخلاق وبالسمعة . وعلى الأرجح أنه إلى ذلك الحين كانت كل أصول وكل خاصيات السلالة المتفوقة التي تبدي الشخصيات مثيرة للاهتمام، كانت إلى ذلك الحين مغنّية بشكل كبير لدى أصحاب المصانع ولدى كبار رؤساء المؤسسات : لو

(1) عن سخريتهم ، عن عبثهم .

(2) في جسدهم .

كان لهم امتيازُ شرفِ الأصلِ في النظرة وفي السلوك، ربما لن تكون هناك اشتراكية طبقات شعبية قط. ذلك أن هؤلاء، إجمالاً، مهياؤون لأي إخضاع كان، شريطة أن يقرّ الفرد المتفوق عليهم دائماً بأنه الأكثر رفعة، بأنه مرصود ليقود - بتميّز في الأصل! إن الأكثر عامية يدرك جيداً أن التميّز لا يترجل وأنه جليل بما أنه نتاج قرون طويلة - في حين أن غياب الأصول المتفوقة والغلبة الحقيرة لصاحب المصنع ذي اليدين السميتين والمحمرّتين ينبئ بأن الصدفة والحظ وحدهما من رفعوا الواحد عن الآخر: هذا أفضل، يقول في نفسه، علينا أن نجرب الصدفة والحظ بدورنا! لنرّم النرد! - وتبدأ الاشتراكية.

41 ضد الحسرة

يرى المفكر في أفعاله الخاصة محاولات واستفهامات للحصول على إيضاحات حول شيء ما: النجاح والفشل بالنسبة إليه هما أولاً أجوبة. أمّا أن يغضب أو حتى أن يندم عن فشل ما - فذاك ما يتركه لأولئك الذين يعملون فقط لأنهم مأمورون بذلك، وعليهم أن يتوقعوا أنهم سيُضربون [ضرباً شديداً متواتراً] إذا كان السيد العافي مستاءً من النتيجة.

42 عمل وملل

أن نبحت عن عمل في سبيل الأجرة - فذاك تقريباً ما يتساوى فيه الناس في البلدان المتحضرة: فالعمل، بالنسبة إليهم جميعاً، ليس سوى وسيلة، لاهداف في حد ذاته، لذلك فهم أقل رهافة في اختيار العمل الذي لا تكمن أهميته في نظرهم إلا بما يتعهده من أجر، شريطة أن يؤمّن أجراً كبيراً. والحال أنه يوجد بعض الأشخاص النادرين، الذين يفضلون أن يهلكوا عن أن يكرّسوا أنفسهم للعمل دون ابتهاج؛ إن هؤلاء الناس الذين ينزعون إلى الاختيار، والذين من العسير إرضاؤهم هم الذين لا يرضون بكسب جسيم، مادام العمل في حد ذاته لا يمثل كل مكسب. لهذا الصنف من الناس ينتمي الفنانون ومحبو التأمل من كل ضرب، بل العاطلون كذلك، الذين يقضون حياتهم في المطاردة، في الاسفار أو في مكائد ومغامرات غرامية، كل هؤلاء يطلبون العمل وضرورة أن تكون المتعة مشتركة فيه، و[ليكن] العمل الأكثر تعباً، الأكثر صعوبة إذا اقتضى الأمر. الحاصل أنهم في تكاسل مُصمّم سبب العوز، الخزي، وخاطر بالصحة والحياة. لا ينخشون الملل أكثر من العمل بدون متعة: بل هم في حاجة إلى أن يملّوا كثيراً إذا طلبوا النجاح في عملهم

الخاص . إن الملل بالنسبة إلى المفكر، كما هو الشأن بالنسبة إلى كل النفوس الرقيقة هو بمثابة «هدوء رياح» الروح، المزعج، الذي يعقب الإبحار السعيد والرياح المرحّة : عليه أن يتحمّله، أن ينتظر النتيجة؛ ذاك بالضبط ما لا يمكن للناس الوهن إطلاقا أن يكسبوه من أنفسهم! فأن يطرد المرء الملل عن نفسه بأية وسيلة شيء مبتذل مثلما يحدث أن يعمل بدون متعة . لعل هنا ما يميز الآسيويين عن الأوربيين، أن يكونوا قادرين على هدوء أطول، أعمق من هؤلاء، حتى مخدراتهم تفعل على الهوينا وتقتضي الأناة، على العكس من الفجاءة المنفّرة للكحول، هذا السم الأوربي .

43 ماتفشيهِ القوانين

إنه لمن الخطأ الكبير أن نتوخى دراسة القوانين الجنائية لشعب ما كمعبر عن خاصيته : فالقوانين لا تكشف عن طبيعة شعب، بل عما يبدو له غريبا، فريدا، مخيفا، [كشيء] خارجي عنه . إن القوانين تعني بشذوذات سيرة الآداب : والعقوبات الأكثر قسوة تؤثر أيضا على ما هو مطابق في آداب شعب مجاور . هكذا لا توجد عند الوهابيين إلا حالتان من الحكم بالإعدام : أن تعبد إليها غير إله الوهابيين و - أن تدخن (أي ما يعين عندهم ك «طريقة شرب مشينة») . «وماذا عن القتل والزنا؟» سأل انجليزي مستغربا من نيا أشياء شبيهة . «وإذن، بعد! إن الله يفيض بالعفو وبالرحمة!» أجاب كبير القبيلة العجوز . - عند قدماء الرومان أيضا نخال أن المرأة لا يمكن أن تكون متهمة بخطيئة مميتة إلا بطريقتين : باقتراف الزينة - وشرب الخمر . ويزعم الرقيب العجوز أنه من باب السيطرة على النساء في هذه المسألة كنا قد سننا عرف المخادعة بين الأقرباء : مخادعة كانت تعني : تُشتم فيها رائحة الخمر؟ لقد عوقبت بالموت النساء اللواتي ضبطن في حالة تلبس؛ وبالتأكيد ليس فقط لأن النساء يفقدن كل قدرة على المقاومة تحت تأثير الخمر؛ ففي حقبة كان الخمر ما يزال حديث الاستعمال في أوروبا، كانت نساء الجنوب الأوربي تُؤسرن بين الحين والآخر بالظاهرة التهتكية والديونيزية التي كان يخشاها الرومان أكثر من كل شيء، كفضاعة خارجية ستقلب أساس الحساسية الرومانية : كان ذلك بالنسبة إليهم، بمثابة خيانة بخصوص روما، بمثابة إلحاقهم بالخارج .

44 الدوافع التي نؤمن بها

من الأهمية بمكان معرفة الدوافع التي التي بحسبها فعلا عملت الانسانية إلى هذا الحين ، يبقى أن الايمان بهذا الدافع أو ذاك ، أي بما تصورت الانسانية نفسها إلى الحين ذاته أنه بحصر المعنى وسيلة نفوذ لكل تصرفاتها ، ربّما يكون شيئاً أساسياً أكثر بالنسبة إلى المعرفة . إن الناس في الواقع ، قد أحسوا بهناء أو بقلق باطنيين حسبها آمنوا بهذا الدافع أو ذاك - لكن ليس بمقتضى حقيقة الدافع [في حد ذاته]! فكل ما ينطوي عليه هذا الأخير له أهمية ثانوية .

45 أبيقور

أجل أنا فخور بأن أكون موصوما بطابع أبيقور أكثر من أيّ كان ، وفي كل ما أتيج لي أن أسمع أو أن أقرأ عنه ، أن أنعم بالسعادة المسائية للعصور القديمة : - أرى عينيه تشاهدان ملياً بحراً واسعاً وفضياً ، من الجانب الآخر لأجراف الساحل حيث تستريح الشمس ، بينما كبير الحيوانات وصغيرها يتلهى باللعب في النور ، آمنا وهادئاً مثل هذا النور وهذه النظرة . سعادة ممائلة ، وحده الذي يكاد باستمرار يمكنه أن يكتشفها ، سعادة عين من في نظرتة سكن بحر الوجود ، والذي لم يتملّ بالمشهد من سطحه ومن هذه البشرة الأوقانية المبرقشة ، الخطرة والمرتعشة ، بما فيه الكفاية . لم يشهد أبداً بتواضع لذة مماثل من قبل .

46 استغرابنا

إن سعادة كبيرة وعميقة تكمن في أن العلم يكتشف أشياء تصمد أمام التجربة ولا تكف عن أن تتيح الفرصة لاكتشافات جديدة : يمكن أن يكون الأمر بخلاف ذلك! أجل ، إننا واثقون من كل شكّ ، من كل استشباح أحكامنا كما من التحول السرمدى للقوانين وللمعارف الإنسانية ، حتى أننا نظل مستغربين عندما نلاحظ كم ثابتة بقيت نتائج العلم! قديماً كنا نجهل كل شيء عن هذا التغيّر للأمور الإنسانية اللامحدودة ، كان التقليد الأخلاقي يؤيد الاعتقاد بأن كل حياة الانسان الباطنية كانت مثبتة بأظفورات خالدة لضرورة فولاذية : - لعلنا كنا نحس أنّنا بلذة استغراب شبيهة ، لما نسمع أساطير وحكايات خارقة . كان الخارق يمدّ هؤلاء الناس باستراحة كبيرة ، في ظروف معينة ، على الأرجح عندما ينهكهم الاقتداء والأبدية . أن لا نعرف بعدُ ماذا نفعل بصفة نهائية! أن نحلق! أن ننته! أن نكون مجانين ! ذاك ما ينتمي إلى

الجنة واللذات الغابرة : فيما غبطتنا شبيهة بغبطة الغريق الذي يضع قدميه على اليابسة القديمة - مستغربا من كونه يشعر بها تهتز .

47 كبت الأهواء

إذا منعنا عن أنفسنا، بشكل مستمر، التعبير عن الأهواء، بناء على أنها شيء يترك للأمزجة «السوقية» والخشنة جدا، للأمزجة البرجوازية والقروية، - بسعني أن ننوي ليس قمع الأهواء ذاتها، بل فقط لغتها وحركتها، فلن نبلغ إلا ما أردناه : أي كبت الأهواء نفسها، وإلا إلى إضعافها، إلى تعديلها - مثلما عرفت ذلك بصفة نموذجية محكمة لويس الرابع عشر وكل ما كان يتعلق بها . من هذا المنطلق كان مجتمع القرن الموالي، المؤسس على مراقبة تعبيره، عديم الأهواء كلية إلا من طبيعة لطيفة، سطحية، بشوشة - كأنه متأثر من عدم القدرة على أن يكون وقحا : حتى إهانة [ما] لم تُتلق وتُردّ بخلاف كلمات لبقة . لعل زمننا يقدم في ذلك الرأي المخالف الأكثر فُرادة : أرى في كل مكان في الحياة وفي المسرح، وليس بأقل في كل ما يُكتب، التلذذ الذي يتتابنا من الانفجارات والتحركات الأكثر خشونة للهوى : نقتضي، اليوم، نوعا من مشاركة العاطفي - لاستبعاد الهوى نفسه ! لكن نكايه بهذا الانحراف سنصل مع ذلك، وسيكون لخلفنا توحش أصيل، وليس التوحش وغمارة الأصول فقط .

48 معرفة البؤس

ربما لاشيء يميز بين الناس والحقب مثل درجة المعرفة المغايرة التي يملكونها على التوالي عن البؤس : بؤس الروح كبؤس الجسد . أما ما يتعلق بهذا الأخير، فنحن اليوم، رغما عن عجزنا وسرعة عطبنا، ربما نكون مسيئين ومخالفين للصواب في الآن ذاته، لغياب تجربة ذاتية غنية : مقارنة بحقبة ما للخوف - أطول الحقب كلها - حيث كان على الفرد أن يحتمي ضد العنف بوسائله الخاصة وأن يكون هو نفسه، لهذه الغاية، عنيفا . قديما كان الانسان يمر من تجربة غنية بالتعذيب وبالحرمان الجسدي وكان يتعرف ولو في نوع من القساوة تجاه نفسه، في تدرّب إرادي عن الألم، على وسيلة ضرورية لبقائه ؛ قديما كان الانسان يكون محيطه على تحمل الألم، كان يعذب إراديا وكان يساعد على أن يخضع الآخرون للأبرح في ذلك، دون أي إحساس آخر عدا طمأنينته الخاصة . لكن فيما يتعلق بالبؤس الروحي سأختبر الآن كل فرد لأرى هل يعرفه عن تجربة أم عن مجرد وصف ؛ إذا كان يعتبر مع ذلك أنه من

الضروري أن يتظاهر بهذه المعرفة ليعطي لنفسه مظهر ثقافة مرهفة ، أو أنه لا يؤمن في قرارة نفسه بحقيقة آلام الروح العظام ويحدث أنه عندما يسمع الحديث عن ذلك كأنه يستمع لتعداد محن بدنية كبيرة ، ألا يفكر إلا في آلامه المتعلقة بالأسنان والمعدة . والحالة هذه ، يبدو لي أن الأمر كذلك بالنسبة للأغلبية اليوم . ومن الانعدام العام للتجارب من هذه الناحية المزدوجة ، ومن جرّاء أنه أصبح من النادر أن نتبين التألم [بين الناس] ، نجمت في المستقبل عاقبة مهمة : أننا ننفر اليوم من الألم أكثر مما كان يفعل الناس قديما ، نقذفه أكثر من أي وقت آخر ، وحده حضور الألم باعتباره موضوعا للتأمل قد بدا أنه محتمل بالكاد ، ونحفظ له الضغينة في الحياة كلها حتى نجعل منه أزمة ضمير . إن ظهور الفلسفات المتشائمة ليس إطلاقا علامة على ضيق كبير ومخيف ، غير أن طرح قيمة كل حياة للبحث ثانية تلاحظ في حقب حيث يبدو تهذيب وتلطيف الوجود وكأنهما داميّان بإفراط ، وأعنف هي لسعات البعوض المحتومة للروح والجسد ، [تلاحظ في] حقب ينزع فيها فقر تجارب الألم الحقيقية إلى تأكيد تصورات تعذيبية عادية على أنها ألم جنس متفوق . طبعاً سيكون هناك علاج ضد الفلسفات المتشائمة ، ضد فرط الحساسية الذي يبدو لي أنه «بؤس الوقت الحاضر» الحقيقي : لكن ، ربما ستدوي وصفة العلاج بعنف في الأذان وستعتبر من بين العلامات التي بمقتضاها يعتقد أن « الوجود شيء قبيح » . هذه الوصفة ضد «البؤس» [هي] : البؤس .

49 الكرم وماشابهة

هذه الظواهر الغريبة التي هي اللامبالاة الفجائية في سلوك الإنسان العاطفي ، دعابة [الإنسان] السوداوي ، مثل الكرم الذي يرفض بالخصوص الانتقام وإشباع الرغبة فجأة - تتولد عند أناس تفعل فيهم طاقة قوية على التبذير ، عند أناس ذوي الامتلاء الفجائي والاشمئزاز الفجائي . إن تعويضاتهم جد سريعة وجد قوية لدرجة أن يتعقبها الضجر والنفور وفراغ مستهائم للذوق المناقض مباشرة : في هذا التقابل تنحل أزمة الحساسية ، عند فلان بلامبالاة فجائية ، عند فلان آخر بالضحك ، وعند ثالث بدموع وبتضحيات بالنفس . يبدو لي أن الكرم - على الأقل من هذه الفصيلة من الكرماء التي كان لها دائما احساس مفرط - انسان متعطش إلى الانتقام بدرجة عليا ، والذي تتاح له إمكانية إرواء الغليل ، ومن خلال تصوره لذلك ، يستلذّها ويرتوي بها بوفرة وبعثق إلى آخر قطرة ، حتى يعقب هذا الجنون المبالغ ، اشمئزاز رهيب مبالغ - ومستقبلا يعلو « على ذاته » كما يقال ، ويصفح عن عدوه

بل يمجّده ويبجّله . بهذا العنف الذي يمارسه على نفسه ، بهذا الشكل الذي يهين به اندفاعه للانتقام الذي كان قويا من قبل ، فإنه لا يستزيد إلا الاستسلام للاندفاع الجديد الذي يهيمن ، بدوره ، عليه الآن ، ويفعل ذلك بنفاذ صبر وبعنون مثلما كان من قبل يحدس لذة الانتقام توهُما ، لدرجة استنفاذها تقريبا . إن مدى الانانية الذي يوجد في الكرم نفسه يوجد في الانتقام ، غير أنه نوع آخر من الأنانية .

50 حجة التفرد

إن تأنيب الضمير، حتى عند [الإنسان] الأكثر دقة، يبقى ضعيفا بالنسبة إلى الاحساس [التالي] : «إن هذا [الشيء] أو ذاك مخالف للشميم الحميدة لمجتمعك» . فتور نظرة أولئك الذين في وسطهم ولأجلهم كنا قد تربّينا ، وسَمُّتهم المقطَّب ، ذاك ما يخشاه حتى الأقوى . أيُّ شيء يهابه إجمالا؟ الأفراد ! الحجة التي تفنّد حتى أحسن الحجج التي تكون لصالح شخص أو قضية ! - هكذا يتكلم فينا الحس القطيعي .

51 حقيقة

أوافق على كل شكوكية حيث سيكون مسموحا لي أن أجيب : «لنحاول !» على ألا أسمع أبدا حديثا عن الأشياء والقضايا التي لا تقبل التجربة . ذاك حدّ «حقيقتي» . لأنه فيما وراء الأشياء ، فقدت الجرأة حقوقها .

52 ما يعرفه الآخرون عنا

إن ما نعرفه نحن عن أنفسنا ونحتفظ به في الذاكرة ، ليس حاسما قطّ في سعادة حياتنا كما نعتقد . سوف يأتي اليوم الذي سيقع فيه على عاتقنا ما يعرفه الآخرون عنا (أويّدعون معرفته) ، ومن ذلك الحين سنعرف أن ثمة العنصر الذي سيقضي عليه إن الإنسان يتغلب بسهولة على إحساسه بالخطأ أكثر [مما يتغلب] على سمعته السيئة .

53 أين يبدأ الخير

حيثما تكف رؤية النظر الضعيفة عن تبيّن الطبيعة الفاسدة لإغراء ما ، بسبب دقته ، يظن الإنسان أنه في مملكة الخير وأن الاحساس بالدخول إليها فيما بعد يث إثارته لكل الإغراءات التي هدّدها وكتبها إحساسه بالخطأ ، كالأحاساس بالأمن ، بالتسلية ، بالرفق . هكذا : كلما تلاشى النظر كلما بدا أن ميدان الخير يتسع أكثر!

من هنا الفرحة الأبدية للشعب والأطفال! من هنا الكآبة والكدر للمفكرين الكبار،
من ذاك الاحساس بالخطأ!

54 الوعي بالظاهر

أي وضع عجيب وجديد، مرعب وساخر في الآن ذاته أشعر أنني احتله،
بمعرفتي، في مواجهة الوجود! لقد اكتشفت، من جهتي، أن البهيمية الانسانية
القديمة، بل جملة الأزمة الاصلية وماضي كل كائن حساس، ما تزال تنظم الشعر،
تحت، وتبت في - استفتت فجأة في منتصف هذا الحلم، لكي أعني أنني أحلم فقط
وأنه من الضروري أن استمر في الحلم حتى لأهلك : مثلما يجب على المتسرنم أن
يواصل الحلم حتى لا يسقط . ما معنى الـ «ظاهر» في عرقي؟ ليس في الحقيقة ضد
كائن ما - وماذا عساي أن أقول عن كائن ما لا يستأنف الإعلان عن صفات ظاهره!
بالتأكيد لا يتعلق الأمر بقناع ساكن يمكن أن نضعه وبلا ريب أن نخلعه أيضا عن
فلان مجهول! إن الظاهر هو حقيقة الشيء ذاتها، الفعالة والحية، والتي في شكل
سخريتها من نفسها تدفعني إلى الإحساس أن ثمة ظاهرا فقط، وهجا مستنقعا،
رقصات الإلفات (*) ليس إلا - بين كل هؤلاء الحالمين علي أيضا، لاني «عارف»،
أن أرقص رقصتي الخاصة، إلا أن الـ «عارف» ليس مهيا إلا ليكثر تأجيل الرقصة
الأرضية، وأن يُذَرَج بهذا المعنى من بين مديري أعياد الوجود، وأن تؤسس نتيجة
كل المعارف ووثاقها الفائق الوصف، وسيؤسسان ربا، الوسيلة السامية لضمان
شمولية الهواجس وتفاهم كل هؤلاء الحالمين المتبادل، وبالتالي لتعهد دوام الحلم.

55 معنى النبالة

أي شيء يكون نبالة كائن ما؟ بالتأكيد، ليس أن نضحى : فحتى الفاجر الحائق
ي قدم توضحيات [ما]. يقينا ليس أن نستسلم لهوى ما، فثمة أهواء حقيرة . ويقينا
ليس أن نعمل شيئا ما لصالح الآخرين ودون أنانية؛ فربما كانت نتيجة الأنانية هي
بالضبط الأقوى لدى النبلاء . - إن ما يصنع نبالة كائن ما هو أن الهوى الذي يؤله
تفرد، دون أن يعرف، هو نفسه، عن ذلك شيئا؛ إنه استعمال معيار نادر وفريد
وممارسة جنون تقريبا، [إنه] الإحساس بالدفع في الأشياء التي تظل باردة بالنسبة
لكل الآخرين، [إنه] حدس قيم لم يخترع لها ميزان بعد، [إنه] المحرقة (**) المقدمة
لقداس إله مجهول، [إنه] الشجاعة دون طموح في الأعجاد؛ [إنه] التواضع الذي

(*) مفردا «إلف» (elfe) جني صغير في أساطير إسكندنافية يرمز إلى الهواء والنار . . . إلخ

(**) Holocauste : ذبيحة تحرق للتضحية بها . . .

يفيض بالثروات ويغني الناس والأشياء . حتى الآن إذن كانت الندرة واللاوعي بهذه الندرة هما ما يصنع نبالة كائن ما . لكن علينا أن نفهم جيدا أن قاعدة مماثلة تقتضي حكما غير منصف على كل شيء اعتيادي ، مباشر ، ضروري ، وباختصار على كل ما يساهم أكثر في حفظ النوع ، وبطريقة مطلقة على قاعدة الانسانية نفسها إلى ذلك الحين ، [القاعدة] التي نفتريها بهذا الشكل على حساب الاستثناءات . أما أن نتخذ من أنفسنا المدافع عن القاعدة ، فلربما كان ذلك هو الشكل والنباهة الساميان اللذان ينكشف فيهما معنى النبالة على الأرض .

56 الرغبة في الألم

حينما تخطر ببالي رغبة القيام بشيء ما ، مثلما تحمّس [هذه الرغبة] وتثير باستمرار ملايين من الشباب الأوربي حيث لا يتحمل أحد الملل أكثر مما يستحمل نفسه هو - أعرف أنه لابد أن توجد لديهم الرغبة في ألم ما ليخرجوا بسبب قاطع على الفعل . الضرورة ضرورية ! من هنا الصياح الكثير للسان ، من هنا «الازمات الاجتماعية» المزعومة لكل الطبقات ، الكثيرة بقدر ما هي خاطئة ، متخيّلة ، مبالغ فيها ، وكل هذه الهمة العمياء التي وجب تصديقها . إن ما يطالب به هذا الجيل الجديد ، هو أن يكون من الخارج ما يأتيه جليًا - ليس السعادة - بل الشقاء : وقد انشغل هواه مسبقا بأن يجعل من ذلك غولا ، حتى يكون له فيما بعد غول ليصارعه . ولأنهم جد متلهفين للضرورة فإنهم يحسون بالقوة ليحسنوا لأنفسهم داخليا ، [يحسون] بالقوة على ممارسة العنف على أنفسهم ، [و] يستطيعون كذلك داخليا خلق ضرورات خاصة وشخصية ، لأنفسهم . إن اكتشافاتهم ستكون إذن أكثر دقة ، وسيكون لإشباعاتهم إيقاع موسيقى ممتازة : بينما يُصْدي العالم الآن لأصواتهم ، ولا يفعمونه في الغالب الأعم إلا بالأحاساس بالضرورة ! لا يعرفون ماذا يفعلون بوجودهم الخاص - وهكذا يستحضرون شقاء الآخرين : فهم دوما بحاجة للآخرين ! ودوما [بحاجة إلى] آخرين آخر ! - اسمحوالي ، أصدقائي ، لقد سمحت لنفسي بأن استحضر سعادتي .

الكتاب الثاني

57 إلى الواقعيين

وأنتم أيها الرجال المتحفظون، الذين تشعرون بالحذر ضد الشغف والجنون، والذين تصنعون من فراغكم عن طيب خاطر موضوع كبرياء وزينة، تدعون بأنكم واقعيون وتزعمون أن كذلك يبدو العالم لكم، وكذلك يكون في الواقع: لكم وحدكم يعرض الواقع نفسه عاريا وأنكم ربما كنتم أحسن ضلع فيه - واه يا صور سايس العزيزة! لكن أستم دائما، حتى في حالتكم الأكثر انكشافا، أناسا هائمين ومظلمين بصراحة، مشبهين بالاسماك ومشابهين فوق الحد أيضا لفنان عاشق؟ - وبالتالي ما «الحقيقة» بالنسبة لفنان عاشق! إنكم لا تكفون قط عن استرجاع طريقة ما في تقييم الأشياء، طريقة لها أصلها في أهواء وشغوفات القرون القديمة! إن تحفظكم ذاته سيظل مشبعا بنشوة خفية متعذر إخمادها! إن حبكم للـ «حقيقة» مثلا - ليس سوى شغف قديم، آه كم هو قديم! في كل إحساس، في كل انطباع بالغ يكمن جزء من هذا الشغف القديم، وبعد كل حساب، فقد كان للاستشباح، للحكم المسبق، للجهل، للأوعي ولأعرف أية أشياء أخرى، نصيب في تشكيل [ذلك]! انظروا إلى هذا الجبل، وإلى الغيمة هناك! ما الـ «واقعي» فيها إذن؟ غضوا النظر عن الاستيهام وعن كل إسهام بشري أيها الرجال المتحفظون! آه لو كنتم تقدررون! لو أنكم على الأقل كنتم تستطيعون نسيان أصلكم، ماضيكم، تكوينكم السالف - مجموع إنسانيتكم وحيوانيتكم! لا توجد «حقيقة» قط بالنسبة لنا - لا ولا لكم أيها الرجال المتحفظون - وكلانا غير غريب عن الآخر كما تزعمون، وربما استحق استعدادنا للخروج من النشوة من العناية مقدار إيمانكم بأنكم غير قادرين حتى على الانتشاء.

58 لا يمكن أن ندمر إلا باعتبارنا مبدعين

هو ذا ما يكلفني ولا يكف عن أن يكلفني دائما المجهودات الأكبر: أن أفهم أن المهم بطريقة لا توصف هو أن أعرف كيف تسمى الأشياء أكثر مما هي عليه. إن التسليم بشهرة الشيء، باسمه وظاهره، بقيمته، بوزنه وقياسه الشائعة - التي ليست في الأصل سوى نوع من الخطأ، من الاعتباط اللذين يخال الشيء نفسه أنها أضفيا عليه كثوب غريب على طبيعته وعلى بشرته بالتمام - [هذا التسليم] الذي يورث من جيل لآخر، قد فعل فيه شيئا فشيئا مثل جسم الشيء نفسه، [إذ أن] ظاهر البداية ينتهي دائما بأن يصبح جوهرًا ويعمل باعتباره جوهرًا! أي جنون كان سيكون في

الزعم أنه يكفي إبطال هذا الأصل ، هذا القناع الضبابي من الهذيان لتدمير العالم الذي يعتبر أساسيا ، [لتدمير] الـ «حقيقة» المزعومة ! وحدهم المبدعون قادرون على التدمير! غير أنه لا يجب أن ننسى قط ما يلي : يكفي أن نبذع أسماء جديدة ، تقديرات ، احتمالات جديدة لنبدع على التهادي «أشياء» جديدة .

59 نحن الفنانون

عندما نعشق امرأة ، نمقت بسهولة كل أنواع الأشياء الكريهة التي أخضعت الطبيعة المرأة لها ، طواعيةً نبعتها عن عقولنا ، لكن عندما يحدث أن تلمس أرواحنا هذه الأشياء ، فإنها ترتعش بنفاذ صبر وتنظر للطبيعة بمظهر احتقار : - إن الطبيعة تغيظنا ، الطبيعة التي يبدو أنها تغتصب ثروتنا ، وذلك بأيادٍ جاز لها انتهاك الحرمات . نرفض الاستماع لأدنى مصطلح [من مصطلحات] الفزيولوجيا ، ونعلن في أنفسنا : «لا أريد أن أسمع شيئا من جزاء أن الانسان شيء آخر أيضا غير روح وصورة!» ، إن [عبارة] الـ «كائن البشري تحت البشرة» قبيحةٌ جدا ، وشيءٌ غير معقول بالنسبة لكل العشاق ، [إنها] تدنيس في حق العشق . - والحال أن هذا النوع من الاشتمزاز الذي لا يكفّ العاشق يحس به تجاه المظاهر الدنيئة للطبيعة ، كان كل عابد للإله و «جبروته» يحس به فيما مضى : في كل ما كان يقوله الفلكيون ، الجغرافيون ، الفزيائيون ، الأطباء عن الطبيعة ، كان يرى فيه تدخلا في قدرته الخاصة العزيزة ، فهو اعتداء إذن - وفضلا عن ذلك هو عدم حياء من طرف المعتدي! لقد كانت «قوانين الطبيعة» أيضا مخالفة للأخلاق بالنسبة له مثلما هي تجديف : جوهريا ، كان بوّده أن يُرجع كلّ إوالية لأفعال أخلاقية إرادية أو اعتبارية : وبما أنه لم يكن باستطاعة أحد أن يؤدي له هذه الخدمة ، فقد اكتتم لنفسه ، قدرما استطاع ، الطبيعة وإوالتها وعاش كأنها في حلم . آه لقد كان هؤلاء الناس الغابرون يمهررون في الحلم ولهذا لم يكونوا بحاجة إلى أن يناموا! - ونحن أناس اليوم ، مازلنا نمهر في ذلك أكثر بكثير رغما عن استعدادنا للسهر ولوضح النهار! يكفي أن نعشق ، أن نكره ، أن نشتهي ، وببساطة أن نحس ، لكي يوحى إلينا الطيف وقوة الخيال . وها نحن نرتقي بتيقظ ، المسالك الأكثر خطورة ، غير أبهين بكل مخاطرة ، على السطوح على الأجراف وعلى أبراج التخليل دون أدنى دوار ، للتسلق خلقنا - نحن متسرّعون النهار! نحن الفنانون! نحن كاتمو الطبيعة! نحن غريبو الأطوار والباحثون عن الإله! نحن المسافرون إلى صمت الموت ، المسافرون الجلد على أعالي لا نحسبها كذلك ، نعتبرها سهولنا ، [نعتبرها] يقينياتنا .

60 النساء وتأثيرهن البعيد

أما تزال لي أذنان؟ ألسنت بعد سوى أذن ولا شيء عدا ذلك؟ في وسط اضطرام ارتداد الأمواج حيث تتدفق ردة اللهب المزبدة حتى قدمي - ليس [اللهب] سوى عويل، وعيد [و] زعيق يُهاجمني، بينمارجة الأرض القديمة، في كهفها الأكثر عمقا، تغني بلارنين لحنها كثور خائر: أثناء ذلك، بقدمها الرَّاج، تعين نغما كما يهتز قلب شياطين هذه الصخور المفتتة. حينئذ عند أبواب هذه المتاهة الجهنمية، كأنه تدفق من العدم، بعيد بباعين فقط، يظهر مركب شراعي عظيم يعبر بانسياب شبحي صامت. أيها الجمال الشبحي! أي سحر لا يمارسه علي؟ ماذا؟ أينقل هذا الزورق الصغير راحة العالم الصموت؟ أترسو غبطتي الخاصة هناك، في ذلك المكان الهاديء؛ أناي أكثر حظا، [و] أناي الثانية نفسها مخلدة؟ لم أمت بعد، على أني الآن لست حيا؟ منزلقا وعائما، أكون وسيطا، شبحيا، صامتا ورائيا؟ شبيها بالمركب الذي يحوم بأشرعته البيضاء فوق البحر، كفراشة عملاقة؟ آه، أن نحلق فوق الكائنات كلها! هو ذاك، هو ذاك مايلزم! أتكون هذه الضجة إذن قد صيرتني غريب الأطوار؟ إن كل هيجان يرفعنا لتخيّل الغبطة في السكون والمكان النائي. حينما يجد الإنسان، الذي كان مرتعا لضجته الخاصة، نفسه في وسط ارتداد أمواج «انجاسات»ه ومقاصده: سيرى على الأرجح حينئذ كائنات ساحرة وصامته تنساب أمامه أيضا، حيث يتمنى الغبطة والعزلة - وهذه الكائنات، هي النساء. يود أن يعتقد بأن هناك، بالقرب من النساء، كانت ستقطن أحسن أناه: أن في هذه الأماكن الساكنة كانت ضجته الأعنف ستهدأ كما في سكون الموت، وستغزو الحياة حلم الحياة بالذات. لكن! لكن! أيها المتحمس النبيل، فحتى على أجل المراكب ليس هناك ضجة وضوضاء أقل، وللأسف [هناك] مقدار كذا من الضوضاء الرديئة! إن أقوى سحر النساء، هو أن نعرّف به إلى مسافة بعيدة، وحتى نتكلم لغة الفلاسفة، إنه actio in distans (*): لكن لبلوغ ذلك يجب أولا وقبل كل شيء - بعض المسافة!

61 في شرف الصداقة

إن عاطفة الصداقة كانت تقوم في القديم مقام العاطفة السامية، بل أسمى من الأنفة الأكثر مباهاة لدى الحكماء وأولئك الذين يكتفون بأنفسهم، كالعاطفة

(*) الفعل عن بعد.

الفريدة تقريبا، بل الأكثر قداسة، التي تم ربطها بالمباهاة : هنا ما يفسر جيدا حكاية ملك مقدونيا ذاك الذي بعد أن أهدى هبة لأحد فلاسفة أثينا، حَدَثَ أن أرجعها إليه هذا الأخير، الذي كان يفتخر باحتقاره للناس . «كيف؟ - يقول الملك لاصديق له قط»؟ كان يريد أن يقول بذلك ما معناه : «أعجّب مباهاة الحكيم والمستقل هذه، كنت سأعجّد انسانيته أكثر، لو كان الصديق فيه قد أحسن التغلب على المباهاة . إن الفيلسوف قد فقد اعتباره في عينيّ، من إثباته أنه يجهل إحدى هاتين العاطفتين الرفيعتين - وبالخصوص الأكثر سموا [منهما]» .

62 عشق

العشق يغفر حتى الطمع في المعشوق .

63 المرأة في الموسيقى

كيف يحصل أن تقتاد الرياح الساخنة والممطرة معها أيضا الحالة الروحية الموسيقية والطبع الخلاق للحن؟ ألا يمكن أن تكون هي الرياح عينها التي تفعم الكنائس والتي توحى بأفكار غرامية للنساء؟

64 شكوكيون

أخشى ألا تكون النساء المسنّات شكوكيات قط في الطيبة الأكثر سرية من قلوبهن ككل الرجال : فهن يؤمنّ بسطحية الوجود كما بجوهره الحقيقي، وكل فضيلة، كل عمق النفس ليسا في نظرهن سوى إخفاء لهذه الـ «حقيقة»، إخفاء Pudendum (*) مرغوب أكثر - [المسألة] مسألة لياقة إذن، لا أكثر!

65 إخلاص

هناك نساء نبيلات ذوات هزلة فكرية معينة، اللواتي لا يعرفن كيف يعبرن بشكل مخالف عن إخلاصهن الأكثر عمقا، إلا بعرض عفتهم وحشمتهم : أسمى ما يملكن . وغالبا ما يكون هذا العطاء مقبولا، دون دعوة الممنوح بحرارة مثلما تفترضه المانحات - أمر محزن جدا!

66 قوة الضعفاء

كل النساء يظهرن أنفسهن في غاية الرقة في تعظيم نقائصهنّ ، بل ولبيبتن في اختراعها ليظهرن هشّات مثل التزيينات التي مجرد ذرة عفر تفسدها : فوجودهن يقتضي أن يُشعر الرجل بثقله الخاص وإرهاق إحساسه بذلك . هكذا يدافعن عن أنفسهن ضد «حق القوي على الضعيف» .

67 أن يتظاهر [المرء] بطبيعته الخاصة

إنها تحبه من الآن فصاعداً ، ومنذ ذلك الحين وهي تنظر أمامها بثقة بقرة ، غبية : واحسرتها! كانت قد فتنته بظاهر مزاج متقلب ومتعذر ضبطه تماماً ، حتى كان بدوره مشبعاً زيادة باعتدال مزاجه الخاص! أما كان عليها من الأحسن أن تتظاهر بطبيعتها الخاص؟ أليس ذاك ما ينصحها به - الحب؟ vivatcomoedia! (*) .

68 إرادة وقبول

جاء بشباب عند حكيم : «هذا واحد - قيل له - من الذين أُفسدوا من طرف النساء!» أخذ الحكيم يبتسم وهو يهز رأسه : «إن الرجال هم الذين يفسدون النساء ، وكل ما يغيب عن النساء يجب أن يكفّر عنه وأن يُصلح من طرف الرجال - ذلك أن الرجل يشكل صورة عن المرأة ، والمرأة تظهر طبقاً لهذه الصورة .» - أنت مفرط اللطافة مع النساء ، قال أحد الحاضرين ، إنك لاتعرفهن قط! «فأجاب الحكيم : «إن طبيعة الرجل إرادة ، [بينما] طبيعة المرأة قبول - هذا ناموس الأجناس - قاس على النساء!» كل الكائنات البشرية بريئة من وجودها ، والنساء كذلك لكن من درجة ثانية : من إذن يمكنه أن يملك كفاية من المسح والرافة على النساء!» - «المسح! الرافّة! ماذا تقول؟ صاح آخر من بين الجمع : الأمر يتعلق بأن نربي النساء أفضل!» «الأمر يتعلق بأن نربي الرجال أفضل» ، قال الحكيم ، وأشار على الشاب بأن يتبعه . - لكن الشاب لم يتبعه قط .

69 استعداد للانتقام

أن لا يستطيع أحدهم أن يدافع عن نفسه وبالتالي لا يريد أن يفعل ذلك إطلاقاً ، هو ذا في نظرنا ما لن يكون بالنسبة إليه سبب خجل قط : غير أننا قلّمنا نقدر من

(*) لتحي الكوميديا!

ليست له لاموهبة ولا إرادة الانتقام — ليس المهم أن يتعلق الأمر برجل أو بامرأة . هل تستطيع المرأة أن تأخذنا (أو كما نقول ، أن «تفتن» نا) من حيث لاندري ، عند اللزوم ، هل تعرف كيف تستعمل الخنجر (أي نوع من الخناجر) ضدنا؟ أو ضد نفسها هي : ذاك ما يكون في حالات معينة انتقاما أكثر حساسية (الانتقام الصيني) .

70 المهيمناات على السادة

أحيانا في المسرح بمجرد ما نسمع صوتا ألتو (*) عميقا وقويا ، نخال أن الستار يرفع على إمكانيات لانتخيلها عادة : [و] فجأة نطن أنه في مكان ما من العالم يمكن أن توجد نساء هنّ أرواح سامية ، بطولية ، ملكية ، صالحة ومستعدة للقاءات ، لإقدام ولتضحيات عظيمة ، ذلك أن أحسن ما في الرجل يبدو وكأنه أصبح فيهن ، من الجانب الآخر للاختلاف الجنسي ، المثل الأعلى مجسدا . صحيح أنه ليس من قصد المسرح أن يقدم فكرة مماثلة عن المرأة بهذا النوع من الأصوات : إجمالا ، عليهن أن يصوّرن العاشق الرجولي المثالي ، كروميرو (Roméo) ، غير أن الأمر يبدو لي من خلال تجربتي ، أن المسرح والموسيقى ، اللذين يتوخيان من هذا النوع من الأصوات تأثيرات شبيهة ، يرتكبان عادة خطأ ما . إننا لانصدّق عشاقا مماثلين : [ذلك] أن لهذه الأصوات دائما تفرّدا في الطابع الأمومي الخاص أيضا برّة البيت ، سيما وأن الحب يكون في أدائهن بإكراه كبير .

71 عن العفة النسائية

ثمة شيء من المدهش والفظيع تماما في تربية النساء الكريبات الشائل ، وربما ليس هناك شيء أشد تناقضا منه . فكل الناس متفقون على تربيتهنّ في أكبر جهل ممكن in erosis (**) ، لترسيخ حشمة عميقة في نفوسهن من هذه الاسئلة في نفس الوقت [الذي نرسخ فيه] نفاذ صبر عنيف وشيء يشبه الرغبة في الفرار . باختصار ، هنا فقط يبدو أن كل عفة النساء قد استُخدمت : ألا نوفر عليهن ذلك أكثر مما ينبغي ! غير أننا نحرص على أن يبقين غير واعيات في هذا الصدد حتى أعماق قلوبهن : ينبغي ألا تكون هن عيون ، آذان ، كلام ، أفكار لهذا الـ «أذى» الذي سيكون صالحا هنّ : [ذلك] أن مجرد المعرفة [به] هي الشرّعينه . ومنذ ذلك الحين

(*) Alto : أخفض الأصوات في غناء النساء (المنهل) .

(**) بالإيروسي .

أُلقيت كما بصعقة حب مريعة في الواقع واعتقاد الواقع ، في لحظة الزواج - وفضلا عن ذلك بالذي يتعلّق به ويقدره أكثر ، - الوسيلة لاكتشاف التناقض الفطيع بين الحب و الحشمة ، للإحساس في نفس الوقت بالنشوة ، بالتبرع بالذات ، بالواجب ، بالشفقة وبالرعب الناتج عن التعايش اللامعقول للإله والحيوان ولا أعرف أي شيء آخر أيضا! - هل سبق أن دبّرنا عقدة أبهم في النفس من هاته؟ حتى الفضول الشغوف لن يكون كافيا لأحكم عارف بالقلب البشري لكي يحزر الوسيلة التي ستهدي بها هذه المرأة أو تلك إلى حلّ لغز مماثل ، و إلى لغز حلّ مماثل ، وأية ريب فظيعة ومجسّية (*) ستفعل في النفس البئيسة التي شُقّت عن نفسها ، إلى درجة أن ثمة ترسخ قصارى فلسفة وشكوكية المرأة! ثم ، إنه نفس الصمت العميق الشبيه بالأنف : هناك صمت غالبا ، طريقةً للانكفاء على الذات . - إن النساء الصغيرات السن يجهدن أنفسهن ليظهرن سطحيات وطائشات : وأشدّهن نباهة يتظاهرن بنوع من الوقاحة . - إن النساء يختبرن أزواجهن بسهولة كعلامة استفهام عن حياتهم الزوجية وابنائهم كتبرير أو توبة - إنهن بحاجة إلى أطفال ، ويرغبن فيهم بمعنى مخالف تماما لما يمكن للرجل أن يرغب فيهم . باختصار لانستطيع أن نكون أكثر حنوا تجاه النساء!

72 الأمهات

إن الحيوانات تتصور الإناث بخلاف [مايتصوره] الرجال [عليهن] : الأنثى بالنسبة إليها ، قيمتها في طبيعتها الإنتاجية . لوجود عندها [أي الحيوانات] حبّ أبويّ ، هناك شيء يشبه الحب الذي نكنّه لأبناء العشيقة ، والطريقة التي نتعوّد عليها في ذلك . تجد الإناث في صغارهن إشباعا لرغبتهنّ في السيطرة ، [يجدن فيهم] ملكية ما ، انشغالا ما ، شيئا واضحا بالنسبة لهنّ تماما ، يمكن أن نثرثر معه : كل هذا يكون الحب الأموميّ - مثل حب الفنان لأثره . إن الحمل قد صيّر النساء حنونات أكثر ، صبورات أكثر ، هلوغات أكثر ، لقد أعدّهنّ جيدا للإذعان ، وكذلك الحمل الفكري ينمّي طبع محبّي التأمل ، حليفي الطبع الأمومي : أولئك أمهات ذكورية . و [عند] الحيوانات يعرف الجنس المذكر بالجنس اللطيف .

(*) Tentaculaire و Tentacule : زائدة لامفصلية قابلة الانغماط والانكماش ، توجد عند بعض الحيوانات تمكنها من القبض على فريستها أو التماس طريقها .

73 قساوة ظاهرة

رأى قديس رجلا قاصدا إياه وهو يحمل وليدا : «ماذا عساي أن أفعل بهذا الطفل ، سأل هذا الأخير، فهو مُعْدِم ، مخْفِق ، ولم يعش كفاية ليموت» . - «اقتله» ، صاح القديس بصوت عنيف ، «اقتله وخذه ثلاثة أيام وثلاث ليال بين ذراعيك ، حتى تتذكر ذلك : بهذا لن تلدَنَ طفلا أبدا إذا لم يكن الوقت ملائما» . عندما سمع الرجل هذه الكلمات ، رحل خائبا : ولام كثير [من الناس] القديس لكونه نصح بالإقدام على فعل قاس ، كقتل الطفل . «لكن أليس أكثر قساوة أن ندعه يعيش ؟» قال القديس .

74 النساء غير المحظوظات

إن الحظ لايسعف دائما هاته النساء المسكينات اللواتي يبدن قلقات وقليلات الخطوة ، ويتكلمن بإفراط في حطرة الذي يعشقنه : ذلك أن رقة خفية وباردة معينة هي أكثر مايفتن الرجال بالتأكيد .

75 الجنس الثالث

«أن يكون الرجل قصيرا فتلك مفارقة ، ولكنه رجل بعد كل حساب - بالمقابل ، إن النساء القصيرات ، مقارنةً بالنساء الطويلات القامة ، يبدن لي من جنس آخر» كان يقول معلم الرقص العجوز . المرأة القصيرة ليست أبدا جميلة - قال الشيخ أرسطو .

76 أعظم مخاطرة

لَوْ لم يكن هناك على الدوام جماعة من الرجال الذين كانت تربية عقولهم - «عقليت» هم - تكون بالنسبة إليهم موضوع فخرهم ، واجبهم ، فضيلتهم ، والذين كانوا ، باعتبارهم محبّي «العقل السليم المشترك» ، يعتبرون أنفسهم مهانين ومذلّين من طرف كل جنون وكل هذيان فكري ، لكانت البشرية قد انقرضت من زمن بعيد! ففوقها يخلق دائما الجنون القابل للإنفجار ، كأسوأ خطر - أي انفجار التعسف في الاحساس ، في البصر ، في السمع ، في متعة الفوضى العقلية ، في لذة اللامعنى ، في الجهل البشري . ليست الحقيقة ولا اليقين هما ما يكون الرأي المعاكس لعالم الجنون ، بل العمومية والضرورة الإجماعية لرأي ما ، باختصار : اللاتعسفي في الرأي . وقد

كان أكبر عمل للناس حتى الآن يقتضي الحصول على الموافقة المتبادلة حول عدد كبير من الأشياء، وإلزام النفس بقانون الإجماع - سواء كانت هذه الأشياء خاطئة أو صحيحة. ذلك هو النظام العقلي الذي حافظ على البشرية - غير أن الإغراءات المعاكسة ما تزال من القوة بحيث، جوهريا، لانستطيع قط أن نتحدث بثقة عن مستقبل البشرية. إن الأشياء تتبدل وتتحول باستمرار، وباستمرار تتمرد العقول الفذة بالضبط ضد هذا الارتباط الإجماعي - [العقول] المستقصية للحقيقة في المقدمة! إن هذا الرأي، باعتباره رأي الناس جميعا، يوحى دوما بالتقزز وبرغبات غير محققة جديدة لعقول أكثر رهافة، ومسبقا هذا الإيقاع البطيء الذي يتطلبه هذا الرأي من كل التطورات المرهفة العقل، تقليد السلحفاة هذا، الذي أقرّ هنا معيارا، يسمح للفنانين والشعراء بأن يظهروا كمنشقين: هي ذي الأذهان المتلهفة التي ينفجر فيها ميل حقيقي للجنون، ذلك أن للجنون إيقاعا مرحا بهذا المقدار! يقتضي الأمر إذن مثقفين باسليين - آه، أحرص على أن أقول ذلك دون أدنى لبس - تلزم الحماقة الشجاعة، - يلزم الأمر رؤساء جوق هادئي الأعصاب قادرين على تعيين نغم بلادة الذهن، حتى يظل الشعب المؤمن بالرأي الكلي موحدًا ومتابعا رقصته: إنها ضرورة من الطراز الأول التي تأمر وتفرض ذلك. [أما] نحن فالاستثناء والمخاطرة - نحن بحاجة للدفاع عن أنفسنا باستمرار! - والحالة هذه، هناك بالتأكيد شيء يقال لصالح الاستثناء: المهم أن لا يسمي القاعدة أبدا.

77 راحة الضمير البهيمي

إن المبتذل في كل ما يعجب في أوروبا الجنوبية - سواء تعلق الأمر بالأوبرا الإيطالية (روسيني وبليني مثلا) أو بالرواية الشطارية الإسبانية (التي نعثر عليها في التنكر الفرنسي لجيل بلا (Gil Blas) - قلما يفلت مني، لكنه لا يبهمني أكثر مثل المبتذل الذي نصادفه خلال نزهة عبر بومبي (Pompei) شأن ما [نصادفه] في مطالعة أي كتاب من العصور القديمة: ما سبب ذلك؟ الأمر يعود إلى أن الخجل هنا يتغيب وكل ابتذال ينجلي بيقين وتأکید كأي شيء نبيل، محبوب ومشبوب العاطفة في الموسيقى والرواية من نفس الجنس: «إن للحيوان نفس الحقوق مثل الإنسان: هكذا يمكنه أن يتحرك بحرية مثلك، ياندي العزيز! أنت الذي، رغم كل شيء، لست نفسك في ذلك دون هذا الحيوان!» - هي ذي أخلاق وخصوصية البشر الجنوبي. فللدوق القبيح حقه مثل الذوق السليم، وفيما يتعلق بهذا الأخير فإن له

بالذات امتيازاً على قدر ما يعبر عن الضرورة الكبيرة، عن الارتياح المؤكد، ويكون تقريباً لغة إجماعية، قناعاً وموقفاً واضحين تماماً : بالمقابل فإن الذوق السليم، بحكم أن له أناقته، ينمّ دائماً عن تصنع، عن ارتجال، عن غموض من ناحية إدراكه - لن ولم يكن أبداً شعبياً. لا شيء شعبي إلا القناع! فليذهب إذن كل هذا التنكر ليكد في الألحان والأوزان، في سقطات ودعابات إيقاع هذه الأوبرات! ماذا يمكن أن نفهم من ذلك، إذا كنا لاندرك شيئاً في إرادة وراحة ضمير التقنع! هو ذا استحمام وتسليّة الحس العتيق : - وربما كان ذلك الاستحمام في آسيا وأوروبا وإفريقيا ضرورياً للأفذاذ والنبلاء أكثر من العامين. غير أن شكلاً مبتذلاً يصدمني بطريقة لا توصف في الأعمال [الفنية] الشمالية، في الموسيقى الألمانية مثلاً. يمتزج معها الخجل، وينحط من قدر الفنان في عينيه هو ولم يتمكن حتى من الامتناع عن الاستحياء من ذلك : نشعر معه بالخجل، ونهان إذ نحس أن الأمر يعود إلينا عندما يعتقد الفنان أنه مجبول على أن يُذلّ.

78 أسباب كوننا شاكرين

إنهم الفنانون أولاً، وبخاصة [الفنانون] المسرحيون، الذين منحوا الناس أعينا وآذاناً للنظر والسماع بشيء من الحبور إلى ما يكونه كل واحد في حد ذاته، ما يحس به كل واحد، ما يريده كل واحد : إنهم هم الذين أولاً علّمونا كيف نحترم البطل المتخفي في كل واحد من هؤلاء الرجال العاديين، هم الذين علّمونا فن اعتبار أنفسنا كأبطال، من بعيد، مغتري الحياة تقريباً - [علمونا] فن «إخراج» أنفسنا نحن بأم أعيننا. هكذا أتاحت لنا بوسائلنا الخاصة، إمكانية صرف النظر عن بعض تفاصيلنا الحقة! دون الفن ذاك لن نكون عدا «صورة مكبرة» ولن نفتأ نحيا كلية تحت زاوية هذه البصرية التي تكبر ببشاعة ما هو مباشر ومتداول وتظهره كحقيقة في حد ذاته. ربما كان لها استحقاق مماثل، هذه العقيدة التي تأمر بتفحص الخطأ مجهرياً عند كل إنسان، والتي تجعل من المذنب مجرماً أبدياً كبيراً : وبرسم أبعاد أزلية حوله، فإنها تلقن الناس كيف يعتبرون أنفسهم من بعيد، كشيء ماضٍ وحاصل.

79 روعة العيب

أرى هنا شاعراً يمارس، كالعديد من الرجال، أكبر فتنة بعيوبه، أكثر من كل ما يتكوّن ويتهيج لديه، أجل إنه يُحوزُ على تفوقه ومجده من قصوره الأخير أكثر بكثير من طاقته الفياضة. فتتاجه الأدبي لا يعبر أبداً كلية عما كان يريد إجمالاً أن يعبر عنه،

عما كان يجب أن نبصر : يبدو أنه كان ذا شعور مسبق برؤية ما ، أبدا هذه الرؤية نفسها : بل إن ظمأ هائلا لهذه الرؤية قد رسخ في نفسه ، ومنه يستمد بلاغته التي لا تقل هولا في التوق والشراسة . وبها [أي ببلاغته] يسمو بالذي يستمع إليه إلى ما وراء أثره الفني وسائر الـ «آثار» ، ويمنحه أجنحة ليبلغ علوا لم يبلغه السامعون أبدا : وإذ يمسون هم أنفسهم هكذا شعراء ورائين ، فإنهم ينذرون للكاتب من غبطتهم إعجابا كما لو هداهم إلى رؤية حقائقه الأخيرة الأكثر قداسة ، وكأنه أبصر وكشف بالفعل عن رؤيته . إن مجده يستفيد من جرّاء أنه لم ينل في الحقيقة بغيته .

80 فن وطبيعة

كان الإغريق (أو الأثينيون على الأقل) يهون سماع الكلام الفصيح : بل وكان لديهم نزوع طبيعي شرّ يميزهم أكثر من أي شيء آخر عن غير الإغريق . هكذا كانوا يطلبون حتى من الانفعال أن يعبر جيدا على الخشبة ، ثم يستسلمون للتهدد بتلذذ من طرف إيقاع الأبيات الدرامية ، المتكلف : في الطبيعة يبدو الانفعال شديد الشخّ بالكلام ، شديد الصمت والتضايق ! وحتى حين يتمكن من التعبير عن نفسه فبطريقة جد مرتبكة ولا معقولة وجد مخجلة في نظره ! ويحدث ، والحالة هذه أننا قد تعودنا ، بفضل الإغريق ، على طبيعة المسرح - المضادة ، تعودنا ، بفضل الإيطاليين ، على هذه الطبيعة المضادة التي هي الانفعال العذب الذي نتحملة ، ونتحملة عن طيب خاطر . لقد تولدت فينا رغبة لن نستطيع تلبيتها في الواقع : أن نسمع أناسا ، في أشد الحالات جسامة ، يتكلمون بفصاحة وجلاء ، إنه لنوع من النشوة لنا حين يبدو البطل التراجيدي ما يزال قادرا على اختيار الكلمات ، على إيجاد أسباب ، على اتخاذ مواقف بليغة ، وعلى أن يبدي ، على العموم ، ذكاء جليا في اللحظة التي تقترب فيها الحياة من الهاوية ويفقد فيها الانسان الواقعي رشده واللغة النبيلة بكل تأكيد . قد يكون هذا النوع من الانزياح عن الطبيعة ألدّ غذاء لأنفة الانسان : بفضلها ، على كل حال ، يحبّ الفنّ باعتباره تعبيرا عن طبيعة مضادة ، عن تعاقب ساميين وبطوليين . ونصيبُ إذ نأخذ على شاعر درامي عدم تحويل كل مادته إلى فكر وكلمات ، وادّخاره باستمرار لبقية من الصمت : - مثلما يخيب أملنا في ناظم التمثيلات الغنائية الذي ، لكي يترجم قوة الانفعال ، لا يعرف القيام بأفضل من تعويض اللحن بتمتمات وصيحات ذات تأثير «طبيعي» . والحالة أن هناك بالضبط تجب مناقضة الطبيعة ! هناك بالضبط يجب أن يتخلّى الجمال المبتذل لجمال أسمى . يذهب الإغريق في هذا المتحى بعيدا - بعيدا جدا ! فكما يشيّدون المسرح أضيق ما

يمكن ، كما يمتنعون عن كل أثر ينتج عن خلفيات في العمق ، كما يجعلون لعبة التقليد وسهولة الحركات مستحيلتين على الممثل ويحوّلونه إلى قناع مجمّد في موقفه الاحتفالي كما في قسّماته ، كذلك حرموا الانفعال من عمق خلفيته وأملو عليه ، بالمقابل ، قانون الخطاب الجميل ، وبصفة عامة لقد اتخذوا كل التدابير ليقاوموا الأثر الأولي للصور التي يحتمل أن تثير الخوف والشفقة : ذلك أنهم لم يكونوا يسعون إطلاقاً لا إلى الخوف ولا إلى الشفقة - الشرف ، بلاريب ، الشرف الأسمى لأرسطو ! لكنه حين تكلم عن الغاية الأخيرة للمأساة الاغريقية لم يصب بكل تأكيد ، [بل كان] بعيداً عن ذلك ! لتأمل التراجيدين الإغريق ، بهذا الخصوص ، وما يثير حماسهم ومهارتهم ومنافستهم أكثر - ليست نية زعزعة المتفرجين بالانفعالات ، بكل تأكيد ! لقد كان الأثينيّ يذهب إلى المسرح ليسمع خطابات مليحة . كانت الخطابات المليحة هي ما يشغل سوفوكليس ! - لتغفروا لي هاته المهرطقة ! - والأمر على خلاف ذلك في الأوبرا الجادة : كل البارعين فيها يتمسكون بمنعنا من فهم شخصياتهم . لتساعد المستمع الشارد الذهن كلمة استوعبها في الهواء : على العموم ، يجب أن تتوضح الحالة من تلقاء نفسها : - لايم نوع الخطاب ! - تلك كانت أفكارهم جميعاً ، وكذلك رسموا دعاباتهم بالكلمات . ربما نقصتهم الجرأة ليعبروا عن ازدرائهم الأخير للكلام : لو كان لروسيني (ROSSINI) قليل من الوقاحة لما غنى سوى : La- La- La- La من الأول إلى الآخر - الشيء الذي سيكون كله صواباً ، مع ذلك ! الواقع أن شخصيات الأوبرا لا ينبغي أن تُصدّق «بالكلمة» لكن بالنبرة ! ثمة يكمن الفرق ، ثمة تكمن الطبيعة المضادة الجميلة التي من أجلها نذهب إلى الأوبرا ! حتى recitativo secco (*) لا ينبغي أن يسمع في العمق على أنه نص وكلام : هذا النوع من نصف الموسيقى مخصص بالأحرى لإعطاء شيء من الراحة للأذن الموسيقية (راحة اللحن باعتباره أسمى متعة لهذا الفن والأكثر إرهاقاً كذلك !) - بل لشيء آخر على التّو : لخلق نفاذ صبر متزايد ، نفور متزايد ، اشتهاً جديداً لموسيقى كاملة ، للحن . ماذا سيكون فن ريشارفاغنر (R. Wagner) إذا نظرنا إليه من وجهة النظر هذه ؟ ربما يكون بخلاف ذلك ؟ غالباً ما كان لديّ الانطباع بأنه تجب معرفة كلمات و موسيقى أعماله عن ظهر قلب قبل عرضها : هذا - كما كان يبدو لي - تحت طائلة عدم سماع لا الكلمات ولا حتى الموسيقى ! .

(*) الإنشاد ، المجرأ .

81 الذوق الهليني

— «ما الجميل في هذا؟» سأل أحد المسّاحين عند نهاية عرض إيفيجيني (Iphigénie)، — «إن هذا لا يبرهن على أي شيء إطلاقاً!» هل كان الإغريق في منأى عن هذا الذوق؟ لدى سوفوكليس على الأقل، «كل شيء مبرهن عليه».

82 الـ «عقل» ليس إغريقيا

الإغريق منطقيون وبسطاء في مجمل طريقة تفكيرهم بشكل لا يوصف : [و] لم يشمئزوا أبداً من ذلك، على الأقل خلال مرحلة ازدهارهم، عكس الفرنسيين الذين هم مشمئزون أغلب الأحيان : [إذ] لا يقوم هؤلاء طوعاً إلا بقفزة صغيرة نحو النقيض، ولا يتحمّلون روح المنطق إلا حين يكشف اجتماعيته ونفيه الاجتماعي لذاته بعدد من القفزات الصغيرة نحو النقيض. يبدو لهم المنطق كالخبز والماء لاغنى عنه، وكهاتين المادتين لاغنى عنه باعتباره نوعاً من قوت السجين بمجرد ما يتعلق الأمر بابتلاعه وحده، وفي العزلة. في المجتمع المزدهر لا يجب على المرء أن يسعى لأن يكون هو وحده من له الحق بشكل مطلق كما يريد ذلك كل منطق خالص : من هنا مصدر الكمية القليلة من البلادة في كل عقل فرنسي. — إن اجتماعية الإغريق أبعد من أن تكون متطورة كما هي عليه أو كانت عليه اجتماعية الفرنسيين : من هنا قلة العقل لدى رجالهم الأكثر روحانية، من هنا قلة الفكاهة حتى لدى مزاحيهم — من هنا — مع الأسف! قلماً تعطى مصداقية لجُملي وكم من جمل أخرى من نفس النوع في خاطري! — Est res magna tacere (*) — قال مارسيل مع كل الثرثارين.

83 التراجم

يمكننا أن نقدر درجة الفكر التاريخي الذي يملكه عصر ما من خلال الطريقة التي بها يترجم ويحاول أن يستوعب عصور وكتب الماضي. لقد تملك الفرنسيون من كورني (cornille) حتى فرنسي الثورة، الحضارة الرومانية القديمة بطريقة لانملك نحن اليوم الشجاعة [للقيام بها] — بفضل فكرنا التاريخي السامي. وفيما يخص الحضارة الرومانية القديمة ذاتها : بأية قسوة وبأية سذاجة في ذات الوقت وضعت يدها على كل ما كان ممتازاً وسامياً في الحضارة اليونانية القديمة! كم عرف الرومان ترجمتها في الراهن الروماني! كم مسحوا طوعاً ودون تدقيق غبار جناح اللحظة :

(*) إن الأشياء النبيلة لا تتحدث .

هذه الفراشة! هكذا كان هوارس يترجم من هنا وهناك Alcée أو Alchilochus ، هكذا Properce يترجم كاليماك و Philète (شاعر يماثل في القيمة ثيوقريط ، إذا ما سمحنا لأنفسنا بإصدار حكم ما) : ما همهم أن يكون المبدع المشار إليه قد عاش هذا أو ذاك وسجل علامات ذلك في قصيدته! - لكونهم شعراء ، قلما كانوا مهيين لفطنة الفكر الأركيولوجي السابق للفكر التاريخي ؛ لكونهم شعراء فقد كانوا يهتمون التفاصيل الشخصية ، الأسماء ، وكل ما كان يميز حاضرة ، ضفة ، قرناً ، باعتبارها الكساء والقناع ، لكي يعوضوه براهنهم الروماني . يبدو أنهم يسألوننا : «هل أخطأنا بتجديدنا للقديم لكي نتعرف فيه على أنفسنا نحن؟ بنفخ حياة في هذا الجسم الميت؟ لأنه قدماء إلى الأبد؛ كم هو قبيح كل ما هو ميت!» - لقد كانوا يجهلون متعة الفكر التاريخي ؛ كان الواقع الماضي أو الغريب شاقاً عليهم ، ويثير لديهم ، [أي] الرومان ، الرغبة في غزو روماني . في الحقيقة ، لقد كان [فعل] الترجمة غزواً في الماضي - ليس فقط لأنهم كانوا يزيحون العنصر التاريخي : كانوا يضيفون التلميح إلى الراهن ، كانوا يحذفون أولاً اسم الشاعر ليكتبوا مكانه اسمهم الخاص - ليس بإحساس سرقة ، لكن براحة الضمير التامة لـ L'Imperium Romanum (*).

84 في أصل الشعر

إن هواة الغرائبي عند الانسان الذين يدعمون مذهب الأخلاقيات الفطرية يفكرون كالتالي : «لنفترض أننا بجّلنا النافع في كل وقت كقداسة سامية ، من أين إذن جاء الشعر؟ - إيقاعية الكلام هذه ، التي تغمّضه عوض أن تسهل تواصله ، والتي لم تكن ، في أي مكان من الأرض ، أقل انتشاراً ولا تكف عن الانتشار كإهانة لكل منفعة! إن هذه اللاعقلانية الجميلة والمتوحشة للشعر لتنقضكم ، أنتم النفعيون! فإرادة التحرر من النافع بالضبط هو ما سما بالانسان ، هو ما ألهمه الأخلاقيات والفن!» غير أنه يجب عليّ هنا ، لمرة واحدة أن أرضي النفعيين ، فمثير للشفقة ألا يصيبوا إلا نادراً! في تلك الأزمنة القديمة التي ولدت الشعر ، كنا نسعى إلى منفعة كبيرة جداً - حالما سمحنا بولوج الإيقاع في الخطاب ، هذا العنف الذي يحدد نظام كل ذرات الجملة ، الذي يطلب اختيار الكلمات ويلوّن الأفكار بألوان جديدة ويجعلها أكثر غموضاً ، أكثر غرابة ، أكثر ابتعاداً : لاشك أننا أذعنّا لمنفعة وهمية! يتعلق الأمر ، بفضل الإيقاع ، بأن نرسخ عميقاً في الآلهة ودّاً انسانياً ، بعد أن

(*) للامبراطورية الرومانية .

لاحظنا أن ذاكرة الانسان تحفظ بيت شعر أحسن من خطاب عفوي ، مثلما كنا نقدر أن نتكلم إلى مسافة بعيدة من مسافات أبعد بالوزن الإيقاعي ؛ فالصلاة الموزونة يبدو أنها تبلغ جيدا آذان الآلهة . غير أنه فيما مضى كنا نبحت عن الانتفاع من هذه السيادة الأولية التي يخضع لها الإنسان وهو يستمع للموسيقى ، إن الإيقاع إرغام ، يولد رغبة في الخضوع لاتقاوم ، في تبني الإتفاق ؛ ليس التعقب فحسب ، ولكن الروح ذاتها التي تتقضى الوزن ؛ - ربما روح الآلهة أيضا ! نستنتج . نحاول إذن أن نُكره هم بالإيقاع وأن نمارس عليهم تأثيرا : نطوق عنقهم بالشعر كأنشطة سحرية . ثمة أيضا بيان مذهل أكثر : وربما ساهم هذا أكثر في تكوين الشعر . عند الفيتاغوريين كان الشعر يبدو مذهبا فلسفيا أكثر من وسيلة فن تربوي : ولكن قبل أن يكون هناك فلاسفة بوقت طويل ، كنا نعترف للموسيقى بميزة تحرير الأهواء ، تطهير الروح ، تخفيف *Ferocia animi* (*) - وذلك بالإيقاع الموسيقي بالضبط . عندما يزول التوتر المحق ، انسجام الروح المحق ، لا يبقى إلا أن نرقص تباعا لوزن الشاعر - كذلك كانت وصفة معالجة الروح تلك . فيها هداً *Terpandre* فتنة ، وسكن *Empédocle* مجنونا عنيفا ، وطهر *Damon* شابا أسقمه الحب . لقد كانت تطبق معالجة الروح ذاتها على الآلهة أيضا حينما يحتنون ويميلون للثأر ، بإثارة هذيان وانفجار أهوائهم قبل كل شيء ، أي بجعل الإله الغاضب مجنونا ، بتبديل ثأر الاله الميال للثأر : كل العبادات التهتكية تريد أن تحرر *La Ferocia* (**) دفعة واحدة من ألوهية [ما] وأن تجعل منه تهتكاً حتى تشعر بالتالي بأنها أكثر حرية وسكونا ، وتترك الناس وشأنهم . إن *melos* (***) تعني ، بحسب جذر الكلمة ، أنها وسيلة للتسكين ، ليس لأن النشيد رخم في حد ذاته بل لأن فعله اللاحق هو أن يُسَكِّن . ليس النشيد الشعائري وحده هو ما يفترض أن الحركة الإيقاعية ، كاغتراف الماء أو التجذيف ، يمارس طاقة سحرية بل كذلك النشيد المدنس للعهود القديمة جدا : إن النشيد يفتن الشياطين الذين نعتقد حيوياتهم هنا ، يجعلهم خدومين ، يطوقهم ويحولهم أداة للناس . وكلما فعلنا [شيئا ما] كان لنا داع للغناء - كل حركة مقرونة بمساعدة الأرواح : يبدو أن التعزيم والرقية السحرية هما أصل للغناء الشعر . عندما استعمل البيت الشعري لينطق بوحى - والإغريق يرون أن [البحر] السداسي المقاطع قد أثُكر في دلفيس (Delphis) - كان الإيقاع ، هنا كذلك ، يمارس إكراها [ما] . فأن يصير المرء نبوئيا

(*) روح العنف .

(**) العنف أو الغضب .

(***) النشيد أو القصيدة الغنائية .

بشيء معين يعني (حسب أصل الكلمة المحتمل في نظري للمصطلح الإغريقي) : أن يصير مقرراً لشيء ما، نؤمن بإمكانية إخضاع المستقبل من جرّاء كسب أبولون (Apollon) لصالحنا : هو الذي يعدّ، حسب البيان القديم جداً، أكثر من إله مبصر بالمستقبل ومثلما تُلفظ الصيغة في دقتها اللفظية والايقاعية، مثلما تطوّق المستقبل : على أن الصيغة من ابتكار أبولون الذي يمكن له أيضاً، باعتباره إله الإيقاعات، أن يشدّ إلهات القدر! - لكن إذا تأملنا [هذا] الكل : هل ثمة شيء ما أكثر منفعة من الايقاع بالنسبة للإنسانية القديمة والخرافية؟ لقد كان يسمح بفعل كل شيء : يشجع بشكل سحري على العمل، يرغم إلهها على التجلي، على الاقتراب، على السماع : يحرر الروح الخاصة من مغالاة معينة (من القلق، من المسّ، من الشفقة، من الحاجة إلى الانتقام)، ليست الروح الخاصة فحسب بل كذلك روح الشيطان الأكثر ضلّالاً، - دون الايقاع لم تكن شيئاً، وبالايقاع، كدنا نمسي إلهاً. إن إحساساً عميقاً مماثلاً لا يمكن أن يستأصل كلية، اليوم أيضاً رغم المجهودات الألفية للمقاومة ضد خرافة مماثلة، يحدث أن الأكثر حكمة بيننا سيصبحنّ مجنون الايقاع، ليس لأنه سيحس بفكرة كأنها أكثر صحة بمجرد أن لها شكلاً بحرياً [موزوناً] ولأنها تتجلى بانتفاضة إلهية! هل هناك شيء أكثر إثارة من أن نرى الفلاسفة الأكثر رصانة، الأشد صرامة عادة فيما يتعلق باليقين، يرجعون دائماً في ذلك إلى حكم شعري، لمنح أفكارهم متانة وقابلية للتصديق؟ ومع ذلك أليس أكثر إلزاماً على حقيقة [ما] أن يمنحها شاعر تصديقها، على أن يخالفها (لأنه كما قال هو ميروس : «الشعراء، يكذبون كثيراً»).

85 الخير والجميل

الفنانون يغيرون باستمرار - لا يفعلون شيئاً عدا ذلك - : وبخاصة كل الأوضاع، كل الأشياء المفروض فيها أن تعطي للإنسان الوسيلة ليحس بأنه طيب أو عظيم، مُنْتَشٍ أو سعيد، أو سليم أو عاقل. هاته الأشياء وهاته الأوضاع المختارة والتي تعتبر قيمتها، فيما يخص سعادة الإنسان، يقينية ولا جدال فيها، تشكل موضوع الفنانين : إنهم دائماً يترصدونها ليكتشفوا منها [المزيد] وينقلوا منها إلى ميدان الفن . يعني أنهم دون أن يكونوا هم أنفسهم مسعّري (Taxateurs) السعادة والإنسان السعيد فإنهم يسارعون دائماً إلى محيط المسعّرين بحصر المعنى بأكبر فضول، بأكبر رغبة في استغلال تقديراتهم في أقرب وقت. بهذا الشكل، ولأن لهم، فضلاً عن جزعهم، نفَسَ المنادين القوي وسرعة الرسل، سيكونون دائماً كذلك بين الأوائل في

تمجيد الخير الجديد، وغالبا ما سيبدون أنهم من أولئك الذين هم الأوائل في تسميته طيبا، في وسمه بأنه طيب. لكن هذا، كما قلت ليس إلا خطأ : لن يكونوا إلا أسرع من المسعّرين الحقيقيين، ولن يكونوا تكلموا إلا بصوت أعلى من صوتهم. - لكن من هم إذن هؤلاء المسعّرون الحقيقيون؟ - إنهم الأغنياء والعاطلون عن العمل.

86 عن المسرح

يوم آخر منحني احساسات قوية وسامية، ولو كان بإمكانني أن أحصل على موسيقى وعلى فن مساء هذا اليوم فإني أعرف جيدا في أي نوع من الموسيقى ومن الفن لن أرغب، خاصة في أية موسيقى قد تزعم إسكار سامعيها، إعطاء لحظة حماس شديد وسام - لذوي الأرواح التافهة، الذين يشبهون عند المساء ليس المنتصرين [وهم] على دبابات النصر، بل البغال التي بلّدتها دقائق سياط الوجود المتكررة. وفضلا عن ذلك ماذا يمكن أن يعرف مثل هؤلاء الناس عن «الحالات المعنوية السامية»! - لو لم تكن هناك منشطات من شأنها أن توفر النشوة ودقات السوط المثالية! - بهذا الشكل فإن لهم «محمسيهم» كما أن لهم خمورهم : لكن ماذا يمثل بالنسبة إلي شرابهم ونشوتهم؟ هل المحمّس في حاجة إلى خمر؟ إنه ينظر بدل ذلك بنوع من الاشتمزاز إلى المواد المهيّجة وإلى المهيّجين المطالبين هنا بالتأثير دون سبب كاف - يا لَسْعَدَنَةِ مَدِّ الروح! - ماذا؟ نمح أجنحة وأوهاما أبية للجُلْدِ قبل أن يذهب لينام، قبل أن ينسل إلى جحره؟ نرسله إلى المسرح، نزود عينيه العمياوتين والمتعبتين بزجاجات مكبرة؟ هؤلاء أناس ليست حياتهم «حركة» لكن شغلا، جالسون أمام الخشبة يتأملون كائنات غريبة عنهم والحياة لديها أكثر من شغل؟ «هذا شيء مناسب، يقولون، هذا شيء مُسَلِّ، هكذا تشاء الثقافة!» طيب! وجب الاعتقاد بأنه غالبا ما تنقضي الثقافة : ذلك أن مثل هذه الرؤية غالبا ما تنفّرني. إن من يقدر أنه قد شبع من المأساة ومن الملهاة من الأفضل أن يبقى بعيدا عن المسرح : وإلا غدت العملية برمتها - المسرح، الجمهور، والشاعر ضمنا - في نظره، وبشكل استثنائي عرضا مأساتيا وملهاتيا، بحصر المعنى، لاتهم المسرحية المعروضة. فالذي هو من طراز فاوست (Faust) أو مانفريد (Manfred) كان في غنى عن أمثال فاوست وأمثال مانفريد المُسَرَّحِينَ - والحالة أنه سيجد أن مجرد الجرأة على نقل مثل هاته الشخص إلى الخشبة أمر جد قابل للنقاش. عرض أكثر الأفكار والانفعالات قوة أمام أولئك الذين هم عاجزون عن الأفكار وعن الانفعال - لكنهم قادرون على الانتشاء! واستغلال تلك الأفكار والانفعالات كوسيلة لتحقيق هذا الانتشاء!

وجعل المسرح والموسيقى تناولا للحشيش ومضغا للتبُّل لدى الأوروبيين! . . من سيحكي لنا إذن تاريخ المخدرات! - إنه تقريبا تاريخ الـ «ثقافة»، الثقافة المزعومة بأنها سامية! .

87 عن غرور الفنانين

أعتقد أن غرورا شديدا يُنسى الفنانين أفضل ما يقدرون عليه : يرمي عقلهم إلى شيء أكثر شموخا من أن يبدو مجرد نباتات صغيرة جديدة، غريبة وجميلة، قادرة على النمو في تربتهم في كمال حقيقي : إنهم لا يقدرون جودة الانتاج الأخير لبستانهم، [ولاجودة] كَرَمَتِهِمْ إِلَّا بشكل سطحي : إن فهمهم ليس من طراز حبهم نفسه . هذا موسيقي يتفوق تمكّنه أكثر من تمكّن أي موسيقي آخر في إيجاد النظرات الخاصة بالأرواح المعانية، المضطهدة، المعذبة، بل وفي منح الكلام للحيوانات الخرساء . لا أحد يمثله في تفرد الخريف المتقدم، في نعمة متعة سامية وشاردة تماما، لا توصف؛ إنه يعلم رجعا خاصا للغرابة الحميمة لمتصفات ليل الروح حيث تبدو العلة والمعلول منفصلين عن بعضهما في حين أنه في كل لحظة يمكن أن يولد شيء ما «من عدم» : بسعادة أكثر من أي كان يغترف من منبع النعمة الانسانية الجوفي وعلى وجه التقريب من كأس هاته النعمة المفرغة حيث تنتهي القطرات الأكثر لذعا وحموضة بالامتزاج بالأكثر عذوبة؛ إنه يعرف تعب الروح التي تجر نفسها ولا تعرف أن تقفز أو تطير، بل ولا أن تسير : إن له نظرة الألم المكتوم الجفولة، نظرة الفهم الذي يواسي، نظرة الفراق غير المُقَرَّب، أجل باعتباره أورفيوس كل ضيق سري فهو أعظم من أي كان وقد أثرى الفن، بصفة عامة، بأشياء كثيرة كانت حتى الآن تبدو غير قابلة للتعبير بل وغير جديرة بالفن، بتلك التي لم يكن في وسع الكلام سوى أن يتجنبها - حقائق ظلت منفلة، الحقائق التافهة والمجهرية للروح : في الواقع، إنه سيد الحقائق التافهة . لكنه يأبى أن يكون كذلك! مزاجه. يجب بدل ذلك، الجدران الكبيرة والجداريات الجريئة! يغيب عنه أن لفكره ذوقا آخر وميلا آخر ويفضل الإقامة في صمت في زوايا المنازل المنهارة : - متنكرا هناك، ومتنكرا من نفسه، يرسم روائعه، بحصر المعنى، التي وبكل إيجاز، لا تدوم في الغالب سوى مدة إيقاع، - هناك فقط يُظهِرُ نفسه عظيما وكاملا، ربما هناك فقط . - لكنه يجهل ذلك! إنه أشد غرورا لكي يعلم ذلك .

88 الجدية من أجل الحقيقة

شيء من الجدية من أجل الحقيقة! كم من أشياء مختلفة يعينها الناس بهاته الكلمات! والحالة أن نفس الآراء، نفس أنواع البراهين والتحليلات التي يشعر بها مفكرٌ كخفة استسلم لها، لحييته، في اللحظة كذا أو اللحظة كذا أو اللحظة الفلانية، - هاته الآراء نفسها قد تعطي للفنان الذي يكتشفها ويعيش معها لمدة ما، شعورا بأن أعمق جدية من أجل الحقيقة قد تملكته منذ ذلك الحين وأنه جدير بالإعجاب، وإن كان فنانا، لكونه لم يُظهر منها الرغبة الأكثر جدية في عكس الظاهر بشكل أقل. بهاته الطريقة يمكن أن يفشي أحدا ما، بتفخيمه للجدية، الطريقة السطحية التي لعب بها عقله حتى ذلك الحين في ميدان المعرفة. - أفلا نخوننا كل شيء نتناوله بجسامة؟ إنه يبدي أين تكمن بلادتنا، وماتعوزنا فيه الكفاءة.

89 الآن وفيما مضى

ماجدوى كل فن أعمالنا الفنية إذا انتهينا إلى فقد هذا الفن السامي الذي هو فن الأعياد! فيما مضى كانت كل الأعمال الفنية تُنصب في شارع أعياد الانسانية الكبير، باعتبارها رموزا ومآثر تذكارية للحظات الغبطة الكبيرة هاته. منذ الآن لا نريد أن نستعمل الآثار الفنية إلا لكي نجرّ الكائنات المسكينة المنهكة والمريضة بعيدا عن شارع الآلام الانسانية لمنحها لحظة وجيزة ذات شهوة عظيمة حيث نمنحها انتشاء وجنونا.

90 أضواء وظلال

إن الكتب وتحرير نصوصها هي أشياء مختلفة لدى شتى المفكرين: واحد قد ركز في كتابه الأضواء التي عرف كيف يختلسها من أشعة معرفة كان بريقها يومض فيه والتي تمثلها [أي الأضواء]: آخر لا يعطي إلا الظلال، [إلا] الصور المعكوسة بالرمادي والأسود لما نشأ البارحة في نفسه.

91 احتياط

نعرف أن ألفييري (Alfieri) قد كذب كثيرا حين حكى قصة حياته لمعاصريه المندهمشين. لقد كان يكذب بموجب هذا الاستبداد الذي مارسه على نفسه والذي

برهنت عليه مثلاً طريقته في صياغة لغة خاصة وفي اضطهاد نفسه إلى أن صار شاعراً: لقد انتهى بأن وجد شكلاً صارماً من الأسلوب السامي الذي طبع به حياته وذاكرته: الشيء الذي كلفه كثيراً من العذابات. — لن أولي اعتباراً أكثر لسيرة أفلاطون الذاتية: وللسيرة روسو أول Vita Nuova (*) لدانتي.

92 نشر وشعر

لنعتبر أن كبار أسياد النثر كانوا تقريباً دائماً شعراء كذلك، سواء بشكل علني، أو في السرّ وفي «الطوية» فقط. وإننا لانكتب نثراً جيداً إلا بالقياس إلى الشعر! لأن النثر ليس سوى حرب مستمرة مع الشكل الشعري: كل مفاتنه ترتكز على تجنب الشعر ومناقضته باستمرار: كل مفهوم مجرد يريد نفسه كَعَفْرَتَةٍ مَخَالَفَةٍ للشعر، منشداً بنبرة ساخرة؛ كل جفاف، كل برودة ترمي إلى الإلقاء بالربة المحبوبة في يأس لطيف: غالباً ما تحدث تقاربات، تصالحات مؤقتة، متبوعة بزوغان وسخریات فظة، غالباً ما يرفع الستار ويدخل نور غُضٍّ في اللحظة التي تستمع فيها الربة بظلالها وألوانها الملطفة؛ غالباً ما نختطف الكلام من شفاهها لنغنيه بلحن يجعلها تضع يديها الرقيقتين في أذنها الرقيقتين، — وبهذا الشكل تعرف هاته الحرب ألقاً من التسلّيات لاعلم بها لدى اللاشعريين، رجال النثر المزعمومون: مع ذلك فإن هؤلاء الآخرين لا يكتبون ولا يتحدثون إلاّ بنثر رديء: الحرب أمّ كل الأشياء الطيبة، كذلك الصراع أب النثر الجيد! — لقد وجد أربعة رجال جد متميزين وشعريين بشكل فعلي في إبان هذا القرن توصلوا إلى التحكم في النثر الذي لم يخلق له، مع ذلك، هذا القرن، — بسبب من نقص الشعر، كما أشرت إلى ذلك. فباستثناء غوته Goethe الذي يطالب به القرن الذي كوّنه كابنه بحق، فإني لا أرى أحداً جديراً بأن يسمى سيد النثر غير Giacomo Leopardi، Prosper Mérimée، Ralf waldo Emerson و Walter Savage Landor مؤلف Imaginary conversations (**).

93 لكن لماذا تكتب؟

— أ: لست من أولئك الذين يفكرون واليراع في اليد، ولا من أولئك الذين يستسلمون لأفكارهم، أمام الدّواة، جالسين والنظر مثبت على الورق. أغضب وأخجل من كل فعل الكتابة: أن كتب، بالنسبة إليّ، ضرورة — أنفر من الحديث

(*) حياة جديدة.

(**) المحادثات المتخيّلة.

عنه حتى بالأمثال . - ب : فلماذا تكتب إذن؟ - أ : أجل يا عزيزي ، لكي أقدم لك اعترافاً : إلى حد الآن لم أجِدْ بعد وسيلة أخرى للتخلص من أفكارى . - ب : ولماذا تريد أن تتخلص منها؟ - أ : لماذا أريد ذلك؟ هل أقول أنى أريد ذلك؟ إنه شيء ضروري بالنسبة إلى . - ب : كفى ذلك!

94 نمو بعد الوفاة

لقد كانت التتوءات الصغيرة الجريئة حول القضايا الأخلاقية التي كان Fonte nelle يسجلها في حوارات الموتى الخالدة تعتبر في عصره متناقضات وألعاب ذات عفتية مشتبّه فيها : حتى أرفع حكام الذوق والفكر لم يكونوا يرون فيها أكثر من ذلك - ربما بما فيهم فونتونيل . والحال هذه ، يحدث في الوقت الحاضر شيء لا يصدق : هاته الأفكار تصير حقائق! يبررها العلم! اللعبة تصبح جدية! ونقرأ هذه الحوارات بإحساس يختلف عن إحساس فولتير وهيلفيتيوس (Helvétius)، نرفع كاتبها لإراديا إلى طبقة أخرى من العقول أعلى بكثير مما كان يتخيله هؤلاء ، - عن خطأ؟ ... عن صواب؟ .

95 شومفور

أن يقف عارف بالناس وبالجماهير مثل شومفور (Chamfort) بجانب الجماهير بالضبط ولا يبقى على الحياد بسبب الارتكاس والتخلي الفلسفي فهذا ما لن أستطيع أن أفسره سوى بالطريقة التالية : لقد كانت فيه غريزة أقوى من عقله ، لم تُشبع أبداً ، [إنها] الحقد على كل أرستقراطية بالمولد : ربما الحقد القديم ، ضغينة أمه ، الأكثر قابلية للتفسير ، الضغينة التي جعلها حبه لأمه مقدسة لديه ، غريزة انتقام تعود إلى سنوات طفولته ، التي كانت تنتظر ساعة الانتقام لأمه . وهاهي ذي حياته وعبقريته ، ومع الأسف! وبشكل أقوى ولاشك ، الدم الأبوي في عروقه ، قد أغوته [كلها] ودفعته إلى الاندماج تماما في هاته الارستقراطية والوقوف معها على قدم المساواة طيلة سنوات عديدة! لكنه في الأخير لم يتحمل مظهره ، مظهر «الرجل القديم» تحت النظام القديم : صار هدفا لعشق التوبة العنيف ، وفي هذه التوبة ارتدى ثوب الدهماء باعتباره مسخاً من النوع الصالح له! كان إحساسه بالذنب قد فاته الانتقام . لو افترضنا أن شومفور بقي فيلسوفاً أكثر بدرجة واحدة فإن الثورة ستكون قد فقدت من ضارستها المساوي وقد حُرمت من مثيرها القاطع : ستعتبر حدثاً بليدا ولن تمارس إغراء كبيراً على العقول . لكن حقد وانتقام شومفور شكلاً

روح جيل بأكمله : و مرّ الرجال الشهيرون جدا من هاته المدرسة . لتتخيل أن ميرابو (Mirabeau) كان يوجه أنظاره إلى شومفور كما لو إلى أنه العليا والأكثر نضجا، التي كان ينتظر دوافعها وتحذيراتها وأحكامها، ويؤيدها، - ميرابو، الذي ينتمي إلى طراز آخر من العظمة غير طراز الأوائل من بين كبار رجال دولة أمس واليوم . إنه لشيء نادر أن يبقى بالرغم من [وجود] مثل هذا الصديق وهذا الكفيل - فتلك فعلا رسائل ميرابو إلى شومفور - أن يبقى هذا المخادع، من ضمن كل الاخلاقيين، غريبا عن الفرنسيين، تماما مثل ستانداال الذي ربما كانت له أقوى أذن وأقوى عين دون سائر فرنسيي هذا القرن . أيعود ذلك إلى كون هذا الأخير يحمل في عمقه الشيء الكثير من الانسان الألماني ومن الانجليزي ليظل محتملا لدى البارزيين؟ بينما يبدو شومفور، الرجل الغني بأعماق وخلفيات الروح، المعتم، الموجع، النشيط - المفكر الذي كان يعتبر الضحك ضروريا كعلاج للحياة والذي كان يعتقد أنه ضاع تقريبا في اليوم الذي لم يضحك فيه، - يبدو كإيطالي، كقريب لدانتي وليوباردي أكثر بكثير مما يبدو كفرنسي ! إننا نعرف كلمة شومفور الأخيرة : «آه يا صديقي، قال لسييس (Sieyès)، راحل أنا أخيرا عن هذا العالم الذي على القلب فيه إما أن ينكسر أو أن يُبرتنز». هذه كلمات ليست بالتأكيد لفرنسي يحتضر.

96 خطيبان

من خطيبين إثنيين لايتوصل واحد إلى التعبير عن الباعث الكلي لقضيته إلا إذا استسلم للإنفعال : ذاك وحده يدفع الدم والحرارة إلى دماغه ليرغم ذكاءه السامي على التجلي . أما الآخر فيحاول من هنا وهناك أن يفعل، دون شك، نفس الشيء : يحاول أن يورد قضيته بهريق وقوة وجاذبية - لكنه عموما، لاينجح في ذلك إلا بشكل رديء جدا . يصبح خطابه غامضا وملتبسا، مليئا بالمبالغات والفجوات، جديرا بجعل باعث قضيته مشكوكا فيه : بحيث أنه هو نفسه يحذره، من هنا مسارحته إلى النبرات الباردة والمنفرة التي تؤدي بالمستمع إلى الشك في أصالة طبيعته الانفعالية . الانفعال، لديه، يكتسح العقل كل مرة : ربما لأنه أقوى لديه منه لدى الأول لكنه يبقى في مستوى طاقته بمجرد ما يقاوم هجمات حساسيته العاطفية ويتلاعب بها تقريبا : إذ ذاك فقط يخرج عقله من مخبئه، عقل منطقي، هازيء، مرح، ومع ذلك صعب المراس .

97 عن ثرثرة الكتاب

هناك ثرثرة من الغضب - متواترة لدى لوثر، كما لدى شوبنهاور. [و] ثرثرة يغذيها رصيد كبير من الصيغ المفهومية، كما لدى كانط. وثرثرة ميّالة إلى تغيرات ما تفتأ تتجدد في نفس الموضوع: كما لدى مونتيني (Montaigne). وثرثرة ذات طبائع خداعة: من يقرأ آثار عصرنا الأدبية سيتذكر بهذا الخصوص، كاتبين (*) وثرثرة ميّالة إلى الكلمات الخاصة وأشكال البلاغة، الشيء الذي لا يعد نادرا في نثر غوته. وثرثرة سببها لذة صرفة في الضجيج وفي فوضى الأحاسيس: لدى كارلايل (Carlyle) مثلا.

98 لمجد شكسبير

إن أجمل ما أقدر أنه بإمكانه قوله تمجيذا لشكسبير، تمجيذاً للإنسان، هو ذا: لقد آمن بروتوس (Brutus) ولم يرد أن يكدر هاته الفضيلة بمثقال ذرة من الحذر! لقد خصص له أحسن تراجيدياته - التي لازلنا نذكرها الآن تحت اسم خاطيء - له ولمضمون الأخلاقية السامية المرعب جدا. لا امثالية النفس - هو ذا ما يتعلق به الأمر! هنا لا توضحية البتة قد تكون كبيرة: يلزم أن نعرف كيف نضحى من أجلها بأعز صديق، حتى وإن كان أروع رجل، [وإن كان] زينة الكون، [وإن كان] العبقري الذي لا نظير له - بمجرد ما يشكل خطرا على هاته الحرية التي نجبها باعتبارها حرية النفوس الكبيرة - هذا النوع من الاحساس هو الذي شعر به شكسبير! إن المرتبة العالية التي وضع فيها قيصر تشكل أسمى خدمة أمكنه آداؤها لبروتوس: فانطلاقا من هنا يمجّد قضية هذا الأخير إلى درجة كبيرة مثلما يمجّد قوة النفس القادرة على قطع مثل هاته العروة! - هل كانت الحرية السياسية فعلا هي ما دفع هذا الشاعر إلى مشاركة بروتوس هواه وجرمه؟ أم أن الحرية السياسية لم تكن سوى رمز لشيء لا يمكن التعبير عنه؟ هل سنجد أنفسنا في حضرة حدث غامض، مغامرة غامضة لنفس الشاعر التي لم يرد أن يتحدث عنها سوى برموز؟ ما كل كآبة هاملت بالمقارنة مع كآبة بروتوس! - ربما كان شكسبير يعرف الواحدة كما يعرف الأخرى، عن تجربة؟ ربما كانت له هو أيضا ساعة جحيمة وعفريته، مثل بروتوس؟ لكن مهما كان هذا النوع من التماثل والتطابق السرّيين: فإن شكسبير قد تواضع في إحساس من الذل والتباعد أمام سيء بروتوس النبيلة وفضيلته: - هذا ما تشهد

(*) يقصد آثار E. Duhring وريشار فاغنر.

عليه مأساته . لمرتين يصور فيها شاعرا ، وفي كل مرة يوسعه ازدراء بجزع كبير حتى نخال أننا نسمع شبه صيحة - صيحة ازدراء الذات . بروتوس ، بروتوس نفسه يفقد صبره بمجرد ما يرى الشاعر يعتلي الخشبة ، معجبا بنفسه ، شجيا فضوليا مثلما هم الشعراء عادة ، ككائن يبدو أنه يتنفخ بإمكانات العظمة ، بالعظمة الاخلاقية ذاتها ، بينما في فلسفة الفعل والحياة نادرا ما يصل الى مستوى النزاهة العامة . «إن كان يعلم ساعته ، فإني أعرف أمزجته - أبعادوا المهرج !» صاح بروتوس . لنُعِدْ نَقْلَ هذا إلى روح الشاعر الذي تخيَّله .

99 مريدو شوبنهاور

ما نلاحظه إثر اتصال شعوب متحضرة بأخرى متخلفة ، هو أن الحضارة الدنيا تشرع بشكل منتظم في استعارة رذائل ونقائص وعنف الحضارة المتفوقة ، وانطلاقا من هنا تشعر بانجذاب يمارس عليها ، وفي الأخير تترك جزءا من القوة المشروعة للحضارة المتفوقة يسري فيها ، لصالح الرذائل والنقائص المتمثلة - هذا ما يمكننا أن نلاحظه أيضا في محيطنا القريب بشكل أقل ملموسية بلا ريب ، لأنه أكثر دقة وتساميا ، دون أن يكون علينا أن نستكشف بالضرورة الأقوام البدائية في الحقيقة ، ماذا اعتاد مريدو شوبنهاور في ألمانيا أن يستعيروه من معلمهم لأول وهلة؟ - المريدون الذين ، باعتبارهم كذلك ، يجب عليهم أن يشعروا بأنهم متخلفون كثيرا لكونهم أعجبوا به وأغواهم أولا بطريقة متخلفة ، إذا ما قورنوا بثقافته العالية . هل علمه العنيد بالوقائع ، حسن نيته في الوضوح والفكر هما ما يجعله في الغالب يبدو انجليزيا بشكل كبير وألمانيا بشكل أقل؟ أم هل قوة وعيه الثقافي هي التي دعمت تناقضا بين الكينونة والارادة طيلة حياته ، والتي أرغمته على أن يناقض نفسه بشكل دائم وتقريبا في كل المواضيع في كتاباته كذلك؟ أم هو وضوحه في قضايا الكنيسة والإله المسيحي؟ - لأنه بدا واضحا في هذا أكثر من أي فيلسوف ألماني آخر حتى ذلك الوقت ، إذ عاش ومات «فولتيريا» . أم هي نظرياته الخالدة عن عقلانية الحدس ، عن قبلية قانون السببية ، عن الطبيعة الآلية للعقل وعن لحرية الإدارة؟ لا ، كل هذا لا يسحر ولا يشعر به على أنه ساحر : لكن اضطرابات وذرائع شوبنهاور الصوفية هاته حيث أغري مفكر الوقائع وأفسد بالطموح العديم الجدوى ليكون ذاك الذي يفك لغز الكون ؛ لكن نظرية الإرادة الفردية التي لا تكمن البرهنة عليها («ليست كل الأسباب سوى أسباب عرضية لتمظهر الإرادة في هذا الزمان ، في هذا المكان» ، - «إن إرادة الحياة حاضرة في كل كائن بل وفي أدنى الكائنات كاملة وغير

مجزأة، كاملة مثلها هي في كل الذين كانوا، في كل الذين هم كائنون أو سيكونون، مأخوذون بالاعتبار في مجموعهم»، لكن نفي الفرد، («كل الأسود ماهي في مجملها إلا أسد واحد»، «ليس تعدد الأفراد سوى مظهر»، مثلما التطور ليس سوى مظهر؛ - إنه يصف فكر لامارك «بخطأ بارع وعبثي»)، - لكن حماس العبقري المتحمس («إن الفرد لم يعد هو الفرد في الحدس الجمالي، بل محض موضوع للمعرفة، موضوع لازمني، دون إرادة ولا ألم»؛ «إن الموضوع بذوبانه التام في موضوع حدسه قد صار هو نفسه هذا الموضوع، لكن المفهوم العبثي للشفقة وللقطيعية التي صارت ممكنة فيها، لمبدأ التفردية باعتباره منبع كل أخلاقية بها في ذلك إثباتات كالتي تلي «الموت هو الغاية من الوجود على العموم»، لانستطيع إطلاقاً أن ننكر قبلها إمكانية ممارسة ميت لتأثير سحري»، إن هذين الفيلسوف وعيوبه من هذا النوع وما شابهها هي دائماً أول ما يُتَبَنَّى لتصير مبادئ إيمان : - إن الهذيان والعيوب هي في الواقع الأكثر سهولة في التقليد ولا تحتاج إلى مراس طويل . ولن نتكلم هنا سوى عن أشهر الشوبنهاوريين الأحياء، ريشار فاغنر . - لقد وقع له ما وقع لأكثر من فنان : أخطأ في تأدية الشخص التي أبدعها وأنكر الفلسفة المضمرة في فنه الأكثر شخصية إن رشار فاغنر قد اغتر بهيغل إلى ما يناهز النصف من حياته ؛ وقد ارتكب نفس الخطأ حين اعتقد بعد ذلك بكثير أنه يحلّ النظرية الشوبنهاورية في شخصه وشرع في تعريف نفسه بمفاهيم «الإرادة»، «العبقرية» و «الشفقة» . ولا يقل عن ذلك صدقاً كون أشد ما يناقض روح شوبنهاور ما هو فاغنيري محض في أبطال فاغنر : أعني براءة النهم الأقصى بالذات، الاعتقاد في الشغف العظيم وكأنه الخير في ذاته، باختصار، الطبع السيغفريدي(*) في سياء أبطاله . «في كل هذا أثر سبينوزا أكثر مما هو أثري أنا» قد يقول شوبنهاور . لقد كانت إذن لفاغنر دواعي جيدة بأن يستند إلى فلاسفة آخرين عوض شوبنهاور وحده : الافتتان الذي استسلم له، فيما يخص هذا المفكر، قد أعماه ليس فقط بخصوص كل الفلاسفة الآخرين بل بخصوص العلم ذاته، إن فنه كله لا يفتأ يزعم أنه يطرح نفسه كبديل ومتمم للفلسفة الشوبنهاورية حتى يتخلى بشكل واضح أكثر فأكثر عن الطموح السامي لأن يصير بديلاً ومتمماً للمعرفة وللعلم الانسانيين . وليست الفخامة الغامضة لهاته الفلسفة هي التي تسحره والتي سحرت أيضاً كاغليوسترو (Cagliostro) : فمواقف وتصنع الفلاسفة الخاصة تمارس دائماً هي الأخرى إغراءها! شوبنهاوري لدى فاغنر تحمسه مثلاً

(*) نسبة إلى Siegfried ، بطل مسرحيته الغنائية ، التي بدأ تأليفها سنة 1856 .

للتنديد بفساد اللغة الألمانية : وحتى حين نستحسن تقليد الفيلسوف في هذا فإننا لن نستطيع أن نضرب صفحا عن كون أسلوب فاغنر نفسه لا يخلو من المعاناة من تلك الأورام والدمل التي يغضب شوبنهاور لرؤيتها أشد الغضب، كذلك لانستطيع أن ننسى، فيما يتعلق بالفاغريين الذين يكتبون بالألمانية، أن العادة الفاغنيرية السيئة تبدأ بالظهور بشكل أخطر مما كانت عليه أية عادة هيغلية سيئة. شوبنهاوري لدى فاغنر بغضه لليهود الذين لا يعرف حتى كيف ينصفهم بخصوص صنيعهم العظيم : أليس اليهود هم مبتكرو المسيحية في الواقع ! شوبنهاورية محاولة فاغنر تصوّر المسيحية كحبة طائشة من البوذية، وإعداد عصر بوذي لأوربا بواسطة تقارب مؤقت بين صيغ وأحاسيس مسيحية - كاثوليكية. شوبنهاوري وعظ فاغنر لصالح الإحسان في العلاقة مع الحيوانات، في هذا كان فولتير كما نعلم، سابقا لشوبنهاور بحيث أنه عرف، مثل لاحقيه، كيف يقنع في احسانه بالحيوانات بغضه لبعض الأشياء وبعض الناس. إن بغض فاغنر للعمل، الذي ينبع من وعظه، ليس مستوحى على الأقل من روح الرحمة والطيبة - ولا من المعنى المطلق للروح، ذلك شيء بدهي، - ختاماً، إن فلسفة فنان ما لاتهم كثيرا مادامت ثانوية ولا تضر بفنه. لانستطيع أن نمتنع عن مؤاخذه فنان على تقنع عرضي، ربما [كان تقنعا] تعيسا ومتكلفا : لاننسى أن كل فنا نينا الأعزاء متباهون بدرجات متفاوتة، أن عليهم أن يكونوا كذلك، وأنه دون تباه فإنهم سيتحملون الوجود بمشقة، على التهادي. لنحفظ وفاءنا لفاغنر فيما هو لديه أصيل وأصيل - وذلك بأن نبقي أوفياء، نحن مريدوه، لما هو فينا أصيل وأصيل. لندع له مزاجاته وتشنجاته الفكرية، لنقيم عوض ذلك، بكل إنصاف، نوع الأغذية والحاجات التي لفن مثل فنه الحق في المطالبة بها حتى يستطيع أن يحيا وينمو. لايهم كثيرا أن يكون على خطأ كمفكر أغلب الأحيان : فلا الانصاف ولا الصبر شغله. يكفي أن تكون حياته على صواب وتحفظ الصواب في عينيه : هاته الحياة التي تنادي كل واحد منا : «كن رجلا ولا تتبعني - لا تتبع أحدا غيرك أنت ! أنت نفسك !» حياتنا الخاصة كذلك عليها أن تحفظ الصواب في نظرنا ! نحن أيضا علينا أن ننمو ونزهر من تلقاء أنفسنا، أحرارا ودون خوف، في براءة أنانا ! وكذلك نبجل رجلا مثله لاتزال كلماته ترن في أذني اليوم كالأمس : «أن الشغف أفضل من الرواقية والتمثل، أن الصدق حتى في الشر أفضل من أن تضل النفس في أخلاقية التقاليد، أن الإنسان الحر قد يكون طيبا بقدر ما يكون شريرا، لكن الانسان العبد يكون عارا للطبيعة ولاحظ له في أي عزاء

سماوي أو أرضي . أخيرا أن أي امرئ يريد أن يكون حرا لا بد له أن يصير كذلك بنفسه ، وأن الحرية لم تهبط على أحد من السماء كهبة معجزة . »

(ريشار فاغنر في بايروت ، ج II ص 94)

100 تعلم الشناء

يتعلم الناس الشناء كما يتعلمون الازدراء . أي امرئ انخرط في سبل جديدة وقاد إليها آخرين كثيرين يكتشف باندهاش كم يظهرون حقيرين ورعناء في التعبير عن شكرهم ، كم هو نادر أن يتوصل هذا الشكر إلى التعبير عن نفسه . يبدو أنه بمجرد ما يحاول أن يُسمع نفسه يأتي شيء ليخنقه ، فلا يملك إلا أن يسْعُولَ ، وتضيع كلمته في السعال . الظروف التي يتوصل فيها مفكر إلى الاحساس بفعل أفكاره المغير والمثير تنحو منحى الملهاة . أحيانا يبدو أن الذين تعرضوا لهذا الفعل قد يجدون أنفسهم مضايقين من جرّاءه ، وأنهم ، خوفا من فقدان استقلالهم ، لن يستطيعوا إظهاره إلا بوقاحات متنوعة . يجب أن نتظر أكثر من جيل قبل أن نبتكر ميثاقا مهذبا للشكر ، قبل أن تحين اللحظة المتأخرة التي يستطيع فيها نوع من الفكر والنبوغ اختراق الشكر ذاته . في هذه اللحظة كذلك يتواجد عادة امرؤ مهيا لأن يكون أكبر جامع للتشكرات ، ليس فقط لما فعله من حسنٍ هو نفسه بل في الغالب لما جمعه سابقوه شيئا فشيئا ككنز مما هو رفيع وممتاز .

101 فولتير

حيثما كانت حياة البلاط ، فإنها تفرض قانون اللغة النبيلة ، وبنفس الشكل ، قانون الأسلوب على كل الذين يكتبون . ومع ذلك فإن لغة البلاط هي لغة المتزلف الذي لا اختصاص له والذي يمتنع ، حتى في الأحاديث عن مسائل علمية ، عن استعمال كل التعابير التقنية المألوفة ، لأنها تفوح منها رائحة المهنة ، لهذا كان استعمال التعابير التقنية وكل ما يوحي بالمختص يشكل أساسا بالأسلوب في كل الدول التي كانت تسود فيها ثقافة البلاط . الآن والبلاطات كلها لم تعد إلا كاريكاتورا لما مضى وسلف ، فإننا نندهش لأن فولتير نفسه كان مدققا وقاس جدا بهذا الخصوص (مثلا في الحكم الذي يحمله عن أسلوبيين أمثال فونتونيل ومونتسكيو) ، - الواقع أننا كلنا اليوم متحررون من ذوق البلاط ، بينما كان فولتير قد رفعه إلى كماله !

102 كلمة لفقهاء اللغة

أن نوطد باستمرار الاعتقاد بأن هناك كتباً نفيسة جداً ومائعة جداً بحيث أن أجيالاً كاملة من العلماء تجد نفسها قد أدت غايتها بمجرد أن تحفظ هاته الكتب بنصها الكامل وبجلالها بفضل مجهوداتهم — هو ذا مبرر وجود فقه اللغة . إنه يفترض أنه لن ينقص مثل هؤلاء الرجال الذين يعرفون حقاً استعمال هاته الكتب النفيسة (وإن كنا لا نميزهم على التو) ؛ — لا ريب أن الأمر يتعلق بأولئك الذين ينتجون ويعرفون كيف ينتجون مثل هذه الكتب . كدت أقول إن فقه اللغة يفترض اعتقاداً نبيلاً — مع العلم أنه لخير بعض الرجال النادرين الذين «سيأتون» دائماً وليسوا هنا أبداً ، أن كمية كبيرة من العمل الشاق بل والقدر، ما يزال يتطلب بذلها قبل كل شيء : كل هذا يشكل شغلاً كثيراً (*) in usum Delphinorum .

103 عن الموسيقى الألمانية

الموسيقى الألمانية هي منذ الآن ، أكثر من أي موسيقى أخرى ، الموسيقى الأوربية بحصر المعنى ، لأنها عبّرت عن الاضطراب الذي عاشته أوربا من جراء الثورة : وحدهم الملحنون الألمان يعرفون التعبير عن تهيج الطبقات الشعبية بهذا الصخب الاصطناعي الرائع الذي ليس في حاجة حتى لأن يكون قويا جداً كي يفعل فعله — بينما لا تعرف الأوبرا الإيطالية مثلاً سوى جوقة من الخدم والجنود ، قليلاً من " الشعب " . هناك ما يدعو للملاحظة بالإضافة إلى ذلك أنه في كل موسيقى ندرك حسداً بوجوازي عميقاً إزاء النبالة ، من جهة النباهة والأناقة باعتبارهما تعبيراً عن مجتمع واثق من نفسه بتقليده القديم الذي هو البلاط والفروسية . ليست هاته موسيقى مثل «نشيد أمام الباب» ، لغوته ، التي يسمعها المجتمع «في القاعة» وخاصة الملك ، باستحسان : لم تعد المسألة فيها مسألة «فرسان كانوا ينظرون بجرأة» ولا «حسناوات كنّ يغضضن أبصارهن» . في الموسيقى الألمانية ، لا يبدو الرضى ذاته دون أن يثير ندامات [ما] : إن الألماني لا يشرع في الإحساس بأنه أخلاقي أكثر فأكثر حتى قمة سموه الممجّد ، الفقيه والشرس في الغالب ، السمو البتهوفني ، إلا لدى اتصاله بالفتنة ، بالدماثة ، الأخت الريفية للرضى . لو حاولنا أن نتمثل الرجل الذي يستجيب لموسيقى ممائلة ، فسنفكر إذن بالضبط في بتهوفن

(*) دلفي (Delphi) — م . دلفيس [مدينة فوسيد ، سرّة الأرض بحسب اعتقاد القدماء ، وهي معروفة بضريح وبوسيط وحي الإله آبولوند] . والجملة : على طريقة شغل سكان (Delphinorum)

مثلاً كان يظهر بجانب غوته ، مثلاً عقب هذا اللقاء في تيلتز (Teplitz) : [حيث كان يظهر] كنصف البربرية بجانب الثقافة ، كالعامية بجانب النبالة ، كرجل ذي طيبة طبيعية بجانب الرجل الذي هو يفوق الرجل «الطيب» ، كالغريب الأطوار بجانب الفنان ، كذاك الذي يحتاج إلى العزاء بجانب المعزى ، كـ "المبالغ" ، المرتاب بجانب الرجل العادل ، كصائد اليرقانات ومعذب نفسه ، كالمجنون الشاطح ، التعس في سكون ، الرجل الذي لا يداني وفاؤه ، المتعجرف والأبله - وإجمالاً كـ "الإنسان الجموح" : هكذا كان غوته نفسه يشعر به ويعرفه ، غوته ، الألماني النادر الذي لم توجد بعد موسيقى جديدة به ! - وفي الختام ، لتساءل إن لم يكن ازدياد النغم وذبول المنحى للحنى المتفشي أكثر فأكثر لدى الألمان كنوع من العيب الديمقراطي ، الناجم عن الثورة . في الواقع ، إن النغم يبرهن على رغبة طاهرة في سيادة القانون وعن نفور شديد من كل ما هو في صيرورة ، قبيح الشكل وتعسفي ، بحيث نبصر فيه مثل رجوع نظام الحقائق الأوربية القديم ، ومثل إغواء قمين بأن يردنا إلى هذا النظام .

104 عن نبرة اللغة الألمانية

نعرف من أين تصدر الألمانية التي تشكل اللغة الألمانية المكتوبة منذ بضعة قرون . إن الألمان ، باحترامهم لكل ما كان يصدر عن البلاط ، قد سارعوا إلى أخذ أسلوب المستشارية كنموذج ، في كل ما كان عليهم أن يكتبوه ، إذن بشكل خاص في الرسائل ، في العقود ، في الوصايا وفي أشياء أخرى من هذا النوع . الكتابة بأسلوب المستشارية كانت تعني الكتابة طبقاً لروح البلاط والحكومة ، - لقد كان في ذلك شيء متميز مقارنة مع الألمانية العامية التي كانت تتداول في المدينة حيث اعتاد الناس أن يعيشوا . من ثم بدأ الناس شيئاً فشيئاً يتحدثون مثلاً يكتبون - وبهذا كانوا يظهرون تميزاً أكثر في صياغة الكلمات واختيارها وفي تركيب الجمل وفي النبرة أيضاً : كان الناس يتكلمون يتحدث بنبرة البلاط ، وهذا التكلف أضحى طبيعة ثانية . ربما لم يحدث شيء مماثل في أي مكان آخر : سيطرة الأسلوب على اللغة المتداولة وميل شعب بأكمله إلى التنميق والتكلف كقاعدة للغة مشتركة ، خالصة من الفوارق العامية . أعتقد أن اللغة الألمانية قد كانت لها لهجة مزارعية وعامية إبان المرحلة القروسطية وخاصة في نهاية القرون الوسطى : وقد تنبأت هاته اللهجة خلال القرون الأخيرة ، بشكل أساسي ، بفعل رؤية الناس أنفسهم مرغمين على محاكاة عدد كبير من الرنات الفرنسية والإيطالية والإسبانية ، وبشكل خاص من جانب النبلاء الألمان

(والنمساويين)، الذين لم يستطيعوا قطعاً الاكتفاء باللغة الأم . لكن رغم هذا النوع من الممارسة فإن الألمانية قد احتفظت برنة عامية بشكل لا يحتمل في آذان مونطين (Montaigne) أو حتى راسين؛ بل وحتى اليوم ترنّ هذه اللغة في أفواه المسافرين الألمان وسط الدهماء الإيطاليين بشكل عنيف وأجشّ يذكر بالإنسان البدائي - بالغرف الدخينة وبالأقطار ذات التقاليد الفظة . - والحالة هذه، ألاحظ أنه في الحاضر يتفشى من جديد بين المعجبين القدامى بالمستشارية ميلٌ مماثل إلى التميز في النبذة وأن الألمان قد شرعوا في الاستسلام لـ «سحر» نبذة غريب تماماً يمكن أن يصير على التهادي خطراً حقيقياً على اللغة الألمانية، - لأننا سنبحث دون جدوى عن رجع أشنع في أوربا . شيء مزدري، بارد لامبالٍ، خرع في الصوت : هذا ما يبدو الآن للألمان «تميزاً» - وأتبين التحمس لهذا النوع من التمييز في أصوات الموظفين والمعلمين والنساء والتجار من الجيل الجديد؛ حتى البنات الصغيرات يقلدن الآن «ألمانية الضابط» هاته . لأن الضابط، النمساوي بالخصوص، هو مبتكر هاته النبذة : هذا الضابط نفسه، باعتباره عسكرياً ورجل حرفة، أبدى بتباه ذوق التواضع هذا الجدير الإعجاب الذي كان على كل الألمان أن يأخذوه كمثال (ربما فيهم الاساتذة والموسيقيون) . لكن بمجرد ما يشرع في الحديث وفي التحرك يبدو أنه الشخص الأقل تواضعاً والأكثر تجرداً من ذوق أوربا القديمة - غير واع ذاته تماماً، دون أدنى شك! غير واع مثلاً هم الألمان الطيبون بخصوصه، الذين يعتبر في نظرهم رجل المجتمع، الأشد تميزاً، والذي يقبلون عن طيب خاطر أن «يمنحهم النبذة» . وذلك ما يفعل هو الآخر! - ابتداء من الـ Feldwebel* وضباط الصف الذين يقلدونه بشكل فظ . يكفي أن نصغي للأوامر الزاعقة التي تغلف المدن الألمانية بشكل إثباتي، الآن وقد صارت التداريب تجري في أبواب كل الحواضر : يالها من غطرسة، ياله من صغار السلطة، يالها من برودة هازئة تتردد في هاته الزعقات! أياكون الألمان شعباً موسيقياً حقاً؟ الشيء الأكيد هو أنهم يعسكرون نبذة لغتهم في الحاضر : من المحتمل، وقد دفعوا إلى التحدث عسكرياً، أن ينتهوا بالكتابة عسكرياً كذلك . لأن التعود على بعض النبرات يدخلها بعمق في المزاج : - سريعاً تكون للناس الكلمات والعبارات وأخيراً الأفكار الخاصة بهذا النوع من الرجوع! ربما يكتب الناس منذ الآن ضمن النوع «ضابط»، لعلي أقرأ قليلاً جداً مما يكتب في ألمانيا . لكنني بالأحرى

(*) Feldwebel : رقباء نقيبون (رتبة في الجيش : Sergeants majoris) - (عن معجم Langenscheidts Jubilaums - Wörterbuch, Deutsch / Französisch 1984)

متأكد من شيء واحد : المظاهر الشعبية الألمانية التي تتسرب إلى الخارج كذلك ليست مستوحاة من الموسيقى الألمانية، بل من هاته النبرة الجديدة ذات الغطرسة المضادة للذوق السليم . هناك تقريباً في كل خطاب لرجل الدولة الأول في ألمانيا نبرة حتى حين يُسمِعها [للناس] الناطقُ باسمه الامبراطوري فإنها تؤذي سمع الأجنبي الذي يرفضها باشمئزاز : لكن الألمان يؤازرونه : إنهم يتآزرون .

105 الألمان بصفاتهم فنانين

حين يحدث للألماني أن يكون فعلاً تحت تأثير الشغف، الهوى (وليس فقط تحت تأثير نزوة الهوى الصادقة، كما جرت العادة) فإنه يتصرف إزاءك كما ينبغي له أن يفعل، دون أن يعبأ بتصرفه . الحقيقة أنه يتصرف حينئذ بكثير من السماجة ومن القبح وكما [لو كان] دون ميزان ودون نغم، بحيث ينزعج المشاهدون من ذلك أو يهتزون له، ولا شيء سواه : - إلا إذا تسامى إلى حدود الرفعة والغبطة، الشيء الذي تقدر عليه كثير من الأهواء . وقتئذ حتى الألماني يصير جميلاً . إن ملكة استشعار من أي علو يرضى الجمال بسكب مفاته حتى على الألمان يرفع مفاتهم إلى حدود العلو، حتى العلو الشاهق وحتى إفراطات الهوى : طموح فعلي وعميق إذن لتجاوز القبح والسماجة، على الأقل للإبصار من ورائها - بعالم أفضل، أكثر خفة، أكثر استوائية، أكثر إشماساً . وهكذا فإن تشنجاتهم لاتدل على شيء آخر غير حاجتهم إلى الرقص : دِبة مسكينة تضطرب فيها حورٌ وألهة غابية مختبئة - وأحياناً معبودات اسمى كذلك .

106 الموسيقى التي تتوسط

قال أحد المبدعين لأحد مريديه : «أنا متعطش لأستاذ في فن الأصوات يعرف كيف يتعلم أفكارى ويعبر عنها في المستقبل بلغته الخاصة : بذلك سأنفذ بشكل أفضل إلى آذان وقلوب الناس . الأصوات تمكّن من إغوائهم في كل خطأ كما في كل حقيقة : منذاً سيفكر في إبراز خطأ صوت؟» - «هكذا تريد أن تعتبر غير قابل للحضر؟» قال المريد . ردّ المبدع : «أود أن أرى البذرة تصير شجرة . ولكي تصير نظرية ماشجرة، يجب أولاً أن يعتقد فيها، أن تُعتبر غير قابلة للدحض . العاصفة، الشك، الهامة، الحبث تمتحن الشجرة لكي يظهر نوعٌ وقوة بذرتها، لتتكسر إن لم تكن قوية ! لكن فيما يخص البذرة فإنه لا يمكن أبداً سوى أن تباد - لا أن تدحض !» - حين انتهى من قول هذا، صرخ مريده باندهفاع : «لكني أنا الذي أومن بقضيتك

اعتبرها متينة جدا بحيث سأجرؤ على قول كل ما ينطوي عليه قلبي وإن كان ضدها» - ضحك المبدع في سره ثم قال مهددا إياه [وهو يشير] بأصبعه : «لن نستطيع أن نجد مريدين أفضل ، غير أنهم هم الأخطر، وثمة نظريات عديدة لن تؤيدهم» .

107 شكرنا النهائي للعلم

لو لم نستحسن الفنون ونبدع هذا النوع من عبادة اللاحقي فلن نستطيع إطلاقا تحمّل الملكة التي يمنحنا إياها العلم ، ملكة فهم الروح الكونية لللاحقية وللکذب - فهم الهذيان والخطأ باعتبارهما شرطين للوجود العارف والحساس . ستكون عاقبة النزاهة هي الاشمئزاز والانتحار، ويحدث ، والحالة هذه أن نزاهتنا تمتلك ملاذا قويا لتهرب من عاقبة مماثلة : الفن ، باعتباره موافقة للظاهر. إننا لانمنع دائما نظرنا من أن يحدّ وينهي ما نتخيّله : وأنّذ ليس النقص الابدي هو ما نحمل ما وراء نهر الصيرورة - لكننا نعتقد أننا نحمل إلهة ونظهر أنفسنا فخورين و طفولين بإسدائنا هاته الخدمة لها . باعتبار الوجود ظاهرة جمالية فإنه دائما ممكن التحمّل لدينا ، وبموجب الفن فإن العين واليد وقبل كل شيء راحة الضمير قد وهبت لنا كي نستطيع أن نتحول إلى مثل هذه الظاهرة . إنه لمن الضروري أن نروّج عن أنفسنا من حين لآخر لصالح الفن الذي يمكننا من تأمل أنفسنا ، من أعلى ، وأن نضحك علاوة على ذلك ، من أنفسنا أو نبكي علينا : أن نكشف البطل وكذلك البهلول اللذين يختبئان في شغفنا للمعرفة ، أن نستمتع من حين لآخر بجنوننا كي نستمر في الاستمتاع بتعقلنا ! - ولأننا في العمق عقول خطيرة ، ولنا جسامه الوزن بدل جسامه الرجال ، فلا شيء يستطيع أن يحسن إلينا أفضل من قبعة المجنون : إننا في حاجة إليها حاجتنا إلى دواء ضد أنفسنا - نحن في حاجة إلى كل فن مرح ، طاف ، راقص ، ساخر ، طفولي وجدّي ، ، حتى لانفقد أي شيء من هاته الحرية التي تعلو على الأشياء التي تنتظر منا نحن أن نكون مثلنا الأعلى . ستكون انتكاسة لنا أن نسقط كلية في الأخلاق بفعل نزاهتنا النزقة ذاتها ، وبتلبية مطالب مفرطة فإننا ننتهي بأن نصير مسوخا [و] فزاعات فضيلة . يجب أن نكون قادرين كذلك على البقاء مافوق الاخلاق : وليس فقط أن نمكث بالتصلب القلق لأمرىء يخشى أن يزلق ويسقط في كل لحظة ، بل أن نتجاوزها ونمرح بعيدا ! كيف إذن سنحرم أنفسنا من الفن ، كيف سنحرم من المجنون [فيينا]؟ - وطالما أن فيكم شيئا من الخجل من أنفسكم فلن تكونوا منا بعد!

الكتاب الثالث

108 صراعات جديدة

بعد أن مات بوذا أظهرَ ظلُّه في مغارةٍ طيلة قرون - [وكان] ظلاً رهيباً ومخيفاً . لقد مات الإله : لكن هاته هي طبيعة الناس بحيث ستكون هناك ، ربما طيلة ألفيات ، مغارات يُعرض فيها ظلّه . - أما نحن - فيجب علينا أن نهزم ظلّه كذلك !

109 تحذير

لنحذر التفكير في كون العالم كائناً حياً . إلى أين سيتوسّع ؟ بأي شيء سيتغذى ؟ كيف سيستطيع أن ينمو و يتكاثر؟ إننا ، من جهة أخرى ، نعلم تقريبا ما هو العضوي : وما ندركه متفرعا للغاية ، متأخرا ، نادرا ، عرضيا على قشرة الأرض ، أسنذهب إلى حد تفسيره على اعتبار أنه الأساسي ، الكوني ، الأزلي ، كما يفعله أولئك الذين يسمون الكل جهازا عضويا ؟ هذا شيء يثير اشمئزازي . لنحذر الاعتقاد من أول وهلة أن الكل عبارة عن إوالة . إنه لم ينشأ لغاية ما بكل تأكيد ، وإننا نشرفه كثيرا إذ نمنحه اسم «إوالة» . لنحذر أن نفترض ، بشكل قطعي وبأية حال من الأحوال شيئا ذا شكل مكتمل مثل الحركات الدائرية للكواكب المجاورة لنا : نظرة واحدة إلى مجرة التبانة تجعلنا نشك في ذلك ، فهي توحى بحركات غير متقنة ومتناقضة ، كما توحى بكواكب مُسارعة في انحدار مستقيم أبدا وبأشياء أخرى مشابهة . النظام الكوكبي الذي نعيش فيه استثناء : هذا النظام والمدة النسبية التي يحددها قد جعلنا استثناء الاستثناءات ممكنا مرة ثانية : تكون العضوي في المقابل ، إن طبيعة كل العالم هي منذ الأزل طبيعة الفوضى ليس بسبب غياب الحاجة لكن بسبب غياب النظام ، التمثيل ، الشكل ، الجمال ، الحكمة ، و [ذلك] مهما تكن مقولاتنا الجمالية الانسانية . من وجهة نظر فهمنا فإن الدقات التافهة تشكل القاعدة من بعيد ، الاستثناءات لا تخضع لغاية سرية ، وقطع الساعات برمتها تعيد أبدا مقامها الذي لن يستحق أبدا اسم نغم - وفي الختام ، إن عبارة «الدقة التافهة» ذاتها ليست إلا تهديبا يتضمن لوما . والحالة أنه كيف سنجرؤ على لوم الكل أو الثناء عليه ! لنحذر مؤاخذته على قلة مروءته أو قلة غباوته أو عكسهما : فما هو بكامل ولا جميل ولا نبيل ، ولا يريد أن يصير شيئا من هذا القبيل ، إنه لا يطمح إطلاقا لأن يحاكي الانسان . إنه ليس مصابا نهائيا من أحكامنا الجمالية أو الاخلاقية . وزيادة على ذلك ليست له غريزة البقاء و [ليست له] قطعاً دوافع ما : إنه لا يعرف قانونا قط . لنحذر أن نعلن أن هناك قوانين في الطبيعة . ليست هناك إلا حاجات : هناك ، لأحد يحكم ،

لأحد يطيع ، لأحد ينتهك [القانون] . منذ أن تعلّم أنه ليست هناك غاية فإنك ستعلم أن لا صدفة هناك . لأن كلمة الصدفة ليس لها معنى إلا بالقياس إلى عالم الغايات . لنحذر القول أن الموت نقيض للحياة . الحي ليس إلا نوعاً مما هو ميت ، ونوعاً نادراً جداً . - لنحذر الظن أن العالم أبداً يخلق شيئاً جديداً . ليست هناك مادة دائمة بشكل أزلي ؛ المادة خطأ مثل إله الإيليين (*). متى إذن ستتخلص من حذرنا ومن همومنا؟ متى تكف كل ظلال الإله هاته عن حجب النور عنا؟ متى سنزيل صفة الألوهية كلية عن الطبيعة؟ متى سيسمح لنا بأن نتطبع، نحن الناس، مع الطبيعة الخالصة المكتشفة من جديد، المحررة من جديد؟ .

110 أصل المعرفة

لم يُؤلّد العقل خلال مُدد زمنية هائلة سوى أخطاء : وقد بدت في بعضها مفيدة، وصالحة لحفظ النوع : أي واحد يتبنّاها أو يرثها كان يقوى على خوض صراع ما بمزيد من الحظ من أجله هو ومن أجل خَلْفِهِ . مثل هاته الأخطاء، التي لم تفتأ تنتقل وراثياً ككثير من أقسام العقيدة الدينية إلى أن تصير الغاية المشتركة للجنس البشري، هي مثلاً ما يلي : هناك أشياء دائمة، أشياء بذاتها؛ توجد فعلاً أشياء، مواد، أجسام؛ الشيء هو ما يبدو أنه هو؛ إرادتنا حرّة، ما هو صالح بالنسبة إلي فهو ذو صلاح أصلي كذلك . ولم يظهر الذين كذبوا مثل هاته الآراء وشكّوا فيها إلا متأخرين جداً - ولم تظهر الحقيقة كشكل المعرفة الأقل إلزاماً إلا متأخرة جداً . كان يبدو أننا لن نستطيع أن نحيا معها وأن جسمنا قد بُنيَ لمناقضتها : كل وظائفه العليا، كل الإدراكات الحسية وكل الاحساس على الإطلاق، كانت كلها تعمل بهاته الأخطاء الأساسية المتأصلة في المصادر. أفضل من ذلك، لقد صارت هاته الاقتراحات، حتى داخل المعرفة، المعايير التي بموجبها نثبت «الصحيح» و «غير الصحيح» حتى في مناطق المنطق الخالص الأكثر انزواءً. هكذا إن قوة المعارف لا تكمن في درجة صحتها لكن في أقدميتها، في درجة تمثيلها (**)، في طبعها [المتعلق ب] شرط الحياة . هناك حيث كانت الحياة والمعرفة تبدوان في تناقض، لم نخُض أبداً صراعاً ذا شأن : كان الشك والنفي يعتبران إذن جنونا . هؤلاء المفكرون الاستثنائيون الإيليون، الذين أقاموا تناقضات الأخطاء الطبيعية

(*) Eleates (إيليون - متعلقون بمدرسة إيلة الفلسفية) .

(**) Assimilation (عملية يقوم بها الفكر للكشف عن التشابه القائم بين الظواهر المتشابهة، كما تعني الانتقال من المختلف إلى المشابه) .

وحافظوا عليها ، كانوا مع ذلك يعتقدون بإمكانية أن يعيشوا هذا التناقض أيضا : لقد ابتكروا الحكيم باعتباره رجل الاستقرار ، رجل اللاشخصية ، رجل كونية الحدس ، بمثابة الواحد والكل في نفس الوقت ، مزودا بملكة خاصة لهذه المعرفة المقلوبة : إنهم كانوا يعتقدون أن معرفتهم كانت ، في الوقت ذاته ، مبدأ الحياة . لكن لكي يستطيعوا إثبات كل ذلك كان لابد أن ينخدعوا بخصوص وضعهم الخاص : كان عليهم أن يضيفوا على أنفسهم اللاشخصية والديمومة دون تغير ، أن يتجاهلوا طبيعة الذات العارفة ، أن ينكروا عنف الدوافع التي لا تقاوم في المعرفة وأن يتصوروا العقل بشكل قاطع باعتباره عملية حرة تماما ، وكما لو كانت تحدث من تلقاء نفسها ، لقد كانوا يتغاضون عن كونهم لم ينتهوا إلى أطروحاتهم إلا لكونهم كذلك قد ناقضوا المشروع ، قد طمحووا إلى الراحة ، إلى الملكية الخاصة ، إلى الهيمنة . إن التطور الدقيق للنزاهة والشكوكية قد جعل أخيرا مثل هؤلاء الرجال لا يطاقون : لقد بدت حياتهم وحكمهم متوقفين على الإجراءات والأخطاء الأساسية التي تؤثر ، انطلاقا من الأصول ، في كل وجود حسي . — لقد تطورت هذه النزاهة وهذه الشكوكية الدقيقتان حيثما كان اقتراحان متناقضان يبدوان ملائمين للحياة ، لأنها كلتاها كانتا متساويتين مع الأخطاء الأساسية ، أي حيثما كان التباحث في كون درجة المنفعة الأكبر تقريبا نسبة للحياة ، ممكنا ، كذلك هناك حيث كانت اقتراحات جديدة ، دون أن تكون نافعة للحياة ، فإنها لم تكن كذلك ضارة بها ، بصفتها تعبيرا عن غريزة لعبة ذهنية ، وبالتالي كانت تظهر الطبع البريء والرضي لكل لعبة في الوقت ذاته . شيئا فشيئا امتلأ الدماغ الانساني بقناعات وأحكام من هذا الصنف ، وأوجد هذا المزيج المعتد الذي هو في طور التخم ، الصراع والرغبة في القوة . ليس حس المنفعة والمتعة وحده بل سائر أنواع الاندفاعات دافعت عن الـ « حقيقة » في الصراع ؛ أمسى الصراع الفكري ، فتنة ، وظيفة ، واجبا ، كرامة - : أخيرا اندمج فعل المعرفة والطموح إلى الصحيح باعتبارهما حاجة من ضمن الحاجات الأخرى . وانطلاقا من ذلك لم تشكل العقيدة والقناعة وحدهما قوة ، بل الامتحان ، النفي ، الحذر والتناقض كذلك ، الغرائز « القبيحة » أصبحت تابعة للمعرفة وجُعِلت في خدمتها واكتسبت هيبة المشروع الموقر ، النافع ، واكتسبت أخيرا نظرة وبراءة المنفعة . صارت المعرفة إذن جزءا مكملا للحياة نفسها ، و [غدت] باعتبارها حياة ، قوة متنامية باستمرار : إلى أن تنتهي المعارف وهاته الأخطاء الأساسية القديمة بالصدام المتبادل ، باعتبار الواحدة والأخرى حياة ، باعتبارهما قوة ، في داخل الفرد

الواحد . المفكر: هو الآن الكائن الذي يخوض فيه الطموح الدافع إلى الحقيقة وهاته الأخطاء المحافظة على الحياة صراعها الأول بعد أن ظهر الطموح إلى الحقيقة بدوره كقوة محافظة على الحياة . كل ما تبقى غير مهم بالقياس إلى خطورة هذا الصراع : السؤال الأخير بخصوص شرط الحياة يُطرح هنا ، والمحاولة الأولى للإجابة على هذا السؤال بالتجربة تتم هنا . إلى أي حد تتحمل الحقيقة التمثيل ؟ - هو ذا السؤال ، هي ذي التجربة المتعين خوضها .

111 أصل المنطق

من أين نشأ المنطق في رؤوس الناس ؟ لاشك من اللامعقولية التي كان مجالها شاسعا في الأصل . لكن كائنات لا تحصى كانت تستج بطريقة غير التي نستنتج بها الآن قد هلك : ربما يكون هذا أصح مما نظنه ! مثلا ، من لم يكن يعرف في غالب الأحيان تمييز الـ «مماثل» فيما يخص الغذاء أو الحيوانات الخطيرة عليه ؛ الذي كان بالتالي بطيئا جدا في الترتيب ، متيقظا جدا في الترتيب ، قد كانت له حظوظ في البقاء أقل من الذي يقع مباشرة على المماثل (*) ضمن كل أنواع الحقائق المتشابهة . لكن الميل السائد إلى اعتبار الشبيه كالمماثل - ميل لامعقول ، لأنه لا يوجد شيء مماثل في ذاته - هذا الميل قد خلق أساس المنطق نفسه . كان لابد كذلك ، لكي يمكن تطور مفهوم الجوهر الذي لا غنى للمنطق عنه ألا يناظره شيء واقعي بحصر المعنى ، أن تبقى تغيرية الأشياء لمدة طويلة خفية وغير مضبوطة ؛ لقد كان للكائنات غير المزودة بنظر دقيق سبق على الذين كانوا يرون كل الأشياء كما لو كانت «في تدفق أبدي» . كل تيقظ بالغ في الاستنتاج [و] كل ميل شكوكي يشكّلان لوحدهما خطرا كبيرا على الحياة . لم يكن أي كائن حي ليبقى لو أن الميل المعاكس لإثبات الحكم بدلا من تعليقه ، للتبه والتخيل بدلا من الانتظار ، للموافقة بدلا من الإنكار ، للحكم بدلا من الإنصاف - [لو أنه] لم يثر بشكل قوي جدا . إن سياق الأفكار والاستنتاجات المنطقية في دماغنا الحالي تطابق سياق وصراع دوافع هي بنفسها لامعقولة وجائرة : إن الإوالية القديمة تجري فينا الآن بشكل سريع وخفي جدا بحيث لا ننتبه أبدا إلا إلى نتيجة الصراع .

(*) L'identique : (هناك من يترجمه بالهوي) أي الواحد مع ذاته ، المحقق لوجوده وماهيته في آن .

112 العلة والمعلول

نقول إنه «التفسير»، لكن في الواقع «الوصف» هو ما يميزنا بالنسبة إلى درجات المعرفة والعلم القديمة. إننا نصف أحسن، - نفسر قليلاً مثل أسلافنا. هناك حيث لم يكن الباحث الساذج في الحضارات القديمة يرى إلا شيئين اثنين، الـ «علة» و الـ «معلول» كما كان يقال، اكتشفنا نحن تعاقباً متعددًا، أتمننا صورة الصيرورة لكننا لم نذهب إلى ما وراء هاته الصورة ولا أبعد منها. في كل حالة نجد سلسلة «العلل» تامة أكثر أمام أعيننا فنستنتج: يجب أن يحدث الشيء كذا أولاً لكي يحدث الشيء الآخر بعد ذلك، - أما أن نفهم أي شيء كان، فلسنا متقدمين في ذلك أكثر. في كل سيرورة كيميائية تبدو الكيفية، من قبل ومن بعد، أشبه بـ «معجزة»، كذلك كل حركة مستمرة؛ لأحد البتة «فسر» الصدمة. وفضلاً عن ذلك كيف يمكننا أن نفسر؟ إننا نعمل بواسطة كميات من أشياء غير موجودة، بواسطة خطوط، مساحات، أجسام، ذرات، زمن، فضاءات يمكن تقسيمها، - كيف سيكون التفسير ممكناً عندما نجعل من كل هذا تمثيلاً لنا؟ يكفي أن نعتبر العلم أنسنة للأشياء مخلصنة نسبياً؛ إننا نتعلم أن نصف أنفسنا بشكل دقيق أكثر فأكثر، فقط بوصفنا الأشياء وتعاقبها. العلة والمعلول: ربما لا توجد مثل هذه الثنائية أبداً - إننا في الحقيقة أمام مجموعة Continuum (*) نعزل منها بعض الأجزاء، كذلك لاندرج أبداً إلا نقطة معزولة من حركة لانراها في جملتها، لكننا نفترضها فقط. إن الفجاءة التي محلُّ بها عددٌ كبيرٌ من المعلومات محلُّ البعض تخدعنا: لكنها بالنسبة لنا ليست إلا فجاءة. هناك مجموعة لامتناهية من السيرورات التي تفوتنا في هاته الثانية من الفجاءة. إن الفكر القادر على رؤية العلة والمعلول ليس على طريقتنا [أي] باعتباره الكائن المقسم والمجزأ عسفاً، لكن باعتباره مجموعة continuum، القادر إذن على رؤية مجرى الأحداث - سيرفض مفهوم العلة والمعلول وينكر كل شرطية.

113 من أجل علم السّموم

لكي ينشأ فكرٌ علمي لابد من التحام كثير من القوى: وقد وجب ابتكار كل هاته القوى الضرورية وممارستها والاعتناء بها كل واحدة على حدة! غير أنه في عزلتها؟ كان لها مرارا أثرٌ غير الذي لها الآن داخل الفكر العلمي حيث تتحدد وتنظم بشكل متبادل: - لقد فعلت باعتبارها سماً، مثلاً الدافع الارتياحي، الدافع

(*) إتصالية.

النافي، الدافع المتوقع، الدافع الصنافي [و] الدافع الهدام. لقد كان لزاما التضحية بمئات الرجال قبل أن تشرع هاته الدوافع في فهم تعايشها وتشعر بكونها توابع سلطة منظمة في فؤاد نفس الفرد! وأنه لايزال هناك فرق كبير قبل أن تلحق القوى الفنية والحكمة المعيارية للحياة بدورهما بالفكر العلمي، ويتكوّن نظام عضويّ سام سيظهر العالم بالنسبة إليه والطبيب والفنان والمشرّع مثلما نعرفهم اليوم رثاءً حقيرة!.

114 ضخامة العنصر الأخلاقي

إننا نؤسس الصورة التي نراها لأول مرة مباشرة بمساعدة كل تجاربنا القديمة، كل مرة حسب درجة نزاهتنا وإنصافنا. حتى في مجال الإدراك الحسي لا توجد تجارب أخرى معيشة غير التجارب الأخلاقية.

115 الاخطاء الأربعة

لقد رُبّي الإنسان بأخطائه : فهو لم ير نفسه أولاً إلا ناقصاً؛ ثانياً، ادّعى ميزات وهمية؛ ثالثاً، أحس أنه يشغل في تراتبية الحيوانات مرتبة خاطئة بين الحيوان والطبيعة؛ رابعاً، لقد ابتكر باستمرار سلام جديدة للقيم، اعتبرها لبعض الوقت، أزلية ومطلقة، بحيث أن الدافع الانساني كذا والحالة الانسانية كذا، كانا يجدان نفسيهما بالتناوب في المرتبة الأولى، معظّمين بهذا التقدير. لو غضضنا الطرف عن أثر هاته الأخطاء الأربعة سنكون قد غضضنا النظر عن مفاهيم الانسانية، عن الاحساس الانساني وعن «الكرامة الانسانية».

116 الغريزة القطيعية

أينما توجد الأخلاق يوجد تثمين وتراتبية الاندفاعات والأعمال الإنسانية. مثل هذا التثمين وهاته التراتبية يعبران دائماً عن حاجيات جماعة، [عن حاجيات] جمهور قطيعي : فما يعود عليه بالنفع بالدرجة الأولى - كما الذي بالدرجة الثانية أو الثالثة - يشكل أيضاً المعيار الأسمى لقيمة كل الأفراد. بالأخلاق يجد الفرد نفسه مستدرجاً ليكون تابع القطيع وإلى عدم ادعاء أية قيمة إلا باعتباره تابعاً. بما أن شروط بقاء طائفة كانت شديدة الاختلاف عن شروط بقاء طائفة أخرى، فقد وجدت أخلاق شديدة الاختلاف؛ وإذا ما تأملنا إعادة الصهر الجوهرية التي ستصدر عن الشرائع القطيعية وعن الطوائف، عن الدول وعن المجتمعات، فإننا سنستطيع أن نتنبأ

بمجيء أخلاق شديدة الاختلاف . فالأخلاقية ليست سوى الغريزة القطيعية الفردية .

117 تبكيت الضمير القطيعي

إبان عهود الانسانية الغابرة والطويلة كان هناك نوع من تبكيت الضمير غير الذي هو في الحاضر . فالناس لا يشعرون بالمسؤولية اليوم إلا عما يريدون وعما يفعلون ، ويحملون في ذاتهم موضوع أنفثهم : كل مشرعينا ينطلقون من هذا الاحساس باللذة والرضى الذي يلمسه الفرد في ذاته كما لو كان هذا منبع القانون منذ الأزل . ولكن خلال أطول مدة من تاريخ الإنسانية لم يكن هناك أبشع من إحساس الفرد بكونه معزولا . فأن تكون وحيدا ، أن تكون لك طريقتك الخاصة في الإحساس ، ألا تطيع ولا تسود ، أن تشكل فردا ، - هذا الذي لم يكن في الماضي لذة ، بل عقوبة ؛ لقد كان محكوما على الناس «بالفرد» . فحرية التفكير كانت تُعتبر الشقاء ذاته . وبينما نحس نحن بالقانون والاندماج كإكراه وحرمان ، كان الناس يحسون بالأنانية كمسألة مضيئة ، كضيق حقيقي . أن تكون ذاتك ، أن تقيّم ذاتك تبعا لوزنك ومقاييسك الخاصة - هو دائما . كان في الماضي منافيا للذوق . لربما اعتبر الميل لهذا الإتجاه جنونا : لأن مجرد أن تكون وحيدا كان يستتبع كل المصائب ، كل المخاوف . فيما مضى كان الإحساس بالخطأ جارا الـ «قدريّة» القريب ؛ فكلمنا تصرف الناس بحرية أقل ، كلما تجلّت الغريزة القطيعية ، لا المنحى الشخصي ، في الفعل ، كلما حسب الناس أنهم أخلاقيون . فكل ما يلحق الضرر بالقطيع ، سواء شاء الفرد أم أبى ، كان يسبب تبكيت الضمير ليس فقط للفرد ذاته - لكن لجاره ، بل للقطيع كله ! - وهذا ما غيّرنا فيه حكمنا أكثر .

118 إرعاء

هل هناك من فضيلة في أن تتغير خلية تبعا لتغيرات خلية أقوى؟ إنها لا تستطيع فعل غير ذلك . وهل هناك خُبث في أن تتمثل القويّة الضعيفة؟ هي أيضا لا تستطيع فعل غير ذلك . إنه شيء ضروري بالنسبة لها ، لأنها تطمح إلى تعويض وافر وتريد أن تتجدد . وبناء عليه يسعنا أن نميز في الإرعاء بين : الدافع إلى التمثيل والدافع إلى الخضوع ، (إلى أن يُتمَثَّل) ، بحسبها يحس فيه الأقوى أو الأضعف من الإرعاء . إن اللذة والاشتواء تختلطان لدى الأقوى الذي يريد أن يحوّل شيئا إلى تابعه الخاص : وتختلط لدى الأضعف ، الذي يرغب في أن يصير تابعا ، لذة وإرادة أن

يكون مشتتهى . - الشفقة عند رؤية الأضعف هي ، أساسيا ، أول إحساس يحس بلذة من الدافع التمثيلي . يجب أن لانسى أن مفهومي «ضعيف» و «قوي» نسبيا كلاهما .

119 لاغينية

ألاحظ لدى كثير من الأشخاص فائضا من القوة ومن اللذة ينزع بهم ليصيروا تابعين : لهم فطنة ثاقبة لكل المواضع التي يمكن أن يكونوا فيها هم أنفسهم تابعين ، فيسارعون إلى شغلها . في هذا الصنف نجد النساء اللائي يتحولن إلى تابع للرجل الذي لم يتطور لديه هذا التابع إلا قليلا ؛ على هذا النحو يصرن إما بورصة هذا الرجل ، إما سياسته وإما اجتماعيته . مثل هاته الكائنات تحافظ على نفسها بالاندماج في جسد غريب : وإذا لم تفلح في ذلك ، تغتاض ، تغضب وتأكل بعضها .

120 صحة الروح

لكي تكون وُصْفَةُ الإيثار الخاصة بعلم المداواة الأخلاقي «الفضيلة صحة الروح» (والتي وقّعها Ariston de Chios) عملية ، كان يجب أن تُعدّل على الأقل لتصير بهذا المعنى : «فضيلتك هي صحة روحك» . لأنه لا توجد صحة بذاتها ، وكل المحاولات لتعريفها قد باءت بالفشل على نحو محزن . وما يهمّ هنا لتحديد الذي يشكل حالة صحية ، حتى بالنسبة لجسلك ، هو هدفك ، أفقك ، هي قواك ، دوافعك ، أخطاؤك ، وخاصة مثل روحك وخيالاتها . هكذا توجد حالات صحة لاحصر لها ؛ وكلما سمحنا للفرد المتفرد ، والذي لاشبيه له ، برفع رأسه ، كلما نسينا معتقد «مساواة الناس» ، وكلما وجب على أطبائنا أن يستغنوا عن مفهوم صحة عادية ، وفي نفس الوقت عن مفهوم حمية عادية ، وعن السير العادي للمرض . إذ ذاك سيكون الأوان قد حان للتفكير في صحة الروح وفي مرضها ولمقارنة الفضيلة الخاصة بكل واحد مع صحته الخاصة . وفي نهاية المطاف سيبقى السؤال الكبير لمعرفة هل سنستطيع التخلص من المرض إطلاقا ، حتى من أجل تطور فضيلتنا ، ولا سيما معرفة إن لم يكن تعطينا للمعرفة ولمعرفة ذاتنا بحاجة إلى الروح المريضة كما إلى الروح السليمة : باختصار ، [معرفة] إن لم تكن الإرادة الفريدة للصحة حكما مسبقا أبدا ، [إن لم تكن] جبنا وربما بقية من بربرية ومن حالة مشتدية من أكثر الحالات دقة .

121 الحياة ليست برهانا

لقد ابْتَنَيْنَا عالما نستطيع أن نحيا فيه — بافتراض أجساد، خطوط، مساحات، أسباب ونتائج، [بافتراض] الحركة والسكون، الشكل والمضمون : فدون مثل أقسام العقيدة هاته لن يطبق اليوم أي واحد أن يحيا! غير أنه لم يُبْرهن عليها حتى من أجل هذا — فالحياة ليست برهانا : إذ أنه ضمن شروط الحياة قد يردُّ الخطأ.

122 الشكوكية الأخلاقية في المسيحية

لقد ساهمت المسيحية أيضا بقسط وافر في التنوير : لقد لقت الشكوكية الأخلاقية، بطريقة نفاذة وفعالة، من فرط الإتهام والإغاضة، ولكن بصبر ودقة لا يعرفان الكلل : لقد دمّرت في كل متفرد اعتقاده في «فضائل» — الخاصة ؛ لقد وارت الى الأبد تلك الوجوه الكبيرة الفاضلة التي كانت تزخر بها العصور القديمة، أولئك الناس الشعبين المشربين بقداستهم، الذين كانوا يسرون بسرعة مصارعي الثيران. ونحن الذين تكوّنا في المدرسة المسيحية للشكوكية، حين نقرأ اليوم الأعمال الأخلاقية للقدماء، مثل أعمال Sénèque و Epictète فإننا لانفتأ نشعر بتعال آني ونُفَعَم بالتفهم وبللمحات سرية ؛ حين نقرأهم نشعر وكأننا نسمع طفلا يتحدث أمام شيخ مسن، أو شابة حسنة متحمسة تتحدث أمام لاروشفوكو : إننا نعرف جيدا ممّ تتكون الفضيلة! غير أننا في نهاية المطاف، قد مارسنا هاته الشكوكية نفسها على كل الحالات والسياقات الدينية مثل الذنب، تبكيت الضمير، المغفرة، التطهير، وتركنا الدودة تنخر بحيث أنه انطلاقا من الآن، عند قراءة أي كتاب مسيحي نشعر بنفس التعالي، بنفس نفوذ البصر الدقيق : — نعرف جيدا كذلك ممّ تتكون الأحاسيس الدينية! وقد آن الأوان لنعرفها ونصفها جيدا، لأن رجال العقيدة القديمة الأتقياء هم أيضا سيتوارون : لنحافظ على الأقل على صورتهم وطرارهم من أجل المعرفة!.

123 المعرفة أكثر من وسيلة

حتى بدون هذا الشغف الجديد — أعني شغف المعرفة — فقد يُدفع بِرُقْيِي العلم قُدُماً : فلقد استطاع حتى الآن أن يتطور وينمو دون هذا الشغف. إن حُسْنَ الظن بالعلم، الرأي المسبق المؤيد الذي يحظى به، والغالب على دولنا الآن (والذي كان غالبا حتى على الكنيسة في السابق) يرتكز في العمق على حقيقة مُؤداها أن هذا الميل

المطلق، والذي لا يقاوم، نادرا ما تَكشَفُ في العلم، وأن العلم لا يتحول على الإطلاق ليكون شغفا، بل حالة، «مزاج شعب». غالبا ما يكفي من المعرفة : الحب - الرغبة (الفضول)، يكفي الحب - الغرور، تكفي ألفة العلم، مع فكرة الأجداد والأمن المادي المبطنة، بل يكفي الكثيرين ألا يفعلوا شيئا بفائض وقت الفراغ غير أن يقرأوا، أن يجمعوا، أن يرتبوا، أن يلاحظوا ويواصلوا السرد : «حماسهم العلمي» هو غمهم . كان البابا ليون العاشر (في le Brefa Béroald) قد أثنى على العلم ؛ إنه يصفه بأجمل زينة، بأكبر مدعاة للفخر في حياتنا، بالعمل النبيل في السراء والضراء ؛ «بدونه، يقول في الأخير، لن يكون لأي مشروع إنساني مُرتكز صلبٌ - بل يبقى هو ذاته محكوما بقدر غامض لا يستقر على حال!» لكن هذا البابا المتشكك بما فيه الكفاية يعرف كيف يخفي طريقته الحقيقية في الحكم على العلم، مثل سائر الكنسيين الآخرين المادحين للعلم . ومع ذلك سنحذر من كلماته أنه يجعل العلم فوق الفن، وهذا شيء شاذ لدى صديق لربّات الشعر مثله : إنها لمجاملة محضة، في نهاية المطاف، إن لم يتكلم إطلاقا عما يضعه عاليا فوق كل علم عن «الحقيقة الموحاة» وعن «خلاص الروح الأبدى» - مقابل هذا ماذا تمثل الزينة، الفخر، اللهو، أمن الحياة، بالنسبة إليه؟ «ما العلم إلا شيء ثانوي، ليس شيئا نهائيا ومطلقا، ليس شيئا يستحق الشغف» - لقد بقي هذا الحكم مكتوما في نفس ليون : ومجمل القول إنه الحكم الذي تقوم عليه المسيحية تجاه العلم! في العصور القديمة كانت تُنتقص كرامتها واعتبارها بقدر ما كان أشد حواريتها حماسا يولون الأفضلية للتسامي نحو الفضيلة، وبقدر ما كان الناس يظنون أنهم يضيفون على المعرفة أسمى المديح بمجرد أن يبجلوها كأحسن وسيلة للفضيلة . والحال أن ماهو جديد في التاريخ هو أن المعرفة تريد أن تكون أكثر من مجرد وسيلة .

124 على أفق المطلق

لقد غادرنا الأرض، أبحرنا! لقد قطعنا كل الجسور - فضلا عن ذلك، لقد تركنا وراءنا الأرض! ومنذ الآن خذ حذرنا أيها المركب الصغير! على جانبيك يمتد المحيط لاريب أنه لا يصخب دائما، وأنه يهدأ أحيانا مثل الحرير والذهب ومثل هاجس الحسن . غير أنه ستأتي ساعات تعرف فيها أنه غير ذي حدود وأنه لا شيء مخيف أكثر من المطلق : أيها الطائر المسكين الذي أحسّ بنفسه طليقا والذي منذ الآن تصطدم بقضبان مثل هذا القفص! ويل لك إن استولى عليك الحنين إلى الوطن كما لو كان هناك فيه حرية أكثر - والحالة أنه لم تعد هناك «أرض!» .

125 الأخرق

أما سمعتم بذلك الرجل الأخرق الذي ، بعد أن أوقد فانوسه في وضوح النهار، صار يجري في ساحة السوق ويصيح دون توقف : «أبحث عن الإله ! إني أبحث عن الإله !» - ولما كان كثير ممن لا يؤمنون بالإله متواجدون هناك بالضبط فقد أثار ضحكا كثيرا . هل فقدناه؟ قال أحدهم . هل شرد مثل طفل؟ قال آخر . أم هل يختفي في مكان ما؟ هل هو خائف منا؟ هل أبحر؟ هل هاجر؟ - هكذا كانوا يصيحون ويضحكون جميعا في ذات الوقت . سارع الأخرق إلى وسطهم واخترقهم بنظراته . «أين الإله؟ صاح فيهم ، أنا سأقوله لكم ! لقد قتلناه - أنتم وأنا ! نحن كلنا هم قتلته ! ولكن كيف فعلنا ذلك؟ كيف استطعنا أن نفرغ البحر من أعطانا الإسفنجة لمحو الأفق كله؟ ماذا فعلنا بإبعادنا هاته الأرض عن شمسها؟ إلى أين تسير الآن؟ إلى أي شيء تقودنا حركتها؟ أبعيدا عن كل الشموس؟ ألم نندفع في منحدر طويل؟ وذلك إلى الخلف ، إلى الجانب ، إلى الأمام ، إلى كل الجوانب؟ أما يزال هناك أعلى وأسفل؟ ألسنانتيه كما لو عبّر عدم مطلق؟ ألا نحس نفس الفراغ؟ اليس الجو أبرد مما كان؟ أليس الوقت ليلا باستمرار ويصير ليلا أكثر فأكثر؟ ألا يجب أن نوقد الفوانيس منذ الصباح؟ ألا نسمع شيئا بعدد من ضوضاء الرماسين الذين دفنوا الإله؟ ألا نشم شيئا أيضا من التدعص الإلهي؟ - فالآلهة أيضا تتدعص ! مات الإله ! [و] يظل الإله ميتا ! ونحن هم الذين قتلناه ! كيف سنعزي أنفسنا نحن أكبر القتلة؟ إن أقدس وأقوى ما ملك العالم إلى الآن قد نزع دمه بطعنات مُدانا - من سيمسح هذا الدم عن أيدينا؟ أي ماء سيظهرنا؟ أية مراسيم تكفيرية ، أية ألعاب مقدسة يجب علينا أن نبتكر؟ وعظم هاته الفعلة ، أليس شيئا يفوق طاقتنا؟ ألا يجب علينا أن نصير نحن أنفسنا آلهة كي نبدا جديرين بهاته الفعلة؟ لم تحدث أبدا فعلة أعظم من هاته - وكل من سيولد بعدنا سيتمي ، بمقتضى هاته الفعلة نفسها ، لتاريخ أسمى مما كان عليه التاريخ حتى الآن !» هنا توقف الرجل الأخرق وتأمل مستمعيه : هم بدورهم ركنوا الى الصمت وصاروا ينظرون إليه دون أن يفهموا . وأخيرا ألقى بفانوسه على الأرض حتى أنه انكسر وانطفأ . «لقد حَلَلْتُ قبل الأوان ، قال إثر ذلك ، لم يحنْ أواني بعد . هذا الحدث الرائع ما يزال يمشي ويسافر - لم يبلغ آذان الناس بعد . يلزم الصاعقة والرعد بعض الوقت ، يلزم ضوء النجوم بعض الوقت ، يلزم الأفعال بعض الوقت ، يلزمها كلها بعض الوقت ، بعد تمامها ، لُتْرى وتُسمع . هاته الفعلة أبعد عنهم من النجوم الأشد بعدا - ومع ذلك فإنهم هم

الذين قاموا بها!» ويحكى أيضا أنّ الرجل الأخرق دخل في نفس اليوم مختلف الكنائس حيث رتل (*) Requiem aeternam Deo ولما طُرِدَ خارجا وأرغم على تبرير سلوكه لم يكف عن تكرار : «ما هي هاته الكنائس إذن إن لم تكن مدافن وقبور الإله؟».

126 التفسير الصوفي

تشتهر التفسيرات الصوفية بكونها عميقة : الحقيقة أنها ليست حتى سطحية .

127 الآثار البعدية لأقدم تدين مفرط

يخيل لكل إنسان نزق أن الإرادة هي الحقيقة الوحيدة الفاعلة : أن الإرادة شيء بسيط ، معطى محض ، لا يستنبط ، ويمكن فهمه في ذاته . إنه مقتنع أنه حين يفعل شيئا ما ، كأن يضرب ضربة مثلا ، يكون هو الذي يضرب ، وأنه يكون قد ضرب لأنه أراد أن يضرب . إنه لا يلاحظ شيئا من الطبيعة الإشكالية للظاهرة ، لكن إحساس الإرادة يكفيه ليس فقط للإقرار بحقيقة العلة والمعلول ، بل أيضا ليعتقد أنه فهم العلاقة بينهما . إنه لا يعلم شيئا عن إوالية الحدث ولا عن العمل الدقيق ذي مئات الفروق الذي يجب أن يُنَجَزَ لكي يفضي إلى الضربة ، كما لا يعلم شيئا عن الإرادة في حد ذاتها عن إنجاز ولو جزء من هذا العمل . الإرادة بالنسبة إليه قوة فاعلة بشكل سحري : الاعتقاد في الإرادة ، كما في علة الآثار هو اعتقاد في قوى فاعلة بشكل سحري . والحالة أن الإنسان كان في البدء يعتقد في وجود إرادة مسببة حيثما شاهد وقوع حادثة ما ، مثلما كان يعتقد في وقوفه شخصيا خلف العمل — لقد كان مفهوم الإوالة غريبا عنه تماما . غير أنه نظرا لكون الإنسان لم يعتقد ، لمدة طويلة جدا ، إلا في وجود الأشخاص (وليس في وجود المواد ، القوى ، الأشياء ، إلخ) ، فقد صار عنده الاعتقاد في حقيقة السبب والنتيجة عقيدة أساسية يطبقها الآن أيضا على أية حادثة ، في كل مكان ، — بشكل غريزي ، بنوع من التأسلية ، ذي مصدر غابر . إن الأطروحات : «لامعلول دون علة» كل معلول علة جديدة» تبدو كتعميمات لأطروحات أكثر محدودية : «حيثما قمنا بالفعل فقد أردنا» ، «لا يمكن إن نمارس الفعل إلا على كائنات مريدة» ، «ليست هناك أبدا معاناة خالصة ودون عاقبة ، ليس هناك فعل دون عاقبة ، كل معاناة هي انفعال مصدره الإرادة» (إرادة الفعل أو

(*) ترانيم صلاة الله الأبدية .

الانتقام أو الدفاع عن النفس أو الافتراء) - لكن في العصور البدائية للإنسانية كان نوعا الأطروحات متشابهين، لم تكن الأولى تعميمات للشانية، لكن هاته كانت تبيننا لتلك. - إن شوبنهاور، بإقراره بأن كل ما هو موجود إن هو إلا من خلقٍ مُريد، قد أقر واحدة من أقدم الميثولوجيات: يبدو أنه لم يحاول أبدا تحليل الإرادة، لأنه، مثل أي إنسان، كان يعتقد في بساطة ومباشرة كل إرادة: - بينها الإرادة ليست سوى إوالية متقنة التدبير لدرجة تكاد معها تخفى عن نظر الملاحظ. أعارض شوبنهاور بالأطروحات التالية: أولا: لكي تولد الإرادة لا مندوحة من تمثيل اللذة والاشمئزاز. ثانيا: لكي يتم الإحساس بإثارة عنيفة كلذة أو اشمئزاز فإن ذلك يتوقف على تفسير الفكر الذي، في أغلب الأحيان ولا شك، يراودنا في ذلك بطريقة لاشعورية؛ فنفس الإثارة يمكن أن تفسر بكونها لذة أو اشمئزازا. ثالثا: إن اللذة والاشمئزاز والإرادة لا تنتج الا لدى الكائنات الذكية، أما الأغلبية الساحقة من الكائنات فلاحظ لها في ذلك.

128 قيمة الصلاة(*)

لقد وضعت الصلاة لهذا الصنف من الأشخاص غير القادرين إطلاقا على التفكير بأنفسهم، الذين لا يعرفون للروح تساميا، أولا يشعرون بتطوره؛ تُرى ماذا سيفعل مثل هؤلاء الناس في أماكن مقدسة وفي كل حالات الحياة الجسيمة التي تتطلب شيئا من الهدوء ونوعا من الكرامة؟ وحتى لا يزعجوا على أي حال فإن حكمة كل واضعي الديانات، للصغار كما للكبار، قد وصفت لهم صورة الصلاة كعمل طويل وآلي تمارسه الشفاه، موصولا بجهد الذاكرة، مع وصف وضع الأيدي والأرجل والعيون أيضا! ولايم أن يجتروا منذ ذلك الحين، مثل التبتيين، مرات لاحصرها، قولهم "Om mane padme Rum"، أو كما في Bénarès، أن يعدوا على أصابعهم اسم الإله رام - رام - رام (وهلم جرا إن بسحنة أنيقة أو لا)، أو ليعظموا Vichnou أو الإله، متضرعين إلى الواحد بآلاف أسمائه، وإلى الآخر بأسمائه التسعة

(*) لا بد من الإشارة إلى أن نيتشه لا يعني في هذا السياق أو غيره الثقافة العربية الإسلامية، بل ثقافة العقائد الأخرى وقد لحقتها تحريفات وتشويهات، والديانات الأرضية؛ يقول في «المسيح الدجال»: «لقد حرمتنا المسيحية من جنبي ما أثمرته الثقافة القديمة؛ وفيما بعد حرمتنا كذلك من جنبي ما تمخضت عنه الثقافة الإسلامية (...). - إنها حاربت ثقافة ينبغي على قرننا التاسع عشر ذاته أن يشعر أمامها بالضعف و «التأخر»؛ والأمر بين واضح، أنهم كانوا يجرون وراء الغنائم: فالشرق كان غنيا ثريا... لقد كانت الغزوات قرصنة متقدمة ولا شيء غير ذلك... ويمكن الرجوع كذلك إلى فصل «بين غادتين في الصحراء» من كتابه: «هكذا تكلم زرادشت»، أو الترجمة العربية لنفس الكتاب لفليكس فارس، دار القلم - بيروت.

والتسعين ؛ أو أن يستعملوا ذاكرتهم الحافظة للصلوات أو السبحات ؛ - المطلوب هو أن يشغلهم هذا النوع من العمل لمدة ما ويمنحهم مظهرًا مُطابقًا ؛ لقد وُضعت صلاتهم لصالح الناس الورعين الذين لهم تجربة حميمة في الأفكار والسمو. وحتى هؤلاء يعرفون لحظات من التعب يشعرون فيها ، رغم كل شيء ، بالعملية الناجعة لإوالية ورعية مكونة من سلسلة من الكلمات والأصوات الجلييلة . غير أنه إن عرف هؤلاء الرجال النادرون ، - في كل دين يكون الرجل المتدين استثناء - كيف يكتفون ذاتيا : فإنه يبقى أن الفقراء روحيا لن يعرفوا ذلك ، وأن حرمانهم من تنمة صلواتهم يعني حرمانهم من دينهم : هذا ما تبرهن عليه البروتستانتية أكثر فأكثر. أي أن الدين لا يتطلب من هؤلاء شيئا غير أن يهدأوا بأعينهم ، بأيديهم ، بسيقانهم وبمختلف الأعضاء : بهذا يكون لهم شيء من الحظ في أن يظهروا جميلين مؤقتا و - أكثر شبها بالإنسان !

129 شروط الإله

«إن الإله ذاته لن يستطيع البقاء بدون الناس العقلاء» - قال لوثر، وبحق ، غير أن «قدرة الإله على البقاء ستكون أقل بدون الخرق» - هذا ما لم يقله لوثر الشجاع ! .

130 حلّ خطير

إن الحلّ المسيحي القاضي باعتبار العالم ذميا وقبيحا قد صيّر العالم ذميا وقبيحا .

131 المسيحية والانتحار

لقد جعلت المسيحية من الرغبة الكبيرة في الانتحار التي كانت سائدة وقت ظهورها عماد قوّتها : فبينما كانت تحرم بشكل صارم كل أشكال الانتحار الأخرى لم تترك سوى شكلين ألبستها أسمى كرامة وغلفتها بأغلى الآمال : الاستشهاد ، وقتل الزاهد لنفسه ببطء .

132 ضد المسيحية

منذ الآن لن تكون حججنا هي التي تقرر ضدّ المسيحية ، بل ذوقنا .

133 مبدأ

إن الفرضية الحتمية التي يجب أن ترجع إليها الإنسانية باستمرار تبدو على مر الأيام أقوى من العقيدة الأكثر تشبهاً بشيء غير حقيقي (مثل العقيدة المسيحية). على مر الأيام : أي في هذه الحالة ، بعد مائة ألف سنة .

134 المتشائمون باعتبارهم ضحايا

حيثما يشرع اشمئزاز عميق من الوجود في الاتضاح تبدو للعيان الآثار البعدية للخطأ الجسيم في التغذية الذي جعل شعباً عظيم من نفسه مرتكبه . هكذا فإن انتشار الوباء (و ليس ظهورها) يُعزى بقدر كبير إلى إفراط الهندوس في استهلاك الأرز و الاقتصار عليه تقريباً ، وإلى الخمول التام الذي ينتج عنه . لربما كان من الملائم تفحص عدم الرضى الأوربي في العصور الحديثة من جهة المشروب الذي كان يتعاطاه أسلافنا ، خاصة من عاش منهم في القرون الوسطى ، تحت تأثير الميولات الجرمانية : القرون الوسطى ، هذا يعني تسمم أوروبا بالكحول . - إن الإشمئزاز الألماني من الحياة ذبول شتوي محض ، دون نسيان آثار جو القبو وفوحان المقلاة الخاصين بالمساكن الألمانية .

135 أصل الإثم

الاثم ، كما هو محسوس به الآن أينما تسود المسيحية أو أينما سادت زمنا ما ، الـ «إثم» إحساس يهودي ، إبتكار يهودي ، وقد كانت المسيحية ترمي في الواقع ، من خلال خلفية كل الأخلاقية المسيحية هاته ، إلى «تهويد» العالم . إلى أي مدى نجحت في ذلك بأوروبا ، هذا ما نشعر به بدقة أكثر في مدى إحساسنا بالغربة تجاه العصر اليوناني القديم - العالم الخالي من الإحساس بالاثم - ، رغم كل النيات الحسنة في المقاربة والتمثل التي ما فتئت تبديها أجيال بكاملها وكذلك كثير من الشخصيات الممتازة ، «إن الإله لا يغفر لك إلا إذا بُتت» - هذا موضوع استهزاء وفضيحة بالنسبة لليوناني ؛ لقد كان يجب : «أنه هكذا كان عبيدٌ يتخيّلونه» . إننا في الواقع ، نفترض هنا كائناً قوياً ، قديراً ، ومع ذلك ناقماً : إن قوته من العظمة بمكان حيث لن يلحقه أي ضرر إن لم يكن في شرفه . كل إثم إساءة للإجلال ، crimen laesae majetatis divinae* - لاغير! التوبة ، الإذلال ، الإحتقار ، - هذا هو الشرط الأول والأخير الذي

(*) جريمة في حق الجلالة الإلهية .

يربط به غفرانه : إنه ترضية لشرفه الإلهي إذن ! بينما معرفة إن كان الإثم يسبب أضرارا أخرى ، إن كان يزرع شرا عميقا ومتناميا ينتشر بين الناس ، مثل مرض ما ، يستولي عليهم ويقتلهم واحدا تلو الآخر ، - هذا ما لا يبالي به هذا الإله الشرقي الذي يغار على شرفه : الإثم جريمة في حقه ، ليس في حق الإنسانية ! إن أسبغ مغفرته على أي كان فإنه يهبه أيضا لا مبالاته الخاصة تجاه العواقب الطبيعية للإثم . الإله والإنسانية هنا شديدا التباعد ، شديدا التعارض بحيث أنه في العمق لا يستطيع أن يعرض نفسه لشبهة ارتكاب إثم في حق الناس - يجب أن لا يُحكم على أي فعل إلا من خلال عواقبه الفوطبيعية ، وليس الطبيعية : هكذا يريد الإحساس اليهودي الذي يشكل كل شيء طبيعي لديه الشائن ذاته ، مقابل ذلك كان الإضرىق أقرب إلى التفكير في أن انتهاك المقدسات قد يكون أمرا نبيلًا أيضا - حتى السرقة ، كما في حالة برومثيروس ، حتى ذبح المواشي كتعبير عن غيرة جنونية ، كما في حالة أجاكس : ولحاجتهم إلى إضفاء النبل على انتهاك المقدسات وإدماجه فيه فقد ابتكروا التراجيديا - وهي فن وذوق بقيا غريبين عن اليهودي في عمق طبيعته ، رغم كل مواهبه الشعرية ، وكل نزوعه نحو ما هو سام .

136 الشعب المختار

إن اليهود الذين يشعرون أنهم الشعب المختار من بين الشعوب ، خاصة لأنهم يمثلون العبقريّة الأخلاقية بين الشعوب (بفضل القدرة التي كانت لهم على احتقار الإنسان بشكل أشد مما لم يفعله أي شعب قط) - يشعرون ، حين اتصالهم بمملكتهم الرباني والمقدس ، بغبطة مماثلة لغبطة الأرستقراطية الفرنسية حين تتصل بلويس الرابع عشر . لقد صارت هاته الأرستقراطية مُهملة لتركها نفسها تجرّد من قوتها وسيادتها ، وحتى لا تشعر بذلك ، لكي تنساه ، كان لابد لها من مجد ، من سلطة ، من كمال قوة لامثيل له لا تبلغه إلا الأرستقراطية . فبقدر ما ترفع ، بموجب هذا الامتياز ، إلى المقام العالي للبلاط ، من حيث تنظر إلى كل من دونها بازدراء ، بقدر ما تغلب على كل نزق في شعورها الخاص وبهذا الشكل كانت ، عن قصد ، تدرج برج القوة الملكية أعلى فأعلى ، إلى أن يلامس السحاب وتضيف إليه آخر احجار قوتها الخاصة .

137 على سبيل المثل

لم يكن المسيح متصوِّراً إلا ضمن أحد مشاهد يهوذا - أعني داخل مشهد كانت تخيم عليه باستمرار عرّاصة عاصفة يهوه القائمة والمهيبة . هنا فقط كانت البارقة النادرة والفجائية لشعاع الشمس عبر عتمة الليل النهاري الفظيعة والدائمة مُحسُّ كمعجزة الـ «حب» ، كشعاع الـ «نعمة» اللامستَحَقَّة . هنا فقط كان المسيح يستطيع أن يحلم بقوس قزحه وبسَلَمه السماوي الذي يهبط عبره الإله الى الناس ، بينما في كل الأماكن الأخرى لم يكن الجو الصحو والشمس يشكلان سوى القاعدة والتفاهة اليومية .

138 خطأ المسيح

لقد كان منشيء المسيحية يخال أنه لم يكن هناك شيء يجعل الناس يعانون غير ذنوبهم : - لقد كان هذا خطأه ، خطأ من يشعر أنه غير مذنب ومن تنقصه التجربة في هذا المجال ! هكذا كانت روحه تنسم هاته الرحمة العجيبة الغريبة بالنسبة لضيق كان حتى شعبه ، وهو مبتكر الذنب ، نادرا ما يعاني منه كما يعاني من ضيق شديد ! لكن المسيحيين عرفوا لاحقا كيف يُنصفون معلمهم ويكرسون خطأه على اعتبار أنه « حقيقة » .

139 صبغة الشهوات

إن طباعا مثل طبع الحوارى بولس لا تملك إلا عينا لامة تجاه الشهوات : فهي لاتسعى لأن تعرف منها إلا ما يوسخ ، ما يشوه ، ما يقطع القلب ، - فأمنيتها المثلى بالتالي هي تحطيم الشهوات : إنها لاتشعر بنفسها مطهرة تماما إلا فيما هو إلهي . وعلى عكس بولس واليهود تماما فإن الإغريق قد خصصوا أمنيته المثلى للشهوات بالضبط وأحبوها ، مجدوها ، زخرفوها ، وألهموها . لم يكونوا ، بكل بداهة ، يشعرون فقط بسعادة أكثر في الشهوة ، بل أيضا بطهارة وبربانية أكثر من المعتاد . - والمسيحيون ؟ هل كانوا يريدون أن يصيروا يهودا بهذا ؟ ترى هل كانوا سيصبحون كذلك ؟ .

140 يهودي مفرط في يهوديته

لوشاء الإله أن يصير موضعا للحب لكان عليه أولاً أن يترك دور القاضي والقضاء : - فالقاضي ليس موضعا للحب ، حتى وإن كان عادلا . إن منشيء المسيحية لم يكن له فهم دقيق لمثل هذا ، - باعتباره يهوديا .

141 شرقي مفرط في شرقيته

ماذا؟ إله لا يحب الناس إلا إذا آمنوا به، ويلقي نظرات وتهديدات مرعبة ضد ذلك الذي لا يؤمن بهذا الحب! ماذا؟ أكون حباً مشروطاً شعوراً إله على كل شيء قديراً! حب لم يعرف حتى كيف يتغلب على إحساس الشرف وعلى روح الانتقام النزقة؟ كم هو شرقي كل هذا! «إن كنت أحبك، فهل يعينك هذا؟» هذا ما قد يكون نقداً كافياً للمسيحية كلها.

142 تقرير

كان بوذا يقول: «لا تتملق ولي نعمتك» لردد هاته الحكمة داخل كنيسة مسيحية: - في الحين سيظهر الهواء من كل ما هو مسيحي فيه.

143 عن أكبر فائدة لتعدد الآلهة

أن يستطيع الفرد وضع مثله الأعلى الخاص، أن يجعل قوانينه، أفراحه وحقوقه تنتج عنه، - هذا ما كان يعتبر حتى ذلك الحين أفضع الضلالات الإنسانية دون شك، كان يعتبر الوثنية ذاتها: في الواقع، إن بعض الرجال النادرين الذين كانوا يجرؤون على التصرف هكذا كانوا دائماً في حاجة، في نظرهم، إلى اعتذار كان معناه عادة: «لا لست أنا! لا لست أنا! لكن إلهاً من ورائي!» لقد كان لهذا الدافع الذي لا يقاوم متسع من الوقت ليصرف نفسه في فن وقوة خلق الآلهة الرائعين، - في تعدد الآلهة -، حيث يتطهر، يكتمل، يتنبأ: لأن الأمر يتعلق في الأصل بدافع مبتذل ومستتر، مُزج بالأنانية، بالعصيان وبالحسد. لقد كان قانون كل أخلاقية في الماضي: أن تكون معادياً لدافع المثل الأعلى الخاص هذا. لم يكن هناك إذاك سوى نموذج واحد: «الإنسان» - وكان كل شعب يعتقد أنه يمتلك منه الشكل الوحيد والأخير. لكنه كان مسموحاً، فوق الذات، في الخارج، في ما وراء بعيد، بتخيل تعدد النماذج: الإله كذا لم يكن يُنكر ولم يكن يسب الإله كذا! هنا كان الناس لأول مرة يجرؤون على تخيل كائنات فردية، كانوا يوقرون حق الأفراد. لقد كان اختلاق الآلهة والأبطال وكل أشكال الكائنات الفوق بشرية، على هامش الكائن الإنساني أو دونه، كان اختلاق الأقزام، الجنيات، كائنات السنتور، كائنات الستير، العفاريت والشياطين، كان يشكل المقدمة النفيسة لتبرير طموحات الأنا وسيادة الفرد: فالحرية التي كان يعترف بها لإله ما ضد آلهة أخرى ينتهي الفرد بإعطائها لنفسه

ضد القوانين، ضد التقاليد وضد الجيران. مقابل ذلك، ربما كان التوحيد، هذه النتيجة الصارمة لعقيدة الرجل الفريد السوي - وبالتالي الإيمان بإله سوي لا توجد عُداه سوى معبودات خداعة وكاذبة - ربما كان يشكل أكبر خطر على الإنسانية إلى ذلك الحين : إذ كانت مهددة بسبب ذلك بهذا التعلق البكّير الذي وصلت إليه، على قدر ما نستطيع أن نتصوّر، أغلبية الأصناف الحيوانية الأخرى منذ وقت طويل؛ وهي كلها، بما هي حيوانات، تؤمن فعلا بحيوان فريد سوي وبمثل أعلى من صنفها، وقد تمثلت أخلاقية التقاليد بشكل نهائي في لحمها ودمها. إن تعدد الآلهة قد جسّد مقدّما زندقة وتعددية فكر الإنسان : [أي] قوة إيجاد عيون جديدة وشخصية، جديدة وشخصية أكثر فأكثر، بحيث أنه، من بين كل الحيوانات، يفلت الإنسان وحده من ثبات المنظورات والآفاق الأبدية.

144 حروب الدين

لقد شكلت حروب الدين حتى الآن أكبر تقدم للجماهير : لأنها تبرهن على أن الجمهور قد شرع في تأمل المفاهيم باحترام. إن حروب الدين لا تبرز للوجود إلا ابتداء من الوقت الذي يكون فيه هدف المشادة الحادة بين الطوائف هو تهذيب الحس الجماعي : بحيث أنه حتى الدهماء تتشدد وتستعظم بعض الجزئيات لدرجة احتمال أن يتوقف «خلاص الروح الأبدى» على أدنى الاختلافات في المفاهيم.

145 خطر النباتيين

إن الاستهلاك المفرط للأرز يدفع إلى تعاطي الأفيون والمخدرات مثلما يدفع الاستهلاك المفرط للبطاطس إلى تعاطي خمرة السنباس ؛ - لكن أثره البعدي الدقيق جدا هو أن يخضع [الإنسان] لأشكال من التفكير والإحساس تفعل فعل المخدرات. والحالة أن متعهدي أشكال التفكير والإحساس هاته، كالأطباء الهندوس مثلا، يشيدون بالضبط بتغذية نباتية خالصة يريدون أن يجعلوا منها قانونا للجمهور : إنهم بهذا يريدون أن يثيروا الحاجة التي يقدرّون هم أنفسهم على تلبيتها وأن يزيّدوا منها.

146 آمال ألمانية

يجب أن لا ننسى أن أسماء الشعوب عادة ماتكون كُنًى جارحة. فالتتار، مثلا، هم الـ «كلاب» حسب اسمهم : هكذا عمّدهم الصينيون. أما اسم الألمان "die

"Deutschen" فيعني في الأصل الـ «وثنيين» : هكذا سمي القوط المهتدون الأغلبية الكبيرة من إخوانهم في العرق غير المعمدين ، راجعين إلى تفسيرهم الخاص للرواية الإغريقية عن السبعين حيث يشار إلى الوثنيين بالمصطلح الذي يعني : «الشعوب» في اليونانية ، لنراجع Ulfilas . - وقد يكون معقولا أن يجعل الألمان لاحقا من اسمهم الإفتراضي اسم شرف ، وذلك بتحويلهم إلى أول شعب غير مسيحي في أوروبا : لقد كان شوبنهاور مفخرة لهم باستعداده لذلك بدرجة كبيرة . هكذا يكون قد اكتمل عمل لوثر الذي علمهم ألا يكونوا رومانين وأن يقولوا : «هأنذا! ما استطعتُ غير هذا!» .

147 سؤال وجواب

ماذا تقتبس العشائر المتخلفة من أوروبا قبل كل شيء؟ الكحول والمسيحية ، المخدرات الأوربية . - وبم تهلك بأسرع ما يمكن؟ - بالمخدرات الأوربية .

148 عن أصل الإصلاح

إبان فسادها الكبير، كانت الكنيسة في ألمانيا أقل فسادا : لهذا كان بدء ظهور الإصلاح هناك دليلا على عدم تحمل مجرد بدايات الفساد . في الواقع ، لم يكن هناك شعب أكثر مسيحية ، نسبيا ، من الشعب الألماني زمن لوثر : لقد كانت ثقافتهم المسيحية على وشك ازدهار رائع ومتنوع - كان يجب انتظار ليلة أخرى : كانت ليلة العاصفة التي ستدمر كل شيء .

149 فشل الإصلاحات

إن فشل المحاولات المتكررة لإنشاء ديانات هلينية جديدة يعود إلى مجد حضارة الإغريق الراقية ، حتى إبان عهد بدائي نسبيا : ويعود لمجدها الحضارة أن وجدت في اليونان ، في وقت مبكر جدا ، جماعة من الأفراد من طراز متنوع ، لم يكن ممكنا علاج مختلف أشكال ضيقهم بوصفة فريدة من الإيمان والأمل . لقد كان فيتا غورس وأفلاطون ، ربما أومبيد وكل أيضا ، وقبلهم بزمان طويل المتحمسون الأورفيوسيون ، كانوا يرومون إنشاء ديانات جديدة ؛ وقد كان للأوليان منهم أرواح ومواهب مُنشئي الدين ، وكانت جد أصيلة بحيث أننا لانملك إلا أن نندهش أمام فشلها : فهما لم يتجاوزا إنشاء الطوائف . في كل المرات التي تفشل فيها إصلاحات شعب بأكمله ، وتتوصل الطوائف وحدها إلى إثبات ذاتها ، يمكن أن نستنتج أن الشعب يوجد منذ

الآن في حالة تخلق متعدد ويبدأ في التخلص من عرائز قطيعية فظة ، ومن أخلاقية التقاليد : إنها حالة القلب ، البالغة الدلالة ، التي اعتدنا نعتها افتراءً بانحطاط التقاليد وفسادها ، بينما هي تعلن عن نضج البيضة وقرب انكسار قشرتها . إن نجاح الإصلاح اللوثيري في البلدان الشمالية هو دليل على تخلفها عن البلدان الجنوبية ، وعلى ما كان الشمال يعرفه أيضا من الحاجيات الكثيرة التماثل والقليلة التنوع : فلو أن الحضارة الجنوبية القديمة لم تتبرّبر تدريجيا بتمثل مفرط للدم الجرمانى الهمجي ، ولو أنها لم تفقد بهذا الشكل تفوقها الثقافي ، لما تم تمسيح أوروبا إطلاقا . كلما كان في مقدور فرد أو فكرة فردية أن يتصرفا بشكل عام ومطلق ، كلما وجب أن يكون الجمهور الذي سيمارس عليه هذا التصرف متجانسا ومتساويا ؛ بينما تكشف طموحات متعارضة عن حاجيات متعارضة تبحث هي كذلك عن أن تشبع ذاتها وتثبتها . بالمقابل ، يمكن دائما أن نحكم بتفوق حقيقي للثقافة بمجرد أن تفضي طباع قوية ومبتلهفة إلى السيطرة إلى ممارسة فعل طائفي ومحدود فقط : ويصح هذا أيضا في مختلف ميادين الفن والمعرفة . حيثما يسيطر أحد ما فلا يوجد غير الجماهير : وحيثما توجد الجماهير تسود حاجة إلى الاستسلام للعبودية . حيثما توجد العبودية لا يوجد إلا عدد ضئيل من الفرديات التي تواجهها الغرائز القطيعية والشعور.

150 من أجل نقد القديسين

هل يجب إذن ، لكي نتوفر على فضيلة ، أن نريد امتلاكها في شكلها الأكثر فظاظا - مثلما كان يريدونها ويحتاج إلى امتلاكها قديسو المسيحية؟ إنهم ، بهامهم كذلك ، لم يكونوا يطبقون الحياة دون فكرة أن مظهر فضيلتهم وحده سيجعل كل واحد يفنى . إنني ، والحالة هذه ، أعتبر الفضيلة التي تعمل بهذا الشكل فظة .

151 عن أصل الدين

ليست الحاجة الميتافيزيقية ، كما يريد ذلك شوبنهاور ، هي أصل الديانات ، بل إنها هي الإبن المتأخر لهاته الأخيرة . لقد تعودنا ، تحت سيطرة الأفكار الدينية ، على تمثيل «عالم آخر» (عالم خلفي ، سفلي ، علوي) بحيث أن غياب الهذيان الديني يخلق إحساسا بالحرمان وفراغا مزعجين - ومن ثمة يولد هذا الإحساس بالقلق «عالمًا آخر» ميتافيزيقيا وليس دينيا . فالذي كان يدعو إلى قبول حقيقة «عالم آخر» بشكل مطلق في العصور البدائية ، والحالة هذه ، لم يكن لارغبة ولا حاجة ، بل كان خطأ في تفسير بعض الظواهر الطبيعية ، كان إذن حيرة الفكر.

152 التغير الأكبر

ياله من تغير في إضاءة وألوان كل الأشياء! إننا لم نعد قادرين على الإلمام بالكيفية التي كان يشعر بها القدماء بالحقائق الأشد مباشرة، التي تتكرر كثيرا—مثل النهار وحالة اليقظة: وبما أنهم كانوا يؤمنون بالرؤى فإن الحياة اليقظة كانت تُسلط عليها أضواء أخرى. وكذلك الحياة كلها، مع انكسار الموت ومع دلالة «ف» «موت» نا نحن موت آخر تماما. كانت كل تجربة تنشر نورا آخر لأن إلها كان يسطع فيها: كذلك كل قرار، كل منظور المستقبل البعيد: لأن الناس كانوا يكتفون بوسطاء الوحي وبإنذارات سرية، وكانوا يؤمنون بالتكهنات. كان الإحساس بالـ «حقيقة» مختلفا، لأنه كان بإمكان المعتوه فيما مضى أن يعتبر وسيلتها—الشيء الذي يثير قشعريرتنا نحن أو يضحكننا. لقد كان لكل جور تأثير مخالف على الروح: لأن الناس كانوا يخافون الانتقام الإلهي لا العقوبات والفضيحة المدنية فقط. فمن أي طبيعة كانت الفرحة زمن الإيمان بالعفريت والمغوي! من أي طبيعة كان الهوى حين كان الأبالسة يراقبونك في الظل! من أي طبيعة كانت الفلسفة حين كان يُنظر إلى الشك كجرم جدّ مريع، وذلك باعتباره انتهاكا للمقدسات بالنظر إلى الحب الأبدي، باعتباره حذرا بالنظر إلى ما كان جيدا، ساميا، طاهرا ويستحق الرحمة!—إننا قد أضفينا صبغة جديدة على الحقائق، ولانفتأ نصبغها—لكن ماذا كانت إلى الآن مهارتنا إزاء بهاء لون هذا المعلم القديم! أعني الإنسانية القديمة.

153 Homo poeta (*)

«أنا الذي نظمت مأساة المآسي هاته بنفسى وبطريقة شخصية جدا، وها هي ذي بذلك تامة؛ أنا الذي عقدت، في قلب الوجود فقط، عقدة الأخلاق وأحكمت عقدها لدرجة لا يستطيع أحد غير الإله حلها—هكذا أراد هوراس!—وهأنذا قد ذبحت كل الآلهة في الفصل الرابع—بالأخلاقية! فممّ سيكون الفصل الخامس إذن؟ من أين آتي يحل مأساوي للعقدة!—هل سيكون عليّ أن أفكر في حلّ ملهاتي لها؟».

154 عن الحياة المتنوعة الخطورة

إنكم لاتعرفون إطلاقا ما يتفق لكم أن تعيشوه، تهولون كما لو أن الوجود أسكركم، وإن سقطتم أسفل السلم من حين لآخر. لكن أعضاءكم تبقى سالمة بفضل سُكركم؛ جدّ واهنة هي عضلاتكم وجدّ معتمة هي رأسكم لكي تحسوا مثلنا بصلابة حجر هاته الدرجات! أن نحيا، بالنسبة لنا، هو في غاية المخاطرة : فنحن من زجاج - وويل لنا عند أدنى صدمة! سقطة واحدة وتكون نهاية كل شيء!

155 الذي ينقُصنا

إننا نحب الطبيعة العظيمة، لقد اكتشفناها : ذلك لأن رؤوسنا خالية من الرجال العظام. بالعكس لدى اليونان : إحساسهم بالطبيعة مخالف تماما لما هو عليه عندنا.

156 الشيء الأكثر تأثيرا

أن يُبدي رجل مقاومة لعصره كله، أن يوقفه عند الباب ويحاسبه، هذا الذي يجب أن يمارس تأثيرا! أن يشاء ذلك أم لا، لا يهم؛ أن يكون قادرا عليه، هذا هو الحاسم.

157 أن نكذب

خذ حذرك! - إنه قد شرع في التفكير : للتو سيخرج بكذبة. هنا تكمن درجة من الثقافة وصلت إليها شعوب بأكملها. لتفكر فقط في كل ما كان الرومان يعبرون عنه بفعل mentiri (*).

158 خاصية متعبة

أن نحكم بعمق كل الأشياء - تلك خاصية متعبة : إنها تريد منا أن نُجهد بصرنا باستمرار، وأن ننتهي إلى العثور على أكثر مما كنا نرغب فيه.

159 لكل فضيلة أوانها

من يُظهر نفسه الآن عنيذا فإن نزاهته غالبا ما تسبب له الكثير من الندم : لأن العناد فضيلة لاتتنمي لنفس عصر النزاهة.

160 لدى ملامسة الفضائل

يحدث أن تعوز الكرامةُ أحدنا فيظهر نفسه متملقاً لإحدى الفضائل .

161 إلى هـواة الزمن

يحاول ، باستمرار، تارك الرهبانية والمحكوم بالأشغال الشاقة المستريح أن يصطنعاً وجهاً : ما يريدانه هو وجهٌ دون ماضٍ . — لكن هل سبق لكم أن لقيتم أشخاصاً شاعرين بانعكاس المستقبل على وجوههم ، [وكانوا] لطيفين بما فيه الكفاية معكم أنتم هواة «الوقت الحاضر» حتى تصطنعوا وجهاً دون مستقبل ؟ .

162 أنانية

الأنانية هي قانونٌ منظور الإدراك الحسي الذي يجعل الشيء القريب يبدو كبيراً وثقيلاً : بينما ينقص حجم ووزن كل الأشياء حسب البعد .

163 بعد فوز عظيم

إن أفضل نتائج الفوز العظيم هي كونه يجرر المنتصر من خشية الهزيمة . « لم أستسلم عند الحاجة ؟ — يقول لنفسه . فأنا منذ الآن ثري بما فيه الكفاية كي أتحمل ذلك » .

164 الذين يبحثون عن الراحة

إنني أتعرف على العقول التي تبحث عن الراحة من كثرة الأشياء المظلمة التي تضعها حولها : فالذي يريد أن ينام يظلم غرفته أو ينسل داخل كهف — [هذا] تحذير للذين يجهلون ما يبحثون عنه أكثر ويودون أن يعرفوه ! .

165 عن نصيب الذين يتخلّون

إن من يتخلّى عن شيء بشكل أساسي ولمدة طويلة سيعتقد ، حين يصادف الشيء الذي تخلّى عنه ، أنه يكتشفه لأول مرة تقريباً . لكن [هذا الإكتشاف] ليس نصيب الذي يكتشف ! لكن أشد مكرراً من الثعابين التي تبقى معرضة لنفس الشمس لمدة طويلة .

166 دائما فيما بيننا

كل ما يمت إلى بصلة، في الطبيعة كما في التاريخ، يحدثني، يمدحني، يدفعني إلى الأمام، يواسيني - : بينما الباقي لا أسمع أو أنساه على الفور. إننا نبقي دائما فيما بيننا.

167 بعض البشر والحب

لأنقول إننا متخمون بالناس إلا حين لا نستطيع هضمهم وقد امتلأت بهم معدتنا عن آخرها. ما بغض البشر إلا نتيجة حب جد شره للبشرية، نتيجة «أدامة» - لكن من الذي حثك إذن، أيها الأمير هاملت، على ابتلاع الناس مثلما تبتلع المحار؟.

168 مريض

- «إنه في حالة خطرة! - مم يعاني؟ - من الرغبة في أن يمدح، ولا يملك ما يلبي به رغبته. - إنه شيء غير معقول! فالكل يحتفي به، يشيد به، ولا يأخذونه بالأحضان فقط، بل إن اسمه على كل لسان! - لاشك في ذلك، غير أنه لا يصغي للمديح. فإن كان الذي يمدحه صديقا فإنه يبدو أنها يريد أن يمدح نفسه وإن كان عدوا كان كأنه لا يرتضي ذلك إلا لينال الثناء؛ وأخيرا إن كان الذي يمدحه واحدا من الآخرين - وما بقي منهم إلا القليل، فهو جد مشهور! ها هو ذا نكد : لا يرغب الناس أن يكون لهم صديقا ولا عدوا. وقد اعتاد أن يقول : لا يهمني ذاك الذي يدعي أنه مُنصفي!».

169 أعداء معلنون

إن الشجاعة أمام العدو شيء لذاته ؛ لكن لا يمنع أن يكون مظهر الشجاعة جبانا ورَبِكاً مترددا . هكذا كان نابوليون يحكم على Murat، أشجع رجل عرفه على الإطلاق - ينتج عن ذلك أنه لاغنى لبعض الرجال عن أعداء معلنين، بقدر ما يتحتم على هؤلاء الرجال أن يرتفعوا إلى مقام بسالتهم الخاصة، إلى مقام رجولتهم ومرحهم.

170 مع العامة

لقد سار وراء العامة الذين جعل من نفسه مادحهم حتى الآن : لكن اليوم الذي سيصبح فيه عدوهم آتٍ ! لأنه يتبعهم معتقداً أن بلادته قد تجد فيهم ضالتها : إنه لم يتنبه بعد إلى أن العامة ليسوا أغبياء حسب رغبته ! إلى أنهم يسرون قدما إلى الأمام ! وإلى عدم سماحهم لأحد بالتأخر ! - في حين أنه يهوى كثيرا أن يتأخر ! .

171 المجد

حين يتجرد اعترافُ جمعٍ كبيرٍ بواحد من كل احتشام ، إذاك يولد المجد .

172 مفسد الذوق

أ : «لستَ إلا مفسد الذوق ! - هذا ما يروج في كل مكان !» ب : «بكل تأكيد ! أفسد ذوق كل واحد على فريقه : - وما من فريق يغفر لي ذلك» .

173 أن تكون عميقا وتبدو عميقا

إن من يعلم أنه عميق يجتهد في النور : أمّا من يريد أن يبدو عميقا في أعين العامة فإنه يجتهد في الظلام . لأن العامة يعتبرون كل مالا يستطيعون رؤية قعره عميقا : لشدة ما يخشون الغرق !

174 على الحساد

إن البرلمانية ، أي الترخيص العمومي بالاختيار بين خمسة آراء سياسية أساسية ، تتملق العدد الكبير من أولئك الذين يودون أن يبدووا مستقلين وأن يُناضلوا من أجل آرائهم . غير أنه لافرق ، في نهاية المطاف ، بين أن يُفرض على القطيع رأيٌ واحدٌ وبين أن يُسمح له بخمسة آراء - فكل من يجيد عن الآراء الأساسية الخمسة سيجد القطيع كله دائما معارضا له .

175 عن الفصاحة

من الذي ملك الفصاحة الأكثر إقناعا حتى الوقت الحاضر؟ إنه قرع الطبل : ومادام تحت نفوذ الملوك فإنهم سيظلون أجود الخطباء ومهيجي الشعوب .

176 أن تشفق

مساكين هؤلاء الأمراء الحاكمون ! كل حقوقهم تتحول الآن شيئاً فشيئاً إلى ادعاءات ، وهاته الادعاءات سرعان ما تدوي كالخطرة ! يكفي أن يقولوا «نحن» أو «شعبي» لتبتسم أوروبا القديمة الشريرة . حقاً ، إن رئيس تشريفات من العالم الحديث لن يحتفل معهم إلا قليلاً : ولربما أصدر مرسوماً : «الملوك يخضعون لحديثي النعمة» .

177 لفائدة « نظام التربية »

في ألمانيا ، تنقص الرجل المتفوق إحدى أعظم وسائل التربية : ضحك الرجال المتفوقين ؛ إن هؤلاء لا يضحكون في ألمانيا .

178 من أجل التنوير الأخلاقي

يجب تحرير الألمان من تسلط ميفستوفليس وفاوست في الوقت ذاته . فهما حكمان أخلاقيان مسبقان ضد قيمة المعرفة .

179 أفكار

الأفكار ظلال أحاسيسنا - فهي دائماً مظلمة و أكثر فراغاً وبساطة من هاته الأحاسيس .

180 أيام عز العقول الحرة

العقول الحرة تأخذ حرياتها بخصوص العلم أيضاً - وتعطى لها هاته الحريات مؤقتاً - مادامت الكنيسة قائمة ! - من هاته الناحية فإن لها الآن أيام عزها .

181 الاتباع والتقدم

أ : «لن يفعل الواحد من هذين الإثنين شيئاً غير الإتياع ، أما الآخر فسيقدم دائماً ، حيثما قادهما القدر . ورغم كل شيء يبقى الأول فوق الثاني ، حسب فضيلته وعقله !» ب : «ورغم كل شيء؟ هذا ما يقال للآخرين ، لا لي أنا ، لا لنا نحن ! -
(*) «Fit secundum regulam» .

182 في الوحدة

حين نحيا وحيدين فإننا لانتكلم جهرا مثلما لانكتب جهرا، لأننا نخشى
الصدى المقعر - نخشى نقد ربة الصدى . - وكل الأصوات تُصدي في الوحدة
بشكل مخالف ! .

183 موسيقى المستقبل الأفضل

الموسيقي الأول في نظري، هو ذلك الذي لن يعرف غير كآبة أعمق غبطة دون
سائر الكآبات : مثل هذا الموسيقي لم يوجد قط حتى الآن .

184 عدل

أن لا تُبدي أية مقاومة وأنت تُسرق أفضل من أن تحاط بفزاعات ما - هذا يناسب
ذوقي . والمسألة ، في كل الحالات ، مسألة ذوق لاغير .

185 فقير

هو الآن فقير : ليس لأنهم جرّدوه من كل شيء ، ولكن لأنه رفض كل شيء - فما
همه ! فهو متعود على العثور . - الفقراء هم الذين يسيئون فهم فقره الإرادي .

186 إحساس بالخطأ

كل ما يفعله في الوقت الحاضر جرّيء ومنظم - لكنه يحس بالخطأ رغم ذلك .
لأن الخارق هو ما يشكّل مهمته .

187 الجارح في العرض

يجرحني هذا الفنان بالطريقة التي يعرض بها أفكاره : أفكاره الجيدة : يعرضها
بكثير من الغلظة والإلحاح ، وبحيّل إقناع بذيئة كما لو كان يخاطب الدهماء . ففي
كل مرة نخصص فيها وقتا لفنه نجد أنفسنا صحبة «رفقة سيئة» .

188 العمل

ما أقرب العمل والعامل حتى إلى أكثرنا بطالة في الوقت الحاضر! والأدب الرائع
لكلمات : « نحن كلنا عمال » لم يكن سوى وقاحة وقلة حياء إبان حكم لويس
الرابع عشر.

189 المفكر

إنه مفكر : أي أنه ماهر في اعتبار الأشياء أبسط مما هي عليه .

190 ضد المداح

أ- «لأنمّـدح إلا من طرف أئـدادنا!» ب : «طبعاً! فالذي يمدحك يقول لك : أنت نذّي» .

191 ضد دفاع معين

الطريقة الأكثر خداعاً للإساءة إلى قضية ما هي الدفاع عنها بحجج خاطئة، عن قصد .

192 الخيرون

ما الذي يميز هؤلاء الأشخاص الخيـرين الذين تشع وجوههم بالخير عن سائر الناس؟ إنهم يشعرون بالراحة لدى حضور شخص جديد، ويولعون به بسرعة : لهذا يريدون له الخير، وحكمهم الأول يعني : «إنه يروق لي .» وتتابع لدى هؤلاء الأشخاص رغبة التملك (فهم لا يدققون كثيراً فيما يخص قيمة الغير)، التملك السريع، فرحة التملك والعمل لصالح الشيء الممتلك .

193 حيلة كانط

كان كانط يريد أن يبرهن، بطريقة تبهر عين «الكل»، أن «الكل» كان على حق : - هنا كانت تكمن الحيلة السرية لهاته الروح . فقد كتب ضد العلماء، لصالح الحكم الشعبي المسبق، لكنه كتب للعلماء لا للشعب .

194 بقلب مفتوح

من المرجح أن هذا الرجل يتصرف لأسباب غير معترف بها : لأنه يحرص دائماً على أن تكون له أسباب يمكن الاعتراف بها، ويكون مستعداً لإطلاعك عليها .

195 ما يثير الضحك

انظروا! انظروا! إنه يفر بعيداً عن الناس . - لكن هؤلاء يتبعونه لأنه يجري أمامهم، - لشد ما هم قطيعيون .

196 حدود سمعنا

إننا لانسمع إلا الأسئلة التي نقدر أن نجد لها جوابا .

197 لهذا، حذار!

ليس هناك شيء نود كثيرا أن نطلع عليه الآخرين غير خاتم السر - بما في ذلك ما يوجد تحته .

198 غيظ الرجل الفخور

الرجل الفخور ممتلئ غيظا حتى تجاه الذين يسرون به إلى الأمام : فهو يستقبح خيل عربته .

199 سخاء

ليس السخاء لدى الأغنياء ، في غالب الأحيان ، إلا نوعا من الخجل .

200 أن نسخر

أن نَسْخَرَ معناه : أن نشمت بضررٍ لكن براحة ضمير.

201 رضا

في الرضا يكون دائما نوع من الصخب : حتى في حالة تفاخرنا .

202 مبذر

إنه لم يبلغ بعد فقر الغني الذي سبق وأن أحصى كنزه كله ، — إنه يبذر عقله بغباوة الإنسان المبذر.

203 * Hic niger est

عادة ، ليست له أفكار إطلاقا - ولكن بصفة استثنائية تأتيه أفكار رديئة .

204 المتسولون والأدب

«ليس من سوء الأدب أن نضرب الباب الذي ليس فيه حبل الجرس بحجر»،
هكذا يفكر مختلف المتسولين والمعوزين ؛ لكن لا أحد يقول إنهم على صواب .

205 الحاجة

تعتبر الحاجة سببا لما يتكوّن : في الحقيقة ، غالبا ما تكون نتيجة لما قد تكوّن .

206 أثناء المطر

المطر يهطل ، وأنا أفكر في الفقراء المتزاحمين وفي الكم الهائل من همومهم التي لم يدربوا على إخفائها ، كل واحد منهم مستعد ، والحالة هذه ، أن يحزن جاره عن طيب خاطر ، وأن يحصل ، بالجور الرديء ، على إحساس برغد العيش يدعو للثناء .
- هذا ، ولاشيء غير هذا ، هو فقر الفقراء .

207 الحسود

هذا حسود - يجب أن لا نتمنى له أطفالا : سيحسدهم على ما لم يعد قادرا أن يكونه هو نفسه : الطفل .

208 رجل عظيم

لا ينبغي أن نستنتج من كون أحد ما «رجلا عظيما» أنه رجل بفعل هذا : فلربما لم يكن سوى غلام لاغير ، أو حرباء كل العصور ، أو امرأة صغيرة مسحورة .

209 عن طريقة معينة لطلب حججنا منا

هناك طريقة لطلب حججنا منا لا تنسينا أحسن حججنا فقط ، بل تشير فينا اشمئزا من أية حجة كيفما كانت : - طريقة السؤال الخابلة جدا ، أسلوب الناس المستبدين .

210 اعتدال في الحماس

يجب أن لا تسعى لتجاوز حماس أهلك - فهذا يجعلك مريضا .

211 أعداء سريون

أن تستطيع القيام بأود عدو سري — فهذا ترف حتى أخلاقية العقول السامية لا تكون، عادة، غنية بما فيه الكفاية لتقوم به .

212 لائق بالمظاهر

إن له تصرفات قبيحة، إنه فظ ويتلثم دائما، من قلة صبره : على هذا النحو لانكاد نشك في سعة روحه وفي نَفْسِها القوي .

213 طريق السعادة

سأل أحد الحكماء أحقا عن طريق السعادة فأجابه فورا كمن سئل عن طريق أقرب مدينة : «أُعْجِبْ بنفسك وعش في الشارع!» . «كفاك، قال الحكيم، إنك تطلب الكثير، يكفي أن يعجب المرء بنفسه!» فرد عليه الأحق : «ولكن كيف لنا أن نُعجب باستمرار إن لم نَحْتَقِر باستمرار؟» .

214 العقيدة هي التي تُنْجِي

إن الفضيلة لا تمنح السعادة ونوعا من الخلاص إلا لأولئك الذين يؤمنون بفضيلتهم : — وليس لهاته الأرواح الشفافة التي تقتضي فضيلتها الاحتراس التام من الذات ومن كل الفضائل . إذن هنا أيضا نلاحظ جيدا أن «العقيدة هي التي تنجي» — وليس الفضيلة ! .

215 المثل الأعلى والمادة

أمامك الآن مثل أعلى نبيل : لكن هل أنت نفسك من طينة جد نبيلة حتى تتشكّل منها مثل هاته الصورة الرائعة؟ وفضلا عن ذلك — هل كل عملك إلا نحت همجي؟ تدنيس لمثلك الأعلى؟ .

216 خطر في الصوت

بتوفرنا على صوت جهوري لا نكون قادرين، تقريبا، على التفكير في أشياء دقيقة .

217 السبب والأثر

قبل الأثر نؤمن بأشياء غير التي نؤمن بها بعده .

218 نفوري

أنفّر من الأشخاص الذين ، لكي يَبْهَرُوا فقط ، يوجبون على أنفسهم أن ينفجروا مثل القنابل التي نوشك أن نفقد ، بالقرب منها ، حاسة السمع - بل وأكثر من ذلك .

219 الغاية والعقاب

الغاية من العقاب هي إصلاح الذي يعاقب - إنها من آخر حجج المدافعين عن العقاب .

220 قُربان

للحيوانات القربانية تصور للقربان وللتضحية مغاير لتصور الذين يُخْضِرُونَهَا : ومع ذلك ، فما تعلق الأمر أبدا بالسماح لها بالتعبير .

221 مراعاة

يراعي الآباء والأبناء بعضهم أكثر مما تراعي الأمهات والبنات بعضهن .

222 الشاعر والكذاب

يرى الشاعر في الكذاب أخاه من الرضاغة الذي حرمه [أي حرمه الشاعر] من الحليب الذي كان مخصّصا له : بهذا بقي الثاني بئسا ولم يتمكن حتى من بلوغ الإحساس بالارتياح .

223 نيابة الحواس

«لنا عيون أيضا لكي نسمع بها» ، - قال مُعَرِّفُ أَصْحَابِهَا ؛ «ويكون ملكا وسط العميان من كانت له أذنان طويلتان» .

224 نقد الحيوانات

إني أخاف أن تعتبر الحيوانات الإنسان كائناً من جنسها فقد فطرته الحيوانية بأكثر الأشكال خطورة، - أن تعتبره بمثابة الحيوان الغريب الأطوار، الحيوان الضاحك، الحيوان الباكي، الحيوان الذي مآله التعاسة.

225 الرجال الطبيعيون

لقد كان الشر دائماً متأكداً من أكبر الأثر! والطبيعة شريرة! فلنكن إذن طبيعيين! « هكذا يستنتج سرّياً كبار مشخصي أثر الإنسانية الذين كثيراً ما عددناهم ضمن الرجال العظام.

226 العقول الحذرة والأسلوب

إننا نعبر عن أصعب الأمور ببساطة، شريطة أن نكون محاطين بأشخاص يؤمنون بقوتنا: فلمثل هذا المحيط مزية التدريب على «بساطة الأسلوب». [بينما] العقول الحذرة تعبر عن نفسها بمغالة، العقول الحذرة تجعل سامعيها مغالين.

227 استنتاج خاطيء، مشروع فاشل

إنه لا يستطيع السيطرة على نفسه: من هنا تستنتج المرأة الفلانية أنه سيكون من السهل السيطرة عليه، فتلقي عليه حبالها؛ - المسكينة ستصير أمتة في أجل قصير.

228 ضد الوسطاء

موصوم بالضعف من أراد التوسط بين مفكرين وطيدي العزم؛ ليس له نظر ثاقب ليميز مالا يحدث إلا مرة واحدة: فأن لا ترى سوى تشابهات وتساوي بين كل شيء فتلك ميزة البصر الضعيف.

229 تحدي ووفاء

إن تشبّهه بقضية قد توضحت له هو محض تحدّي، - لكنه يسمي ذلك «وفاء».

230 نقص السرية

ليس في كينونته كلها شيء مقنع - وينجم ذلك عن كونه لم يُخَفِّ أبداً أدنى فعل حسنٍ قام به.

231 الذين يريدون أن يعرفوا «حق المعرفة»

إن العقول البطيئة في اكتساب المعرفة تظن أنه لاغنى عن البطء في اكتسابها .

232 أن نحلم

قلما نحلم ، وإلا فبطريقة مفيدة . — ينبغي تعلم السهر بهذا الشكل : ألا نسهر إطلاقاً وإلا فبطريقة مفيدة .

233 وجهة النظر الأكثر خطورة

كل ما أفعله الآن أو أغفل فعله يوازي في أهميته ، بالنسبة لكل ما سيطراً ، أعظم حدث في الماضي : كل الأفعال عظيمة وبسيطة كذلك في هذا المنظور الرائع للأثر .

234 تأملات موسيقي معزية

«لاصدى لحياتك في آذان الناس : فأنت بالنسبة لهم تحيا حياة صامتة ، إذ لا يدركون كل رهافة اللحن وكل تصميم دقيق في الاصطحاب أو في المقدمة . صحيح أنك لا تسير في وسط الشارع على انغام موسيقى عسكرية — لكن هذا ليس مبرراً ليقول هؤلاء الجريئون أن الموسيقى تنقص سياق حياتك . من كانت له آذان فليسمع» .

235 عقل وطبع

كم من رجل يصل إلى أوجه بطبعه ، لكن عقله بالتحديد يبقى ما دونه — والعكس هو ما يحدث لآخرين كثيرين .

236 للتأثير على العامة

ألا ينبغي لمن يريد أن يؤثر على العامة أن يكون كوميدياً أنه الخاصة؟ وأن يعبر عن نفسه أولاً بصورة ذات دقة مضحكة ويمثل كل شخصيته وكل قضيته بهذا الشكل البذيء والمبسّط؟ .

237 الرجل المؤدب

- «إنه جد مؤدب!» - في الواقع ، إنه يحرس دائما على أن تكون معه قطعة سكر
ليعطيه لسيربيروس (*) ، وهو فزعٌ جدا للدرجة أنه يعتبر كل واحد سيربيروس ،
وكذلك أنت ، وأنا نفسي - هنا يكمن «أدب»ه .

238 بدون حسد

إنه طاهر من الحسد ، لكن لا مزية في ذلك إطلاقا : إنه يريد غزو بلد لم يمتلكه
أحد بعد ، بل ولم يره .

239 تعاسة

إن شخصا واحدا تعيسا يكفي ليسمّم منزلا بأكمله ويكدر الجو فيه : ولكي
يغيب هذا الشخص وحده يلزم أن تحصل معجزة على الأقل ! - قلما تكون السعادة
مرضا معديا بهذا القدر - ما سبب ذلك ؟ .

240 على البحر

لن أشيد لنفسي بيتا قط (ويسعدني ألا أمتلكه إطلاقا!) لكن إن كان لامفر من
ذلك فسأشيده ، صنيع بعض الرومان ، ممتدا في البحر ، - وليس من المستبعد أن
بيني وبين هذا الوحش الجميل بعض القرباب الحفية .

241 الفنان وأثاره

هذا الفنان طموح ، لاشيء غير ذلك : ولنجمل القول ، فآثاره ليست إلا زجاجا
مكبرا يهديه لكل من يقدره .

242 Suum cuique (**)

مهما كانت شراهة معرفتي : فإنني لا أستطيع أن أفيد شيئا من الأشياء التي
ليست في ملكيتي بعد ، - فملك الغير يبقى فيها كاملا . [إذ] كيف يمكن أن يكون
إنسان مالصاً أو قاطع طريق ! .

(*) كلب ذو ثلاث رؤوس ، حارس الجحيم في الميثولوجيا الإغريقية .

(**) عن فضائلهم عني .

243 أصل مفهومي «حسن» و «قبيح»

وحده من يستطيع أن يحس بأن : «هذا ليس حسناً» يبتكر تحسناً ما .

244 أفكار وكلمات

حتى أفكارنا الخاصة لانستطيع أن نترجمها إلى كلمات .

245 الثناء في الاختيار

الفنان يختار مادته : هنا تكمن طريقته في الثناء .

246 الرياضيات

إننا نحاول بأي ثمن ، مادام ذلك في مقدورنا ، أن ندخل دقة الرياضيات وصرامتها في كل علم ؛ لا لإعتقادنا بأننا سنفهم الأشياء أفضل بهاته الوسيلة ، لكن بُغية توضيح علاقتنا الإنسانية بالأشياء . فالرياضيات ليست إلا وسيلة معرفة الكائن الإنساني الكونية والأخيرة .

247 العادة

كل عادة تجعل يدنا أكثر مكرًا ومكرنا أقل حذقًا .

248 الكتب

ماقيمة كتاب ليست له حتى ميزة حملنا إلى ماوراء كل الكتب؟

249 تأوه العارف

«واها أيتها الشراة الملعونة! لم يعد كفران الذات يقيم في هاته الروح - بل ذات تشتهي كل الأشياء ، تتمنى أن ترى من خلال كثير من الأفراد كما لو بأم عينيها ، وأن تمسك كما لو بيديها ، ذات مسترجعة للماضي كله كذلك ، لاتريد أن تفقد شيئاً من كل ما قد يكون ملكاً لها تماماً! واهاً ياشعلة شرهي الملعونة! ليتني أستطيع أن أولد من جديد في مئات الكائنات!» - إن من لا يعرف هذا التأوه عن تجربة لا يعرف شغف العارف أيضا .

250 جرم

حتى ولو اقتنع أكثر القضاة [الذين حكموا على] الساحرات وضوحاً،
والساحرات أنفسهن، بالطبع الأثيم للسحر، فإن الجرم لم يكن منعدياً في غير
ذلك. كذلك الأمر بالنسبة لكل جرم.

251 الذين يعانون في صمت

إن أصحاب الطباع العظيمة يعانون بشكل مغاير لما يتصوره أولئك الذين
ييجلونهم: إنهم يعانون الأمرين من الاكتئابات البشعة والحقيقة في كثير من
اللحظات الشاقة، بإيجاز، إنهم يعانون من شكهم فيما يخص عظمتهم - وليس من
التضحيات والاستشهاد الذين تتطلبهم مهمتهم. مادام برومسيوس يشفق على
الناس ويضحى من أجلهم فهو سعيد وعظيم في ذاته: غير أنه حين يحسد جوبيتر
على الولاء الذي يقدمه له البشر فإنه آنذاك يعاني.

252 أفضل أن تظل جانباً

«أن نظل جُناة أفضل من أن ندفع عملةً لاثمَل صورَتنا!» هكذا تقضي
سيادتنا.

253 دائماً في بيتك

يأتي اليوم الذي نقرب فيه من غايتنا، — ومنذ ذلك الحين نظهر بافتخارٍ كم
كانت أسفارنا طويلة كي نبلُغها. والحقيقة هي أننا لم نلاحظ قط أننا كنا مسافرين،
فحيث أننا سافرنا بعيداً جداً كنا نظن، عند كل مرحلة جديدة، أننا لازلنا في بيتنا.

254 ضد الإخراج

الذي يكون دائماً جَدّ مشغولٍ يكون بعيداً عن أي إخراج.

255 المقلدون

أ: «ماذا يعني هذا؟ ألا تريد مقلدين؟» ب: «لا أريد إطلاقاً أن أكون مثلاً
يُحتذى: أريد أن يحدّد كل واحد لنفسه شيئاً ما كمثال: مثلاً أفعل أنا تماماً».

أ: «إذن - ؟»

256 تَأْدَمُ

يجد كل واحد من رجال أغوار البحر سعادته البالغة في مضاهاة خطاف الماء واللعب على ذرى الأمواج : وأحسن ما يُعْجَبُ به لدى ملامسته للأشياء ، - هو أن لها سطحاً : هو أدمتها - Sit venia verbo (*) .

257 عن تجربة

كم من واحد يجهل ثرواته حتى اليوم الذي يعلم أن بعض الرجال ، حتى الأثرياء منهم ، يصبحون لصوصاً عند الإتصال به .

258 مُنْكَرِ الصَّدْفَةِ

لا يؤمن أي منتصر بالصدفة .

259 عن الجنة

«الخير والشر هي أحكام الإله المسبقة» - تقول الأفعى .

260 واحد مرة واحدة

الواحد دائماً على خطأ : لكن مع اثنين تبدأ الحقيقة . الواحد لا يستطيع أن يقيم الدليل لنفسه : لكن يكفي اثنان لنعجز عن إثباته خطأهما .

261 الأصالة

ما الأصالة؟ أن ترى شيئاً ليس له اسم بعد ، لا يمكن تسميته بعد ، وإن كان هذا [الشيء] تحت أنظار الكل . هكذا هم الرجال عادة بحيث يلزم أولاً أن يكون للشيء اسم لكي يكون مرثياً لهم . - وغالباً ما كان الأصلاء هم أولئك الذين أطلقوا الأسماء على الأشياء .

262 Sub specie æterni (**)

أ : «إنك تبتعد عن الأحياء بسرعة متزايدة : قريباً سيكونون قد شطبك من لائحتهم!»

(*) إن صح التعبير .

(**) نحو جنس خالد .

ب : «إنها الوسيلة الوحيدة لمشاركة الموتى امتيازهم»

أ : «وما هو هذا الامتياز؟» - ب : «أن لا تموت قط» .

263 بكل تواضع

حين نتحابّ نرغب أن تظل نقائصنا خافية عن الأعين ، - ليس خيلاءً ، لكن لئلا نجعل الكائن المحبوب يعاني . والمحِب يريد ، في الواقع ، أن يبدو إلهيا ، - وهذا أيضا ليس خيلاءً .

264 مانفعله

ليس هناك إدراك لما نفعله ، ليس هناك سوى التقريظ أو اللوم .

265 آخر شكوكية

ماهي إذن حقائق الإنسان ، في النهاية؟ - إنها أخطاؤه/المتعذر وحضُّها .

266 أين تكون القساوة ضرورية

إنّ من يملك الرفعة يكون قاسيا تجاه فضائله واعتباراته الثانوية .

267 ميزة الهدف الكبير

يعلينا الهدف الكبير حتى فوق العدالة ، ليس فقط فوق أفعالنا وقضائنا .

268 ما الذي يصنع البطولة؟

أن نسير في الوقت ذاته قدّام أقسى معاناتنا واسمى أمنيّتنا .

269 بم تؤمن؟

بما يلي : أن يحدّد وزن كل الأشياء بطريقة جديدة .

270 ماذا يُملي عليك ضميرك؟

«عليك أن تصير من أنت»

271 أين تكمن مخاطراتك العظمى؟

في الشفقة .

272 ما الذي تحبه لدى الآخرين؟

أمنياتي .

273 من الذي تعتبره خبيثا؟

الذي يريد دائما أن يُحجّل الآخرين .

274 ما الأكثر انسانية في نظرك؟

أن توفر الحجل على شخص ما .

275 ما خاتم الحرية المكتسبة؟

ألا تحجل من نفسك أبدا .

الكتاب الرابع

(*) SANCTUS JANUARIUS

أنت يا من بُرِّمِح من اللهب
تذيبُ جليد رُوحِي
حتى تنساب هادرة
إلى بحر رجائها الأسمى،
سليمة أبدا وجدّ صافية
في إكراهها الودود، حرة-
كذا تحتفل [هي] بمعجزاتك
أنت يا أجمل يناير!

جنوة، يناير 1882

276 في العام الجديد

لازلت حيا، لازلت أفكر : لايزال علي أن أحيأ لأنه لايزال علي أن أفكر.
 Sum, ergo cogito : Cogito, ergo sum (*) . يسمح كل واحد لنفسه اليوم ببدء
 رغبته، إبداء أعز أفكاره عليه : طيب، سأعبر أنا أيضا عما كنت أبغيه اليوم من
 نفسي، وعن نوع الفكرة التي كانت السبابة، هاته السنة، إلى اختراق قلبي، - عن
 نوع الفكرة التي يجب أن يأتيني بها العقل ورهان كل حياة لاحقة وعدوبتها! أريد أن
 أتعلم أكثر فأكثر كيف أقدر اللزوم في الأشياء، كالجميل في ذاته : وهكذا سأكون
 من الذين يجمّلون الأشياء. ليكن حبي منذ الآن : Amor fati (**)! لن أخوض
 حربا ضد القبح؛ لن أتهم إطلاقا، لن أتهم حتى المتهمين. ليكن إنكاري الوحيد :
 صرف النظر! وبالجملة : أريد، ابتداء من لحظة ما، ألا أكون سوى التزام تام! .

277 عناية شخصية

هناك ذروة في الحياة : بمجرد ما نصل إليها إذا بنا، رغم حريتنا كلها، رغم
 رفضنا إضفاء صلاح وحكمة سماويين على فوضى الوجود الجميلة، نوشك مرة
 أخرى على السقوط في أكبر عبودية روحية ونُسرعُ على القيام باختيارنا المضني. في
 الواقع، إن فكرة عناية شخصية تغمرنا الآن، والمظهر أفضل لسان حال لها، بمجرد
 أن نلمس أن كل الأشياء، كل الأشياء التي تقع لنا على الإطلاق، تتحول لصالحنا
 باستمرار. تبدو الحياة اليومية باستمرار وكأنها لا تميل إلا إلى تأكيد هذا التفسير بأدلة
 جديدة، بأي شيء تعلق الأمر، بالطقس الرديء أو الجميل، بفقد صديق،
 بمرض، بوشاية، بعدم مجيء رسالة، برجل مدعوسة، بنظرة خاطفة في دكان،
 بحجة مضادة، بكتاب فتح صدفة، بحلم، أو بخدعة : فالحدث يظهر عاجلا أو
 آجلا بعد شيء «لم يكن من وقوعه بد» - إنه مترع بمعنى عميق وبالنفع لنا
 بالتحديد. هل هناك إغواء أخطر من جحودنا آلهة أبيقور، هاته الخلية البال
 المجهولة، لنؤمن بأي معبود حقير ومدقق يعرف شخصا أدنى شعرة في رأسنا، ولن
 يشعر بأي اشمئزاز من إظهار خدوميّة تثير الشفقة؟ طيب - أريد أن أقول : رغم كل
 هذا - لنترك الآلهة والعباقرة الخدومين وشأنهم ولنكتف باحتمال أن تكون مهارتنا
 النظرية والتطبيقية في تفسير وترتيب الأحداث قد بلغت ذروتها هنا. لانغالين كثيرا

(*) أنا موجود، إذن أنا أفكر : أفكر إذن أنا موجود .

(**) حيا قدريا .

في لباقة تعقلنا إن كان في التناغم الذي ينشأ من عزفنا على آلتنا ما يدهشها أحيانا : إنه تناغم ذو رنين شديد الإتقان لكي نجرؤ على نسبته إلى أنفسنا . في الواقع ، إن أحدا ما يعزف معنا هنا وهناك - إنها الصدفة العزيزة : إنها تهدي يدنا عند الحاجة ، وإن أعقل عناية لن تستطيع ابتكار موسيقى أروع من التي توفق فيها يدنا الخرقاء إذّاك .

278 فكرة الموت

تغشاني سعادةٌ كثيبة لأعيش في قلب هذا المزيج من الأزقة ، من الحاجات ، من الأصوات : فكم من متعة ، من جزع ، من اشتها ، من حياة ظمأى ومن نشوة حياة تحدث فيها كل لحظة في واضحة النهار! غير أنه ، بالنسبة لهاته الكائنات الصّخبة ، الحيّة ، الشرهة لأن تحيا ، قريبا سيصير الصمت! مثلما نرى الظل ينتصب وراء كل واحد رفيقا غامضا له في الطريق! إن ذلك يشبه دائما اللحظة الأخيرة التي تسبق انطلاق سفينة المهاجرين : نجد ما نقوله أكثر من أي وقت مضى ، فالوقت يزحف علينا والمحيط ينتظر في سكون كثيب على أحر من الجمر وراء كل هذا الضجيج - كله طمع ، وجدّ واثق من فريسته! والكل ، الكل يظن أن الحياة السالفة لم تكن شيئا ، وإلا فهي شيء قليل ، وأن المستقبل القريب سيكون كلّ شيء؟ ومن ثم هاته المسارعة ، هذا الصياح ، وهاته الطريقة في التّصامم والتّغريير بالنفس! كل واحد يريد أن يكون الأول في هذا المستقبل - غير أن الموت وسكون الموت يشكلان اليقين الوحيد والقاسم المشترك بين الكل في هذا المستقبل! كم هو غريب ألا تكون لليقين الوحيد ، للمصير الواحد المشترك أية سيطرة تقريبا على الناس ، وأن الذي هم بعيدون عنه أشد البعد هو أن يشعروا بشيء مثل أخويّة الموت! إن ما يسعدني هو أن أرى الناس يرفضون أن يفكروا فكرة الموت بتاتا! وسأساهم عن طيب خاطر لأجعل فكرة الحياة أجدر مائة مرة بأن تكون فكرة بعداً! .

279 صداقات النجوم

كنا أصدقاء فصار واحدنا غريبا عن الآخر : بيد أنه أفضل أن يكون الأمر كذلك ، ولن نسعى لأن نخفيه عن أنفسنا ولا إلى تعتيمة كما لو كان علينا أن نخجل منه . مثّل ذلك سفينتان تتبع كل واحدة منهما طريقها وهدفها الخاصين : هكذا يمكننا أن نلتقي ونحيي حفلات فيما بيننا كما فعلناه من قبل - وقد كانت السفن الجيدة وقتذاك ترسو جنباً إلى جنب في نفس الميناء ، تحت الشمس ، هادئة جدا

بحيث قلنا إنها قد وصلت إلى هدفها وأنه لم يكن لها سوى اتجاه واحد . لكن نداء مهمتنا الذي لا يقاوم دفعنا بعد ذلك بعيدا عن بعضنا البعض ، كل واحد على بحار مختلفة ، نحو أنحاء مختلفة ، تحت شمس مختلفة - ربما لكي لانتلقي أبدا وربما لكي نلتقي مرة أخرى لكن دون أن يتعرف واحدنا على الآخر : ستكون قد غيرتنا بحار وشمس مختلفة ! نصير غرباء عن بعضنا ، ذاك ماكن يريده القانون الذي فوقنا : من هناك بالذات يلزمنا أن نصير أكثر احتراما لبعضنا ! من هناك بالذات يجب أن تكون فكرة صداقتنا الماضية أكثر قداسة لدينا ! من المحتمل أن هناك منحني خفيا هائلا وطريقا نجميا ضخما حيث توجد طرقنا وأهدافنا المتباعدة مدونة مثل مسافات ضئيلة - لنسم إلى هاته الفكرة ! إلا أن حياتنا جد وجيزة وبصرنا جد ضعيف لكي نستطيع أن نكون أكثر من أصدقاء بمعنى هاته الإمكانية السامية ! - وهكذا نريد أن نؤمن بصداقتنا النجمية وإن لزمنا أن نكون أعداء على الأرض .

280 هندسة محبي التأمل

قد يكون ضروريا أن نفهم يوما ، وربما يكون هذا اليوم قريبا ، ما ينقص مدنا قبل كل شيء : أماكن للصمت ، رحبة وممتدة كثيرا ، مخصصة للتأمل ، مزودة بأروقة عالية وطويلة للوقاية من تقلبات الطقس أو من الشمس المحرقة ، لاتنفذ إليها ضوضاء السيارات ولاضجيج الصائحين إطلاقا ، وفيها سيمنع أدب لطيف القس من الصلاة جهرا : [تنقصها] صروح وحدائق ستعبر في مجموعها عن سمو التفكير وعن الحياة على الحياد ! لقد ولّت العهود التي كانت فيها الكنيسة تحتكر التأمل ، التي كانت فيها (*) *vita religiosa* (**) *La vita contemplativa* في المقام الأول : وكل ما شيدته الكنيسة في هذا المضمار يجسد هاته الفكرة . لأستطيع أن أقول كيف سيمكننا أن نرضى بهاته البناءات حتى وهي مجردة من مقصدها الكنسي : إن هاته البناءات ، باعتبارها بيوتا لإله وأماكن فخمة للمتاجرة مع الما وراء ، تتكلم لغة جد مؤثرة ومرغمة لكي نستطيع نحن الذين لانؤمن بأي ألّه أن نفكر فيها أفكارنا الخاصة . إن رغبتها هي أن نرى أنفسنا نحل في الحجر والنبات ، أن نتجول داخل ذواتنا ، عندما نذهب هنا وهناك داخل هاته الأروقة والحدائق .

(*) الحياة التأملية .

(**) حياة دينية .

281 معرفة الإهتداء إلى النهاية

إن الأساتذة من الطراز الأول يجعلون الآخرين يتعرفون عليهم من خلال معرفتهم الإهتداء إلى النهاية بطريقة محكمة، في المسائل الكبيرة كما في الصغيرة، سواء تعلق الأمر بنهاية لحن أو فكرة، بالفصل الخامس من مأساة أو بعملية سياسية. أما موسيقيو الطراز الثاني فإنهم يبدأون في الاضطراب عند اقتراب النهاية ويجهلون هذا الانسجام الجليل والهاديء الذي ترسم به سلسلة جبال بورتوفينو مثلاً انحدارها في البحر - هناك حيث يُنهي خليج جنوة شدو لحنه.

282 المشية

هناك من أساليب العقل ما يكشف الأصل العامي أو الشبه عامي حتى لدى المفكرين - : إن مشية وخطوة أفكارهم هما اللتان تفضحانهم بصفة خاصة : فهم لا يعرفون أن يمشوا. وهكذا لم يكن نابليون، نظراً لغمّه العميق، يعرف أن يمشي كلية بطريقة أميرية و «شرعية» في الظروف التي تتطلب هاته الطريقة بشكل خاص، كمواكب التتويج الكبيرة وحفلات أخرى مماثلة : هناك أيضاً لم تكن له سرعة أخرى غير سرعة قائد فيلق - فخور ومسرّع في الوقت ذاته، وهو الشيء الذي كان، فضلاً عن ذلك، واعياً به تماماً. لاشيء يدعو للسخرية مثل هؤلاء الكتاب الذين ينشرون حولهم أجواخ المرحلة : يرجون إخفاء أرجلهم.

283 الرجال المهيدون

أحيي كل العلامات التي تعلن مقدّم عصر أكثر رجولية وشراسة، عصر سيعرف قبل كل شيء كيف يرد الاعتبار للشجاعة! لأنه سيمهد الطريق لعصر أرفع منزلة، وسيركز القوة التي سيحتاجها هذا العصر الآتي - عصر سينقل البطولة إلى داخل ميدان المعرفة و سيخوض حروباً حثاً في الفكر وفي آثاره. ويحتاج الأمر في هذا إلى كثير من الرواد الشجعان الذين لن يستطيعوا أن ينبعثوا ببساطة من العدم - ولا من حضارة مدننا أو من تربيتها المائعة والدّبة : رجال يعرفون، وهم صامتون، وحيدون، وثابتو العزم، كيف يجدون رضاهم في الاستماتة في نشاط خفي : رجال يبحثون في الأشياء، تبعاً لرغبة داخلية، عما ينبغي تجاوزه فيها : رجال يتوفّر فيهم المرح والصبر والبساطة وازدراء التفاهات الكبيرة مثلما يتوفّر فيهم السخاء في النصر والحلم عن تفاهات كل المهزومين الصغيرة : رجال وُهبوا حكماً نافذ تجاه كل

منتصر، وواعون بنصيب الحظ في كل نصر، في كل مجد : رجال لهم أعيادهم الخاصة، لهم أيام عملهم الخاصة، لهم أوقات حزنهم الخاصة، متعودون على الحكم بثقة، ومستعدون كذلك ليطيعوا حين يقتضي الأمر ذلك، فخورين في كلتا الحالتين، خادمين لقضيتهم كذلك : رجال أكثر عرضة للخطر، أكثر خصوبة، وأكثر فرحا! إن سرّ تحصيل الخصوبة الكبرى ومتعة الوجود الكبرى، صدقوني! يتطلب أن نحيا بطريقة خطيرة! شيدوا مدنكم عند سفح بركان فيزوف! أرسلوا سفنكم إلى بحار بكر! عيشوا في حالة حرب مع أشباهكم ومع أنفسكم! كونوا قطاع طرق وفاتحين ما لم تستطيعوا أن تكونوا مهيمنين وملاكين، أنتم يا رجال المعرفة! قريبا ستمضي العهود التي قد يكفيكم فيها أن تعيشوا مختفين في عمق الغابة مثل حيوانات الأيل المجفلة! أخيرا ستضع المعرفة يدها على كل ما هو لها : - سترغب في أن تسود وتملك، وستسودون معها وتملكون! .

284 الثقة في النفس

الحاصل أن قليلا من الأشخاص لهم ثقة في أنفسهم : - وضمن هذا العدد الضئيل يتلقاها البعض، بطريقة فطرية، كعمى نافع أو كتعتيم جزئي لعقولهم - (كم سيبصرون لو أنهم استطاعوا أن يروا في عمق أنفسهم!) أما البعض الآخر فعليه أن يكتسبها أولا : فكل ما يفعلونه من خير، من عمل ذي قيمة، من عمل عظيم، يصلح أولا كحجة ضد الشكوك المقيم فيهم : يتعلق الأمر بإفحام هذا [الشكوكي] أو إقناعه، وهذا يتطلب عبقرية تقريبا . إنهم أكبر اللاراضين عن أنفسهم .

285 نجارة

«إنك لن تصلي أبدا، لن تعبد أبدا؛ لن تستريح أبدا في ثقة لانهاية لها - إنك تمنع نفسك هنا من الوقوف أمام حكمة أخيرة، أمام طيبة أخيرة، أمام قوة أخيرة، ومن فكّ رباط أفكارك - لم يعد لك صديق ولا حارس دائم لوحدتك المتعددة - تعيش دون أن تستمتع بمنظر سلسلة من الجبال على قمتها ثلج وفي قلبها توهج، - لم يعد لك منتقم ولا محسن اللمسات الأخيرة - لم تعد هناك حكمة في ما يحدث، ولم يعد هناك حب في ما سيحدث لك، - لم يعد أي مكان للاستراحة مفتوحا لقلبك حيث لن يكون عليه إلا أن يجد فيه دون أن يبحث، إنك تمتنع على سلام أخير، تتشوق إلى العودة الأبدية للحرب والسلام : أتريد أن تتخلي عن كل هذا يارجل التخلي؟ من سيمنحك القدرة على ذلك؟ لأحد كانت له هاته القدرة حتى الآن!» - هناك بحيرة

امتنعت عن الجريان ذات يوم وصممت سداً في المكان الذي كانت تجري منه سابقاً : ومنذ ذلك اليوم لم يفتأ مستوى هاته البحيرة يرتفع . ربما سيمنحنا هذا النوع من التخلي القدرة التي تمكن من تحمّل التخلي ذاته : ربما يكف الإنسان عن الإرتفاع بشكل دائم إلى الأعلى انطلاقاً من حيث يكف عن الجريان في إله .

286 فاصل زمني

هاته أماني : لكن ماذا سيكون حظكم فيها مادامت أرواحكم تجهل الرفعة والوهج وأوقات الفجر جهلاً مطبقاً؟ إني لا أملك إلا أن أذكركم - لاغير! أنتظرون مني أن أبعث الحياة في الأحجار وأجعل من الحيوانات أناساً؟ آه إن لم تكونوا غير أحجار وحيوانات، جُدّوا أو رفيوسكم، أولاً! .

287 متعة العمى

يجب على أفكاري أن تدلني على أين أنا : لا أن تكشف لي إلى أين أسير، قال المسافر لظله . إني أحب تجاهل المستقبل ، ولا أريد أن أستسلم للجزع ولا للطعم المتوقع للأشياء الموعود بها .

288 النبرات العليا للروح

يبدو لي أن أغلبية الناس لا تؤمن إطلاقاً بنبرات عليا للروح إلا إذا تعلق الأمر بلحظات أو بأرباع الساعة على الأكثر - باستثناء هاته الكائنات النادرة التي تعرف مدة أطول من الشعور السامي ، عن تجربة . لكن أن تكون رجل تحميس فريد ، أن تكون تجسيدا لحالة معنوية سامية - فإن هذا لم يكن حتى الآن سوى حلم ، سوى إمكانية محمّسة : والتاريخ لا يعطينا مثلاً ثابتاً من ذلك . ومع ذلك فربما يكون [التاريخ] قد أوجد مثل هؤلاء الرجال - بمجرد أن تصاغ وتوضع مجموعة من الشروط الأولية التي لا تستطيع حتى رمية نرد أسعد الحظوظ أن توجدها . ربما ستعرف هاته الأرواح المستقبلية ، كحالة عادية ، ذاك الذي لم يكن يحدث حتى الآن في أرواحنا إلا أحيانا كاستثناء نشعر معه بقشعريرة : حركة لا تفرق بين العلو والعمق الشديد وبين الإحساس بالعلو والإحساس بالعمق الشديد ، كصعود مستمر على درجات وكاستراحة على السحب في نفس الوقت .

(*) هو في الأسطورة الإغريقية موسيقي تبع زوجته يوربديس إلى «مثنى الأموات» فأجاز له بلوتو (إله الموتى والجحيم) ، وقد سحر بالحانه ، أن يخرجها من ذلك المثنى شرط أن لا ينظر إلى الوراء ، ولكنه فعل في اللحظة الأخيرة ففقدتها .

289 لنرفع المرساة

حين نتأمل كيف يؤثر على كل فرد تبريرةُ الفلسفي الكامل لطريقة عيشه وتفكيره - كالشمس التي تدفئه وتباركه وتخصبه، وهاته الشمس التي لا تسطع إلا له هو تعفيه من الشناء ومن اللوم، تمكّنه من كفاية نفسه بنفسه، تجعله غنيا وسخيا في الغبطة والإحسان، ولها فضل تحويل الشر إلى خير وقيادة كل القوى إلى ازدهارها ونضجها وإلى قلع زؤان الكآبة والغم الصغير والكبير - [حين نتأمل ذلك] لانستطيع أن نمنع أنفسنا من الهتاف بحنين : لو تَخَلَّق كثيرٌ من الشموس الجديدة المشابهة لهاته! يجب أن تكون للرجل الكريه، للرجل التعس، للرجل الاستثنائي فلسفتهم هم أيضا، أن تكون لهم حقوقهم الخاصة وشعاع شمسهم! ليس لأن الشفقة تجاههم هي ما ينقص! - يجب أن ننسى هذا الإيحاء بالتكبر بالرغم مما تعلّمته منه الإنسانية حتى الآن لتَمَرُّسها به منذ أمد طويل - ليس المعرفون والمعزّمون ومانحو المغفرة هم من يجب أن نعيّن لهم! بل ما ينقص هي عدالة جديدة! هو شعار جديد! هم فلاسفة جدد! الأرض الأخلاقية دائرية هي الأخرى! الأرض الأخلاقية لها نقائصها هي أيضا! النقائص لها الحق في الوجود هي أيضا! لا يزال هناك عالم آخر يجب اكتشافه - بل أكثر من عالم واحد! لقد آن الأوان أيها الفلاسفة، فلنرفع المرساة!

290 شيء لا بد منه

«أن نضفي إبداعا فنيّا» على طبعنا - فهذا فن عظيم ونادر! يمارسه الذي يعانق كلّ ما يمنحه طبعه من قوة ومن ضعف! و الذي يعرف بعد ذلك، كيف يدمجه في مشروع فني بشكل جيد يبدو معه كل عنصر مثل قطعة فن وعقل، حتى الضعف تكون له ميزة سحر النظر. هنا زيد كم كبير من طبيعة ثانوية وهناك نُقِصَ جزء من طبيعة أولية : وكل مرة [يتم ذلك] لقاء تمرين يُمارَس بطول أناة ولقاء كدّ يومي. هنا قد أُخْفِيَ قبح لم يمكن حذفه وهناك حُوِّلَ ليتخذ معنى ساميا. كثير من الأشياء المبهمة والعصية على الشكل استُبْقِيَتْ واستُغِلَّت من أجل الرؤية الخلفية للوحة : - وظيفتها هي أن توحى بالفضاءات التي لانهاية لها. وفي النهاية، حين يكتمل العمل، يظهر أن إكراه نفس الذوق هو الذي كان يسود في الأشياء الصغيرة والكبيرة ويهيئها : أن كون الذوق سليما أو غير سليم لا يهم بالقدر الذي كنا نظنه، - يكفي أن يكون ذوقا! - إن الطباع القوية والمحبة للسيطرة هي التي ستلذذ بفرحتها الدقيقة، في مثل هذا الإكراه وهذه التبعية وهذا الإتقان، في إطار قانونها الخاص،

إن شهوة إرادتها العنيفة تخفّ لدى تأمل كل طبيعة منمنمة وكل طبيعة ذُللت وصارت خدومة، حتى حين يكون عليها أن تشيّد قصورا أو تهبيء حداثقا فإنها تنفر من إطلاق العنان للطبيعة. — في المقابل، الطباع الضعيفة التي لم تستطع أن تتمالك نفسها هي التي تكره التبعية للإبداع الفني: تشعر أنها لو تحمّلت إكراهه المر لصارت عامية بسببه: عبيدا يأنفون من أن يخدموا بمجرد أن يخدموا. إن مثل هاته العقول — وقد تكون من الطراز الأول — ترمي دائما إلى إبداء الرأي وإلى تفسير نفسها ومحيطها باعتبارهما طبيعة طليقة — متوحشة، تعسفية، غريبة الأطوار، غير منظّمة ومفاجئة — وحسنا تفعل، لأنها إذاك فقط تحسن إلى نفسها! لأن هناك شيئا واحدا لا بد منه: أن يصل المرء إلى الإعجاب بذاته — سواء بالصنف كذا أو بالصنف كذا من الفن أو من الشعر: إذاك فقط يبدو الإنسان بمظهر محتمل! وكل من كان مستاء من نفسه فهو مستعدّ دائما للانتقام منها: وسنكون نحن ضحاياه، وإن لم يكن ذلك إلا لكي نستطيع تحمل مظهره البشع! لأن رؤية شيء بشع تجعل الإنسان مريضا وكئيبا.

291 جنوة

لقد تأملتُ هاته المدينة خلال مدة طويلة، تأملتُ منازل باديتها وحدائق النزهة فيها، تأملت الضواحي الفسيحة لمرتفعاتها وتلالها المأهولة؛ وفي الأخير لزمّني القول: إنني أرى سيما الأجيال السالفة — هاته البلدة موشاة بصور إنسانية جسورة وسامية. هاته الكائنات عاشت وأرادت أن تبقى حية — هذا ما تنطق به مقارّهم المشيدة والمزخرفة لعدة قرون وليس فقط للساعة المتصرّمة: لقد كانوا مفعمين بالطيبة تجاه الحياة، أخبث ما يكونون تجاه أنفسهم في الغالب. لا أفتأ أرى البناء وكيف يقع نظره على كل ما يُبنى بعيدا عنه أو حواليه، على المدينة، على البحر، وعلى صفوف الجبال، وكيف يعتف الطبيعة ويُدير الغزوات بهذا النظر: يريد أن يدخل كل هذا في مشروعه ويجعل منه، في الختام، ملكه بحيث يصير جزء مكمل له. البلدة كلها مشكّلة بهاته الرغبة الرائعة والشرهة في إثبات الذات بالتملك وبالغنيمة لم يكن هؤلاء الناس كذلك يعرفون حدّا للإكتشافات البعيدة، وفي تعطشهم إلى الجديد وضعوا عالما جديدا بجانب القديم، كذلك في البلد الأصلي كان كل واحد يثور ضدّ كل واحد، كان كل واحد يبتكر طريقة ليعبر عن تفوقه وليضع لاتناهيته الشخصي بينه وبين جاره. كان كل واحد يعيد لنفسه ثانية غزو بلده، وذلك بالتحكم فيه بفكرته المعمارية الخاصة ليحوّل ملامحه إلى دار نعيم لداره هو. إن ما

يسترعي الإنتباه في الشمال هو القانون، هي المتعة الجماعية، هي طاعة القانون، وحين نتأمل معمار المدن : نحزُرُ فيها هذا الميل إلى التساوي وإلى التنسيق الذي كان دليل كل البنّائين . بينما هنا نكتشف في كل منعطف رجلا لذاته يعرف البحر والمغامرة والشرق، رجلا يضايقه القانون والجار ويفقدانه صبره، رجلا ينظر إلى كل الأشياء القديمة والمقامة من قبل نظرة حاسدة؛ إنه يود، بواسطة عفرةٍ خياليةٍ رائعة أن يعيد تشكيل كل هذا، في ذهنه على الأقل، يود أن يباشر العمل فيه، أن يدس فيه شعوره الشخصي، — وإن لم يكن ذلك إلا لمدة ما بعد ظهيرة مشمسة حيث يمكن أن تشبع روحه الشرهة والكثيبة، وحيث لايعرض لنظره أيُّ شيءٍ غريب غير ما يعود له هو.

292 إلى دعاة الأخلاق

إنني لن أعظ قط، لكنني سأسدي هذا النصح للذين يعظون : إن كنتم تحرصون أشد الحرص على إفقاد الأوضاع الإجتماعية والأشياء الجيدة كل شرف وكل قيمة فاستمروا، كالسابق، في إجراءاتها على ألسنتكم باستمرار. أجعلوها في قمة أخلاقكم ولا تتكلموا من الصباح حتى المساء إلا عن سعادة الفضيلة، عن طمأنينة الروح، عن العدالة الثابتة(*) وعن الإنصاف : إذا ظللتُم هكذا فستنتهي كل الأشياء الجميلة بأن تصبح لها شعبية الشارع وعلنيته؛ بيد أنه ابتداء من هاته اللحظة سيصير كل ما هو فيها من ذهبٍ بالياً، بل الأدهى من ذلك : سيتحول كل ما تحويه من ذهب فيها إلى رصاص . في الحقيقة، لقد صرتم أساتذة في الخيمياء المضادة، في الخط من قيمة كل ما هو ثمين! جربوا علاجاً آخر ولو مرة واحدة لئلا تحصلوا على عكس ما تبحثون عنه : أنكروا هاته الأشياء الممتازة، أحرموها من تصفيقات الدهماء، أوقفوا مجراها السهل، إجعلوا منها من جديد حياء بعض الأرواح الوحيدة المستتر [ثم] قولوا : لتكن الأخلاق شيئاً ممنوعاً! ربما تنضمّون بذلك إلى هذا الصنف من الرجال، أعني البطوليين، الذين يهتمون قضيتكم هم وحدهم . لكن يجب أن يكون فيها آنذاك ما يُخشى وليس ما يثير الإشمئزاز، كما كان الأمر آنفا! ألن نقول اليوم بخصوص الأخلاق مثلما كان المعلم إيكهارت يقول : «أدعو الإله أن يخلصني من الإله»؟ .

(*) عدالة يركز مبدؤها على الأشياء نفسها .

293 جونا

إننا نعرف ذلك جيدا! نعرف أن الذي لا يعدو أن يلقي نظرة شبه عابرة في اتجاه العلم، على طريقة النساء، ولسوء الحظ، على طريقة كثير من الفنانين : يحس بشيء دوارٍ ورهيب في الدقة التي يتطلبها العلم في الخدمة، في هذا التشدد في الأشياء الصغيرة كما في الكبيرة، في هاته السرعة في التقييم، في الحكم وفي الذم. وما سيُحَيَّر فيه بشكل خاص هي الطريقة التي يُتَطَلَب بها الأصعب والتي ينفذ بها الأفضل دون طمع في الثناء أو في الامتيازات، بينما لا يُسَمَّع فيه، في مقابل ذلك، كما في الحياة العسكرية، إلا اللوم والزجر القاسيين بنبرة متجبرة - لأن النجاح هنا يعتبر قاعدة والفشل استثناء : غير أن القاعدة هنا، كما في أي مكان آخر، لا تنطق. و«قسوة العلم» هاته، مثل أشكال المجاملة لدى الطبقة الأرستقراطية - تُرْهَبُ غير المتمرسين. لكن الذي تعود عليها لا يرغب في العيش في أي مكان غير هذا الهواء النقي، الشفاف، المقوي، هذا الهواء المشحون بالكهرباء، هذا الهواء الرجولي. في كل الأماكن الأخرى يبدو له الجو غير نقي وغير صالح للتنفس : إنه يخشى ألا يكون الأجود من فنه ذا نفع لأي أحد هناك ولا ذا متعة له هو، يخشى أن يَمُرَّق نصف حياته من بين أصابعه في سوء تفاهم، يخشى أن يوشك على أن يستعمل فيه الاحتياط والإخفاء والاحتياطات باستمرار - كل أنواع الإنفاق الكبيرة واللامجدية في الطاقة! لكن هنا، في هذا العنصر القاسي والصافي، تبقى طاقته كاملة : هنا يستطيع أن يطير! فما الفائدة من الهبوط ثانية إلى تلك المياه العكرة التي يسبح فيها الناس ويتخبطون، مع احتمال أن يجرّ جناحيه في الوحل! - لا! هناك يصعب علينا أن نعيش : فما نملك إن وُلِدْنَا للهواء النقي، نحن أنداد شعاع الضوء الذين نفضل امتطاء جزء من الأثير، مثله، لكن في الاتجاه المعاكس، مسارعين نحو الشمس! هذا مستحيل : - لنفعل إذن ما نستطيعه : لنحمل الضوء إلى الأرض لنكن «ضوء الأرض»! لأجل هذا نحن مجنّحون وسريعون وقساء، نتيجة لهذا نحن رجوليون، بل شديدا والمراس مثل النار. لِيَخْشَنَّا أولئك الذين لا يعرفون كيف يصطلون ولا كيف يستنيرون قرب النار التي هي نحن! .

294 ضد المفترين على الطبيعة

في رأيي أن أولئك الناس الذين يصير كل ميل طبيعي فيهم مَرَضِيَا ويتصرف بطريقة مشوّهة، إن لم نقل مخجلة، هم رجال بغضون - إنهم هم الذين أوحوا لنا بأن

الميل والدوافع الإنسانية كانت منحرفة : إنهم هم المسؤولون عن ظلمنا الكبير لطبيعتنا، ولكل طبيعة ! هناك كثير من الناس يملكون حق الاستسلام لدوافعهم بلطافة ولا مبالاة : وإن لم يفعلوه إطلاقاً فخوفاً من «جواهر» الطبيعة «المنحرف» الوهمي . من هنا تنجم قلة النبالة بين الناس : النبالة التي ستكون ميزتها دائماً ألا نخشى أنفسنا، ألا ننتظر شيئاً مخجلاً من أنفسنا، وأن نظير دون تردّد إلى حيث يقودنا اندفاعنا - نحن العصافير المولودة حرة ! حيثما يقودنا طيراننا فسيكون دائماً في حضن فضاء طليق ومشمس !

295 العادات القصيرة

أحبّ العادات القصيرة وأعتبرها أنفَسَ وسيلة لمعرفة عدد من الأشياء والحالات حتى عمق عذوبتها ومرارتها : طبيعتي كلها مخلوقة لعادات قصيرة بقدر ما أستطيع رؤيته : من أخصصها إلى أعلاها، حتى من جهة متطلبات صحتها الجسدية، وبشكل مطلق . أنا أعتقد دائماً أن هذا يملك ما يرضيني بشكل دائم - فللعادة القصيرة هي الأخرى إيمانُ الشغف، إيمان بالأبدية - وأتخيّلني محسوداً لأنّي عثرت عليها وتعرّفتُ عليها : ومنذ ذلك الحين وهذا الاعتقاد له الفضل في إطعامي صباح مساء وفي نشر اعتدال عميق حوله هو وفي أنا حتى أنني لا أشتهي شيئاً دون أن يكون علي أن أقارن أو أحتقر أو أبغض . يأتي اليوم الذي يكون فيه الشيء الحسن قد أدّى مهمته : فيفارقني، ليس كما لو صار موضع اشمئزاز - لكن بهدوء، وقد شبع مني كما شبع منه، وكما لو وجب علينا عرفانٌ متبادلاً بالجميل، إذن نكون مستعدين لتتصافح لحظة نتوّدع ! والشيء الجديد ينتظرني بعدُ بالباب، وكذلك الاعتقاد - الأحق الرصين، الحكيم الرصين ! - الاعتقاد بأن هذا الشيء الجديد سيكون الشيء العادل، العادل قطعاً . بالنسبة لي فإن الأمر كذلك في الوجبات والأفكار والرجال والمدن والقصائد والموسيقى والعقائد وبرامج اليوم وأساليب العيش . - في المقابل، أبغض العادات الدائمة، وأحس كأن طاغية يقترب وكأنّ جوّي قد تسمّم بمجرد أن تأخذ الظروف منحى من شأنه أن يوجد بالضرورة عادات دائمة : بواسطة وظيفة مثلاً، أو بواسطة حياة في صحبة دائمة لنفس الأشخاص، بواسطة سكنٍ مستقر أو بواسطة نمط واحد من الصحة . نعم، أعرف، في عمق روحي وإرضاءٍ لصحتي الرديئة ولكل ما هو على غير ما يرام فيّ، كيف أوفر لنفسي مئات المسالك الخفية من حيث أستطيع الإفلات من العادات الدائمة . - إن الذي

لا يُطاق دون شك، وما سيكون فظيعة بالنسبة لي هي حياة خالية تماما من العادات، حياة ستتطلب ارتجالا متواليا : - ستكون منفاي وسيبريائي .

296 السمعة الراسخة

كانت السمعة الراسخة ذات فائدة قصوى في الماضي : وحيثما لا يزال المجتمع اليوم محكوما بغرائز قطيعية يكون أنفع لكل فرد أن يُظهر مزاجه كما لو كان، مثل حرفته، لا متغيرا - حتى حين لا تكون الحالة كذلك . فالتناء الذي له أهمية أكثر في كل حالات المجتمع الخطيرة هو - «يمكن أن نعتمد عليه، إنه يبقى عديل نفسه» . إن المجتمع يحس بارتياح إذا استطاع امتلاك أداة أمينة ومستعدة في كل لحظة، في مثل فضيلة فلان وكبرياء فلان آخر وتأمل وشغف ثالث، - فهو [المجتمع] يشرف طبيعة الأداة هاته، يشرف ميلها للبقاء مخلصه لنفسها، يشرف ثباتيتها في الآراء، في الطموحات وحتى في اللافضيلة، ويمنحها أرفع التشريفات . إن مثل هذا التقدير الذي يزدهر والذي ازدهر في الوقت ذاته مع أخلاقية التقاليد يربي «الأمزجة» ويحكم على كل تغير، على كل إعادة تمرن، على كل تفسير جديد وعلى كل تحول في الذات بفقد قيمته . والحالة أنه مهما عظمت ايجابية هذه الطريقة في التفكير فإنها لا تشكل أكثر أنواع الحكم إضرارا بالمعرفة : لأن الذي يُدان وتُفقد سمعته بهذا الفعل هو بالضبط استعداد العالم، دون خشية وفي كل لحظة، لرفض ما كان حتى ذلك الوقت يشكل رأيه الخاص، وبصفة عامة أن يعبر عن حذره بخصوص كل ما قد يميل فيه إلى الجمود . وبقدر ما تكون حالة العالم المعنوية في تعارض مع «السمعة الراسخة» فإنها ستعتبر مخربة، بينما لتحجير الآراء كل الشرف : - تحت لعنة مثل هذه القيم يجب علينا أن نحيا اليوم ! وما أصعب أن تحيا وأنت تشعر حولك وفوقك بثقل أحكام عديد من الألفيات ! من المحتمل أن تكون المعرفة قد أثقلت بالإحساس بالخطأ، ومن المحتمل أن هناك الكثير من ازدراء الذات ومن البؤس الخفي في تاريخ المفكرين .

297 أن نعرف كيف نعارض

كل واحد يعلم اليوم أن القدرة على تحمّل المعارضة دليل بارز على الثقافة . بل يعلم البعض أن الإنسان المتفوق يرغب في المعارضة ويثيرها كي يحصل منها على علامة موازية لظلمه الذي كان يجهله حتى ذلك الحين . بينما أن نعرف كيف نعارض، أن نحافظ على راحة الضمير المكتسبة في معاداة كل ما هو معتاد وتقليدي

ومقدس - فهذا شيء أكثر من تحمل المعارضة وإثارتها، هذا هو الشيء الكبير والجديد والمدهش بشكل جوهري في ثقافتنا، هاته هي خطوة العقل المحرر العظيمة: فمن يعرف ذلك إذن؟-

298 تأوه

أمسكت هذا الفهم على الفور، وبسرعة أخذت أولى الكلمات القبيحة التي حَضَرَتْنِي لأستبقيه. وها هو ذا قد مات من جفاف هاته الكلمات، وبقي معلقا فيها، متأرجحا - ولا أكاد أعرف، حين أتأمله، كيف واثني مثل هاته الفرصة لأصطاد هذا الطائر.

299 ما يمكننا تعلّمه من الفنانين

أي الوسائل نملك لنجعل الأشياء جميلة وفتانة ومشتهاة حين لا تكون كذلك؟ - وأزعم أنها لا تكون كذلك أبدا من تلقاء نفسها! في هذا قد نستطيع أن نتعلم الكثير من الأطباء، مثلا حين يلطّفون المرء أو حين يمزجون الخمر والسكر؛ لكن قد نتعلم أكثر من الفنانين الذين يرمون باستمرار، على العموم، إلى ابتكارات مشابهة وإلى تغلّب مشابه على العقبات. أن نبتعد عن الأشياء إلى الحد الذي تمّحي فيه كثير من جزئياتها، أن ندقق النظر إليها كثيرا كي نراها مرة أخرى - أو ننظر إلى الأشياء من انحراف زاوية معينة - أو نموضعها بحيث لن تعرض نفسها إلا في فتحة وتكون [الأشياء] مستترة جزئيا - أو نتأملها من خلال زجاج ملوّن أو على ضوء المغيب - أو أخيرا أن نمنحها ظاهرا وبشرة لا يكونان شفافين تماما؛ هذا كل ما سيكون علينا أن نتعلمه من الفنانين، مع احتمال أن نكون أحكمّ منهم فيما يخص الباقي. لأن هاته القوة الدقيقة تنتهي لديهم عادة حيث ينتهي الفن وتبدأ الحياة؛ غير أنه فيما يخصنا نحن، لكن شعراء حياتنا، في أدق التفاصيل وفي أكثرها تفاهة قبل كل شيء.

300 مقدمات العلم

هل تعتقدون أن العلوم كانت ستتطوّر وتنمو إطلاقا لو لم يكن في طبيعتها السحرة والخيميائيون والمنجمون والساحرات، الذين كان على وعودهم وأوهامهم في أول الأمر أن تثير عطش وجوع القوى الخفية والمحرومة وتذوّقها الأولي الشهوي؟ ألا ترون أنه قد لزم أن تعطى وعود أكثر مما كان تحقيقه ممكنا حتى يتسنى تحقيق شيء ما فقط في ميدان المعرفة؟ نفس الشيء ينطبق على ما يبدولنا نحن ككثير من

مقدمات العلم وتمارينه التمهيدية ، والتي لم تمارس مع ذلك ولم تجرب باعتبارها كذلك أبداً ، وربما سيبدو الدين كله كتمرين وكمقدمة في نظر عصر لايزال بعيداً : ومن المحتمل أنه لم يكن وسيلة غريبة تمكن بعض الرجال المتفردين من التمتع بالحالة الإلهية التي هي كفاية أنفسهم بأنفسهم وبقوة افتداء النفس التي هي خاصة بالإله . بل أكثر من ذلك - يمكن أن نتساءل - خارج هاته المدرسة وهذا الما قبل - التاريخ الديني ، هل تعلم الإنسان أن يشعر بجوع ذاته وبعطشها ، وأن يجد في ذاته الشبع والإرتواء؟ ألم يلزم برومثيوس ، بنوع من الهذيان ، أن يتخيل نفسه في أول الأمر وقد سرق النور ، وأنه عليه أن يكفر عن هاته الجريمة - لكي يكتشف في النهاية أنه خلق النور برغبته في النور ذاتها ، وأنه لم يكن الإنسان فقط ، بل حتى الإله ، كانا من عمل يديه ، من الطين الذين شكلته يده؟ ما الكل سوى صور من خالق الصور؟ كذلك الهذيان والسرقة والقوقاز والنسر ، وكل Promethia (*) المأساوية لكل الباحثين عن المعرفة؟ .

301 جنون محبي التأمل

يتميز الناس المتفوقون عن الأراذل بما يسمعونهم ويرونه بطريقة لا توصف ، وإنهم لا يرون ولا يسمعون إلا وهم يتأملون - وهذا ما يميز الإنسان عن الحيوان ، مثلما يميز الحيوانات الراقية عن الدنيا . إن العالم يغتنى أكثر باستمرار في نظر الذي يتطور وهو يسمو في أعالي الإنساني ؛ تلقى إليه إغراءات الفائدة المتكاثرة : تزداد كمية إثاراته باستمرار متزامنة مع مختلف أصناف متعته واشمئزازه - [هكذا] يصير الإنسان المتفوق سعيداً أكثر وتعساً أكثر في الوقت ذاته . بينما هو دائماً مرفوق بجنون ما : فهو يعتقد أنه وضع في الحقيقة ، بكونه مشاهداً ومستمعاً ، أمام العرض السمفوني الكبير، الحياة ؛ إنه يسمي طبعه تأملياً دون أن يتنبه لكونه هو نفسه شاعر الحياة كذلك الذي يتتبع تبلورها الشعري - وأنه يتميز دون شك عن ممثل هاته المأساة الذي يزعم أنه رجل الفعل ، بل يتميز ، أكثر من ذلك ، عن المتأمل البسيط المدعو إلى الحفل ليجلس في صدر المسرح . إن Vis contemplativa (**) [أي] النظرة الإستعادية لعمله ، خاصة بالشاعر بكل تأكيد ، كما هي خاصة به أكثر من ذلك ، وقبل كل شيء ، vis creativa (***) التي تنقص رجل الفعل تماماً ، رغم المظاهر

(*) البرومثيوسية . وبرومثيوس في الأسطورة الإغريقية هو من سرق النار من الآلهة ليحمي بها إنساناً صنع من طين . رُبط في جبال القوقاز ينهش نسر كبده إلى أن خلّصه هرقل .

(**) القوة التأملية .

(***) القوة الإبداعية .

ورغم الرأي السائد . إننا نحن المولعون بالتأمل - الرقيقو الطبع ، هم في الواقع من ينتج باستمرار شيئاً لا يوجد بعد : كلية العالم النامية أبداً ، نتج تقديرات ، ألواناً ، أوزاناً ، منظورات ، درجات ، تأكيدات ونفياً . إن هذا الخلف الشعري الذي هو من ابتكارنا يُدرّس باستمرار ويُتمرّن عليه كي يُمثّل من طرف ممثلينا الذين هم الرجال العمليون المزعمون ، كي يجسّد ويخرج من طرفهم بل ويترجم إلى تفاهات يومية . إن كل ما له بعض القيمة في العالم الحالي لا يملكها في ذاته ، لا يملكها من طبيعته - فالطبيعة دائماً بدون قيمة - بل تلقى شيئاً من القيمة يوماً كمنحة ، ونحن هم من كنا المانحين ! نحن هم الذين خلقنا العالم الذي يهتم الإنسان ! - غير أنه ثمة بالضبط تكمن المعرفة التي تنقصنا ، وإن حدث أن استوعبناها في لحظة فإننا ننساها في اللحظة التي بعدها : إننا نجهل أفضل قوة فينا ونقلل من شأن أنفسنا بعض الشيء ، نحن محبّو التأمل - لسنا فخورين ولا سعداء بالقدر الذي كنا نستطيع أن نكون عليه .

302 خطر السعيد جداً

أن نمتلك حواساً فطنة وذوقاً مهذباً ؛ أن نتعود على كل ما هو في الذهن رفيع وممتاز كما نتعود على الطعام الطبيعي المناسب ؛ أن نتمتع بروح قوية ، جريئة وجسورة ، أن نسير في الحياة بخطى ثابتة والعين هادئة ، أن نكون مستعدين لكل شيء بلغ قصاره مثلاً نكون مستعدين لحفلة ، مفعمين باشتهاء العوالم ، البحار ، الناس والمعبودات المجهولين ، أن نصغي لكل موسيقى مرحة كما لو كانت تدل على جوار رجال شجعان ، جنوداً أو بحارة ، تستبدّ بهم الكآبة الأرجوانية للنعمة حتى انهار الدموع خلال الاستمتاع بلحظة التوقف والمتعة القصيرة التي يمنحونها لأنفسهم : منذا لا يودّ أن يكون هذا عافيته وحالته الشخصيتين ! هذه كانت سعادة هوميروس ! حالة ذلك الذي ابتكر للإغريق آلهتهم - ماذا أقول ، الذي ابتكر لنفسه آلهته الخاصة ! لكن لانخفينه بعد الآن : بسعادة هوميروس هاته في الروح نكون أيضاً أقدر مخلوق على المعاناة يمكن مصادفته تحت الشمس ! وبهذا الثمن فقط نحصل على أئمن محارة قذفتها أمواج الوجود على الشاطئ حتى اليوم ! وبامتلاكها نجعل أنفسنا أدق في الألم ، وفي النهاية ، مفرطة في الدقة : لقد كانت سؤرة غضب واشمئزاز كافية لإفساد حياة هوميروس . لنقل أنه لم يعرف حل لغز عبثي بسيط طرحه عليه صيادون شباب ! حقاً ، إن الألغاز البسيطة تشكل خطراً على السعداء جداً ! .

303 كائنات سعيدان

في الواقع إن هذا الرجل ، رغم شبابه ، يتقن ارتجال الحياة ويفاجيء حتى المراقب المحنك : - يبدو في الواقع أنه لا يتعثر ، مع أنه لا يكف عن لعب الجزء الأكثر مخاطرة . نتذكر هؤلاء المعلمين ، مرتجلي فن الأصوات ، الذين يعتقد المستمع نفسه أنه يجب أن يضيف عليهم عصمة إلهية في اليد ، مع أنهم يلمسون الأوتار خطأ هنا وهناك ، مثلاً يحدث لأي إنسان . لكنهم ممتنون ومبدعون بحيث تجدهم مستعدين ، في كل لحظة ، لأن يدجوا النعمة التي يقودهم إليها ، اعتباطاً ، مزاجهم أو نزوة أصبعهم في التركيبة المضمونية مباشرة ، وهكذا يعيشون روحاً ودلالة جميلة في الصدفة . - إننا هنا أمام رجل آخر تماماً ، إنه يفضل جملة في كل ما يباشره وما يعتزم فعله . فما كان محبوباً لديه ، عند الحاجة ، قد قاده من قبل قاب قوسين أو أدنى من الهلاك : ولئن نجا منه فإنه لم يخرج منه بـ «عين مكدومة» فقط . فهل تظنونه تعسا لهذا؟ لقد قرر منذ مدة طويلة أن لا يولي اهتماماً كبيراً لرغباته أو مشاريعه الخاصة . «إن لم أوفق في الحاجة الفلانية ، يقول لنفسه ، فلربما سأوفق في الحاجة الأخرى : وعلى العموم ، لا أستطيع أن أقول إن لم أكن مديناً لخبياتي أكثر منه لأي نجاح . فهل خلقت لكي أكون عنيداً وأحمل قرني ثور؟ إن ما يشكل قيمة وفائدة الحياة ، في رأيي ، يكمن في موضع آخر ، أنفتي ، مثل بؤسي ، يكمنان في موضع آخر . إني أعرف الحياة أكثر لكوني كثيراً ما كنت على وشك فقدها ؛ ولهذا السبب بالذات أعطتني الحياة أكثر مما أعطت أيّاً منكم!» .

304 نهمل ونحن نفعل

في الواقع ، إني آنف من كل هاته الأخلاق التي تقول : «لا تفعل هذا! تبطل! تجاوز ذاتك!» - في المقابل سأطيع ، عن طيب خاطر ، الأخلاق التي تدفعني إلى أن أفعل ، وأفعل مرة ثانية ، مع احتمال ألا أحلم من الصباح حتى المساء وخلال الليل إلا بهذا ، وألا أفكر في شيء وإلا ففي أن أنجح وبأفضل ما يمكنني أن أفعله أنا وحدي! إن الذي يحيا هكذا ينفصل باستمرار عن الشيء الفلاني أو الشيء الفلاني الذي لا يدخل في مثل هاته الحياة : إنه ، دون حقد ولا كره ، يرى اليوم هذا الشيء ينفصل عنه وغداً ذلك ، مثل الأوراق المصفرة التي تزيحها عن الشجرة أدنى هبة غير شديدة : أو أيضاً ، إنه لا ينتبه حتى إلى هذا الانفصال مادامت عينه لا تحدق بشدة إلا في الهدف ، مادام لا ينظر إلا أمامه ، لا إلى الجانب ولا إلى الوراء ولا إلى الأسفل .

«يجب أن يحدد عملنا ما نهمله ؛ نهمل ونحن نفعل» - هكذا يحلوني ، هكذا تقول (mon placitum (*) . لكنني أرفض أن أطمح شعوريا إلى إفقار نفسي ، إني لأحب آيا من هاته الفضائل السلبية - الفضائل التي جوهرها جحود الذات والتضحية بها .

305 السيطرة على الذات

إن هؤلاء الأخلاقيين الذين يحضون الإنسان قبل كل شيء وبالأساس على السيطرة على نفسه يثيرون لديه مرضا شادا : سرعة انفعال دائمة من كل الميول وكل الحركات الطبيعية ، نوعا من الحكمة تقريبا . ومهما يكن الدافع الذي دفعه أو جرّه أو جذبه أو حمّله ، من الداخل أو الخارج - فسيبدو لهذا السريع الانفعال أن سيطرته على نفسه توشك أن تنحلّ : يلزمه ألا يستسلم لأيّة غريزة أو لأي اندفاع طليق ، لكنه يبقى دائما في موقف دفاعي ، مسلّحا ضدّ نفسه ، والعين حادة وحذرة ، حارسا أبديا للقلعة التي أصبحها طوعا . ورغمما عن ذلك فلاشك أنه قد تكون فيه رفعة ! لكن كم هو غير مطاق لدى آخرين منذ ذلك الحين ، كم يصعب عليه إرضاء نفسه ، كم هو مُفَقَّرٌ ومَقْطُوعٌ عن كل مغامرات الروح الجميلة ، بل كذلك عن كل تعليم جديد ! إذ يجب أن نعرف كيف نغيب عن الأنظار لمدة طويلة إذا أردنا أن نتعلم شيئا من الحقائق التي لسنّاها نحن .

306 الرواقيون والأبيقوريون

يختار الأبيقوري الحالة والأشخاص وحتى الأحداث التي تناسب تكوينه الثقافي ، ولأنه إنفعالي إلى أقصى حد فإنه يتخلى عن الباقي كله - أي عن أغلبية الأشياء تقريبا - لأن ذلك سيكون طعاما حارا وثقيلًا بالنسبة إليه . بالمقابل ، يتمرن الرواقي على ابتلاع الأحجار والهوام وأطراف الزجاج والعقارب ، وعلى عدم الاشمئزاز من ذلك ، فمعدته يجب أن تصير غير آبهة بكل ما تُفَرِّغُ فيها صدفةُ الوجود ، إنه يذكر بطائفة عيساوة العربية التي نجدها في الجزائر : ومثل فاقيدي الإحساس هؤلاء يحلو له أن يكون له جمهور مدعو لمشاهدة عرض فقد - حساسيته ، وهو بالضبط ما لا ينصح به الأبيقوري عن طيب خاطر : - في الحقيقة إن لهذا «حديقة» ! قد تكون الرواقية منصوحا بها كثيرا لرجال يرتجل معهم القدر ويعيشون في منتصف عهود قاسية ، عالة على رجال أجلاف ومتقلبين . لكن الذي يتنبأ إلى حد ما بأن القدر سيسمح له

(*) رغبتي .

أن يغزل غزلاً طويلاً فحسناً سيفعل باتخاذ إجراءات أبيقورية : فقد فعله كل رجال العمل الروحي حتى الآن ! ستكون بالنسبة لهم أفدح الخسائر أن يفقدوا انفعالياتهم الرقيقة وأن يتلقوا في المقابل جلد الرواقين الشائك واللاسع .

307 لصالح النقد

يبدو لك في الوقت الراهن كخطأ شيء كنت تحبه في الماضي باعتباره حقيقة أو استلاحة : ترمي به بعيداً عنك إذن وتتصور أن عقلك قد يكون بهذا حقيق نصراً . غير أن هذا الخطأ ربّما كان ضرورياً لك في الماضي ، وقد كنت لاتزال شخصاً آخر - ومازلت شخصاً آخر - كان ضرورياً مثل كل حقائقك «الحالية» ، كان تقريباً كجلد يُخفي ويغلف كثيراً مما لم يكن لك الحق في رؤيته بعد . إن حياتك الجديدة ، وليس عقلك ، هي التي قتلت هذا الرأي القديم لحسابك أنت ؛ إنك لم تعد في حاجة إليه ، وهو ينهار منذ الآن والغبوة تعجّ فيه وتظهر كالهامة في واضحة النهار ، إننا حين نمارس حسنا النقدي فليس في ذلك شيء تعسفي أو شخصي - وغالباً ما يكون هذا على الأقل دليلاً على أن قوى حية فينا تعمل مستعدة لتفجر قشرة ما . إننا ننفي ، يجب أن ننفي ، بقدر ما يريد شيء فينا أن يحيا ويثبت نفسه ، شيء ربّما نجهله ، شيء لانراه بعد ! - فذلك لصالح النقد .

308 تاريخ كل الأيام

ما الذي يصنع لديك تاريخ كل الأيام ؟ تأمل العادات التي تكوّنها : هل هي نتاج تكاسل وجبن صغيرين متعددين ، أم نتاج شجاعتك وعقلك العبقري ؟ مهما يكن تغاير هذين الاحتمالين كبيراً : فمن الممكن أن يُثني عليك الناس نفس الشئ وأن تكون لهم ، فعلاً ، ذا نفس النفع ، بطريقة أو بأخرى . لكن النفع والثناء والمحترمة يمكن أن تكفي الذي لا يريد أن يكون له إلا راحة الضمير - ولن تكفيك أنت ياسابر الكلّي الذي تملك علم الضمير !

309 عن ماهية الوحدة السابعة

أغلق المسافر باباً وراءه بعنف ذات يوم ، توقف وأخذ يبكي . ثم قال : «كم أحقد على هذا النزوع ، على هذا الدافع إلى الحقيقي ، إلى الواقعي ، إلى غير الظاهر ، إلى الأكيد ! لماذا يتعلق بي أنا بالضبط هذا المطارد الغامض والوله ؟ أود أن آخذ قسطاً من الراحة ، لكنه لا يسمح بذلك ! وكم من الأشياء تغريني بغواية الراحة ! بالنسبة

لي ، فإنه لا يوجد في كل مكان سوى حدائق عرميد : من ثم تنتج في القلب غموم وتمزقات جديدة ، باستمرار! لا يزال علي أن أتقدم ، أن أرفع هاته الرجل المتعبة ، هاته الرجل الجريحة ؛ ولأنه علي أن أتقدم فإنه لا يكون لي إلى الأشياء الجميلة التي لم تستطع استبقائي سوى نظرة مليئة حنقا - لأنها لم تستطع استبقائي !» .

310 الإرادة والموجة

يالها من شراهة تلك التي تتقدم بها هاته الموجة ، كأنها يتعلق الأمر ببلوغ شيء ما ! بأية سرعة مقلقة تنساب في أعماق زوايا الشقوق الصخرية ! يبدو أنها تريد أن تسبق أحدا إليها : يبدو أن شيئا نفيسا مخبأ فيها ! - وهاهي ذي ترجع بشيء من الثاقل ، وهي لا تزال كلها بيضاء من الانفعال - ترى هل خاب أملها ؟ هل وجدت ضالتها ؟ هل تتصنع الخيبة ؟ - لكن موجة أخرى تقترب الآن ، إنها أكثر شراهة وشراسة من الأولى وروحها تبدو مليئة بالعجائب ، كلها طمع في الكنوز المستعبدة ! هكذا تحيا الأمواج - هكذا نحيا نحن ، نحن الكائنات المريدة ! لأقول عن ذلك أكثر . ماهذا ؟ أتخذرتني ؟ ممتلئات حنقا علي أيتها المسوخ المتعجرفة ؟ أتخشين أن أفشي سرَّ كنَّ كاملا ؟ طيب ! كنَّ إذا حنقات ! كوِّنْ حائطا بيني وبين الشمس بنصب أجساممكن الهائلة الضاربة إلى الخضرة أعلى ما تستطعن - كما تفعلن الآن ! في الحقيقة ، لم يتبق من العالم شيء سوى الأخضر الشفقي ، وومضات خضراء . ارقصن على هواكن ، أيتها الجميلات الصاخبات ، اصرخن من اللذة ومن الخبث - ومن جديد اغطسن ، وفي قعر الهوة أفرغن زمرداتكن ، وفوق ذلك ألقين تخريباتكن البيضاء اللامنتهية من الرغبة والزبد - أصفق لكل لأن الكل يلائمك كذلك ، أنتن اللاتي أدين لكنَّ بكل شيء : فكيف أغدر بكن يوما ؟ لأنني - إعلمن هذا جيدا - أعرفكن أنتن وسركن ، أعرف عرقكن ! ألسنا ، أنا وأنتن ، من نفس العرق الواحد ! أليس لنا ، لي ولكُنْ ، نفس السرَّ الواحد ! .

311 ضوء منكسر

إننا لأنظهر الشجاعة دائما ، وحينما نتعب يشتكي أكثر من واحد منا كالتالي : «إنه لمن الصعب الأنسيء إلى الناس - آه ، ماضورة هذا ! ما الفائدة من أن نحيا مختبئين منذ اللحظة التي لا نريد فيها قط أن نخفي ما يسبب الفضيحة ؟ ألن يكون أكثر حكمة أن نعيش داخل المعمة ونُصلح في شخص كل واحد الذنوب التي يجب أن تُرتكب ، التي يجب أن نرتكبها في حق كل الناس ؟ الأنحرق مع الخرق ،

المغرور مع المغرورين ، المتحمس مع المتحمسين ؟ ألن يكون ذلك عادلا إذا تأملنا اختلافنا الحاد عن المجموع ؟ أليست حركتي الأولى هي أن أطلب الترضية - حين أسمع افتراءات الغير عليّ ؟ هذا شيء حسن ! - يبدو أنني أقول لهم - ليس لي قاسم مشترك معكم ، ولدي الكثير من الحقائق في صالحني : لكم الخيار في أن تنعموا بالتسلي على حسابي قدرما تستطيعون ! هاته نقائصي وزلاقي ، هذا جنوني ، غياب ذوقي ، ارتباك ، دموعي ، غروري ، وسري ، سر البوم ، وهاته تناقضاتي ! هذا يثير السخرية ! اضحكوا إذن واستمتعوا ! لن تشور ثائرتي ضد قانون وطبيعة الأشياء اللذان يريدان أن تكون النقائص والأخطاء مسلية ! - لاريب أنه كانت هناك في الماضي عهود «أجمل» حيث كان بإمكاننا ، لدى فهم فكرة جديدة شيئا ما ، أن نشعر بأنه لاغنى عنا فنهبط إلى الشارع لننادي على كل واحد : «هذا هو! ملكوت الله قريب منكم ! - بينما أنا لن أنتبه إلى غيابي إذا غبت . فلا أحد منا لا غنى عنه !» - لكننا ، كما أسلفت ، لانفكر هكذا حين نكون شجعانا : إننا لانفكر في ذلك .

312 كَلْبَتِي

لقد أطلقت اسما على ألي وأناديه «كَلْبَةً» - إنها وفيّة ، فضولية ، قليلة الحياء ، مسلية وذكية ، مثل أي كلب آخر - وأستطيع أن أوبخها وأمرر عليها سخطي مثلما يفعل آخرون مع كلابهم ، مع خدَمهم ومع زوجاتهم .

313 لالوحة شهيد قط

سأفعل مثل رافائيل ولن أرسم لوحة شهيد قط . إن هناك قدرا كافيا من الحقائق السامية حتى لانذهب للبحث عن السمو هناك حيث يعيش مع القسوة كما لو مع أخته : ولن تجد كبريائي أيّ رضى في أن تجعل مني سفاحا ساميا .

314 حيوانات أليفة جديدة

أريد أن يكون أسدي ونسري حوالّي حتى تأتيني أخبار وتوقعات بالحالة القوية أو الضعيفة لقوّتي في كل لحظة . هل يجب علي اليوم أن أخفض عيني تجاههم وأخشاهم ؟ وهل ستعود الساعة التي يرفعون فيها النظر تجاهي من الخشية ؟ .

315 عن ساعة الوفاة

العواصف خطري : فهل لي عاصفتي التي سأستسلم لها ، مثلما استسلم أولفير كرومويل لعاصفته؟ أم سأنطفئ كمشعل لا ينتظر أن تطفئه الريح ، لكنه تعب وشبعان من نفسه — كمشعل مستهلك؟ أم : سأنتهي بإطفاء نفسي حتى لا أستهلك؟

316 رجال نبويون

إنكم لا تشعرون إطلاقاً أن الرجال النبويين يتعرضون لمعاناة كبيرة : تعتقدون بكل بساطة أنهم تلقوا منحة «جميلة» وتودون أن تمتلكوها أنتم كذلك — لكن سأعبر هنا بالمثل . كم تعاني الحيوانات من الجو ومن السحب المشحونة بالكهرباء! نرى أن بعض الأصناف لها قدرة نبوية بخصوص الزمن ، كالقردة مثلاً (كما نستطيع أن نلاحظه حتى في أوربا وليس فقط في معرض الوحوش ؛ لكن في جبل طارق كذلك) . لانشك في أنه حتى لديها — فإن الأنبياء هي آلامها! حين تتحول كهرباء عالية موجبة فجأة ، وتحت تأثير سحابة تقترب دون أن تكون مرئية قبل وقت طويل ، إلى كهرباء سالبة ويتهيا تغير في الجو ، فإن الحيوانات تتصرف كما لدى اقتراب عدو وتتهيا للدفاع أو للهرب : انها تتخفى في الغالب — ذلك لأنها تدرك الجو الرديء لا فقط باعتباره كذلك ، لكن باعتباره العدو الذي قد شعرت بيده .

317 نظرة استعادية

إننا لانعي التفخيم الخاص بكل مرحلة من الحياة إلا نادراً ، مادامنا منغمسين فيه ، ونظن على العكس أن الأمر قد يتعلق هنا بالحالة الوحيدة الممكنة لنا منذ ذلك الوقت ، الوحيدة المعقولة ، الوحيدة التي ليست pathos^(*) بل هي كلها ethos^(**) — حتى نتكلم ونميز مثل الإغريق . اليوم أثارت في بعض أنغام الموسيقى شتاءً ومنزلاً ، وفي نفس الوقت ، وجوداً شديداً النسيكية وإحساساً بحياتي آنذاك : — كنت أعتقد أنني سأحيا كذلك إلى الأبد . ولكنني في الوقت الحاضر أفهم أن ذلك لم يكن سوى تفخيماً ، سوى عشقاً ، مثل هاته الموسيقى المتهورة والمواسية بتحسّر — هذا النوع من العشق الذي يجب أن نمتنع عن التوفر عليه طيلة سنين أو أباد : [لأننا] سننتهي بأن نصير «آخرين» بافراط بالنسبة لهذا الكوكب .

(*) تفخم

(**) مزاج شعب .

318 حكمة في الألم

يوجد في الألم من الحكمة قدر ما يوجد في المتعة : وهو، مثلها، ينتمي إلى القوى الأساسية لحفظ النوع . ولو لم يكن كذلك لما تئ هاته القوة منذ أمد طويل : وكونه يؤدي ليس حجة ضده، فتلك طبيعته . إني أسمع في الألم أمرَ قبطان السفينة : «انشروا الأشرعة!» إن معرفة إعداد الأشرعة بألف طريقة هي ما ينبغي للبحار الجريء «الرجل» أن يتمرن عليه، ودون ذلك سيكون مصيره قد حُدد بسرعة، ولن يلبث البحر أن يبتلعه . ينبغي لنا أن نعرف كيف نحيا بطاقة مخفضة . فبمجرد ما يعطي الألم إشارة إنذاره فقد أن أوان تخفيض الطاقة - [فهناك] خطرا كبيرا، عاصفة تقترب، وحسنا نفعل أن نقوم بما من شأنه أن يجعل «الخسارة» أقل ما يمكن . حقيقة أنه يوجد رجال يطيعون الأمر النقيض عند قرب حدوث ألم كبير، وهم لا يظهرون كثيرا من الأنفة، من المزاج العدواني ومن السعادة إلا حين تهب العاصفة : أجل إنهم مدينون بأسمى لحظاتهم للألم نفسه . إنهم الرجال البطوليون، رسل ألم الإنسانية الكبار : إنهم بعض الرجال النادرين الذين يحتاجون بالضبط إلى نفس التمجيد الذي يحتاجه الألم بصفة عامة - و، في الحقيقة، لانستطيع أن نرفضه لهم! إنهم القوى الأساسية لحفظ النوع وتطويره، وإن لم يكن ذلك سوى بكونهم يقاومون لين العيش وبكونهم لا يخفون اشمئزازهم من هذا النوع من السعادة .

319 باعتبارنا مترجمي تجاربنا المعيشة

هناك نوع من النزاهة لم يعرفه أي من منشئي الديانات ولا من أمثالهم : إنهم لم يجعلوا من سبر تجاربهم المعيشة مشكلة ضميرية . «ما الذي عشتُه إجمالا؟ ما الذي كان يحدث في هاته اللحظة فيّ أنا وحولي؟ هل كان عقلي واعيا بما فيه الكفاية؟ هل كانت إرادتي تعرف أن تقاوم خداع الحواس، هل كانت تُظهر الشجاعة في رفض الأوهام؟» لأحد منهم سأل نفسه بهذا الشكل، واليوم أيضا، لأحد من العقول الدينية الجميلة يفكر فيه : إنهم متعطشون بالأحرى إلى أشياء تناقض العقل، ولا يريدون أن يتحملوا كبير عناء لإرواء هذا العطش - وهكذا يحدث أن يعيشوا «معجزات» و «نهضات» وأن يسمعوا أصوات الملائكة الصغار! لكننا نحن المتعطشون إلى العقل، نريد أن نتقصى تجاربنا المعيشة بمثل دقة تجريب علمي، ساعة بساعة، يوما بيوم! نريد أن نكون نحن أنفسنا تجريباتنا، [أن نكون] مواضيع تجاربنا.

320 لحظة الالتقاء

أ : لم أعد أفهمك تماماً؟ تبحث؟ أين إذن؟ وسط هذا العالم، الذي يعتبر الآن واقعياً، ستوجد لك زاوية حيث ستوجد نجمتك؟ أين إذن سيكون مكانك تحت الشمس بحيث تستمتع، أنت أيضاً، بفائض من العيش الرغيد، وبحيث يَبْرُر وجودك؟ ألا يجد كل واحد العلاج إلا لنفسه - هذا يبدو أنك تقوله - وأن يكف نهائياً عن التحدث عن المنفعة العامة، عن الانشغال بمصير الغير ومصير المجتمع! - ب : طموحي أكبر من هذا، وإني لم أَعُدُّ باحثاً، ما أريده هو أن أخلق لي شمسا شخصية.

321 حذر جديد

أُغفونا، رحمة بنا، من التفكير باستمرار في أن نعاقب، أن نؤنب، أن نؤدب! فنادراً ما نصل إلى تغيير فردٍ معزول : وحين ننجح في ذلك، فربما سيكون نجاح شيء آخر بالتدريج : نحن أيضاً سنكون قد تغيرنا به! لنحرص بالأحرى على أن يعادل تأثيرنا على كل ما سيأتي تأثيره هو ويتفوق عليه! لأنصارٍ عن في معركة مباشرة! - هذا الذي يؤول إليه كل تأنيب، كل عقاب، وكل رغبة في التحسين. لكن لنترفع نحن أنفسنا إلى أعلى! لنزين صورة مثلنا الأعلى بالألوان الدائمة الإشراق! لنعتم الأخرى بضوئنا! لا! لا نريد قط أن نصير نحن أيضاً معتمين بسببه، على غرار كل المعاقبين وكل الساخطين! لنتنح جانباً! لنصرف النظر!.

322 مثل

إن المفكرين الذين حسَبَهم تتحرك النجوم بشكل دوري ليسوا هم الأعمق : فالذي ينظر في نفسه كما في داخل كون هائل ويحمل في ذاته مجرات يعرف أيضاً كم هي لامتظمة كل المجرات : فهي تؤدي حتى عمق فوضى الوجود ومتاهته.

323 حظ في القدر

لقد مَنَحَنا القدر أرفع إمتياز حين سمح لنا بأن نُقَاتِلَ إلى جانب أعدائنا إلى حين من هنا فإننا مهَيَّأون لنصرٍ كبير.

324 In media vita (*)

لا! لم تخيب الحياة ظني! على العكس، فقد وجدتها، سنة عن سنة، حقيقية أكثر، مرغوبة أكثر، وغامضة أكثر - إنطلاقاً من اليوم الذي جاءني فيه المحررة الكبرى، فكرة أنه مسموح لنا بأن نرى في الحياة تجريباً للمعرفة - لاواجبا، لاقدرا، لا مغالطة! - وفيما يخص المعرفة نفسها: قد تكون بالنسبة للغير شيئاً آخر، شيئاً مثل فراش الراحة، أو الطريق المؤدية إلى فراش للراحة، أو تسلية، أو وقت فراغ - بالنسبة لي، إنها عالم من المخاطر ومن الانتصارات تستطيع فيه الأحاسيس البطولية أن تمارس رقصاتها ومرحها. «الحياة كوسيلة للمعرفة» - بهذا المبدأ في القلب نستطيع لا فقط أن نحيا بشجاعة، بل كذلك أن نحيا بمرح ونضحك بمرح! ومنذا إذن سيمهر في أن يضحك جيداً ويحيا جيداً إن لم يمهر أولاً في أن يحارب وفي أن ينتصر؟.

325 ما يمت إلى العظمة

من سيستطيع أن يصل يوماً إلى العظمة إن لم يستشعر في نفسه القوة والإرادة في أن يسبب آلاماً كبيرة؟ فأن تعرف كيف تعاني هو أبسط الأشياء: وغالبا ما صارت نساءً ضعيفات، بل وحتى بعض العبيد، أساتذة في ذلك. لكن أن لاتستسلم أبداً للكآبة وللايقين الداخليين بفعل التسبب في معاناة كبيرة وسماع صيحتها، - هو ذا الشيء العظيم، هو ذا ما يمت إلى العظمة.

326 الألم وأطباء الروح

إن في كل دعاة الأخلاق، كما في كل اللاهوتيين، وقاحة مشتركة: إنهم يتوحدون إقناع الناس أنهم في أشد المرض وأنه لاغنى لهم عن علاج أخير، صارم وجذري. ولأن الناس كلهم، دون استثناء، قد كانت لهم أذن صاغية لمثل هؤلاء المعلمين لعدة قرون فقد انتهى شيء من هاته الخرافة التي تقول أنهم في أشد المرض بالتسرب إليهم: بحيث أنهم صاروا منذ الآن مهينين أكثر للتأوه، لأن لا يجدوا في الحياة شيئاً جميلاً، ولأن يتخذ هؤلاء وأولئك مظاهر حزينة كما لو كانت الحياة لا تطاق. في الحقيقة، إنهم جد واثقين من حياتهم، إنهم يحبونها حباً جماً، - وكلهم حيّل لا توصف وأفكاراً دقيقة لتحطيم العنصر الكريه وإزالة شوكتة من الألم ومن الشقاء. يبدو لي أننا نعتقد

(*) في خضم الحياة.

أنه يجب علينا أن نتحدث دائماً عن الألم وعن الشقاء بشكل مبالغ فيه، كما لو كانت المسألة هنا مسألة لياقة لامسألة مزائدة: إننا نحرص على أن نكتم غمداً وجود علاجات عدة للألم، مثل المخدرات، مثل السرعة الحمّية للأفكار، مثل وضع هادىء أو مثل ذكريات، نيات، آمال، جميلة كانت أو قبيحة، ومثل كل أشكال الأنفة والشفقة التي لها ميزة ممارسة تأثير مخدّر تقريباً: بينما تشكل أقصى درجات الألم كثيراً من حالات العجز. إننا نمهر في سقي مراراتنا بالعذوبة، خاصة مرارات الروح: إننا نتوفر على موارد في شجاعتنا وسمونا، وكذلك في جنون الخضوع والاستسلام النبيل. إننا لانشعر بخسارة على أنها خسارة إلا مدة ساعة أو تكاد: يحدث، في نفس الوهلة، أن تنزل علينا، بشكل من الأشكال، هبة من السماء - قوة جديدة مثلاً: وإن لم تكن سوى فرصة جديدة للقوة! كم من العروض الخيالية قدّم دعاة الأخلاق في موضوع «بؤس» الرجل الشرير! كم من الكذب قدموا في موضوع شقاء الرجل الشهواني! - نعم، كذب هي الكلمة المناسبة هنا: لا ريب أنهم قد علموا بنعمة مثل هؤلاء الرجال الوفيرة لكنهم كتموها منهجياً لأنها تُشكّل دحضاً لنظريتهم التي تريد أن لا تبدأ أية نعمة إلا مع اندثار الهوى وسكوت الإرادة! أما فيما يخص العلاج الموصوف من طرف أطباء الروح هؤلاء واحتكارهم لعلاج صارم وجذري فيمكننا أن نتساءل: هاته الحياة التي هي حياتنا، هل هي مؤلمة ومزعجة حتى تكون مفيدة مبادلتها بطريقة عيش رواقية ومحجرة؟ إننا لانشعر بأننا مرضى بما فيه الكفاية حتى نلغي أنفسنا مرضى من النوع الرواقى.

327 الحمل محمل الجد

العقل لدى الأغلبية آلة مُربكة، كثيبة وصارّة، يأسون من تشغيلها: يتحدثون عن «حمل الأشياء محمل الجد» بمجرد ما يتبهاوا، بواسطة هذه الآلة، لأن يعملوا ويفكروا جيداً - آه! كم من جهود مضيئة سيتطلبها منهم فعل التفكير جيداً! إن الإنسان، الحيوان المحبوب، يفقد ابتهاجه كل مرة، فيما يبدو، حين يشرع في التفكير جيداً! إنه يصير «جدياً»! و«حيث لا يسود إلا الضحك والمرح يفكر الناس عشوائياً» - هذا هو حكم هذا الحيوان الجدّي المسبق بخصوص كل «علم مرح». طيب! لنبيّن أنه حكم مسبق!.

328 معرفة الإضرار بالغباوة

لاشك أن الإيهان بالطبيعة الذميمة للأنانية، الذي نُودِيَ به بكثير من التصلب والإقناع، قد أضر بالأنانية على العموم (الفائدة الغرائز القطيعية! مثلما سأردده مئات المرات)، خاصة بفعل تجريده لها من كل راحة ضمير وحثه على البحث فيها عن المنبع الأساسي لكل شقاء. «أنانيتك هي كارثة حياتك» هذا كان مضمون كل وعظ طيلة ألفيات: الشيء الذي أضر بالأنانية، كما قلت، وحرّمها من كثير من الروح، من الرقة، من الجمال: الشيء الذي خبل الأنانية وقبحها وسمّمها! - لقد عرف القدم الفلسفي، بالمقابل، كيف يكشف منبعاً رئيسياً للشقاء من طراز مختلف تماماً: فابتداءً من سقراط لم يكلّ المفكر من المناداة بما يلي: «إن طيشكم وغباوتكم، إن طريقتكم الوديعة في العيش حسب القوانين، إن تبعيتكم لرأي الجار، هي سبب كونكم نادراً ما تصلون إلى السعادة، - إننا نحن المفكرون، باعتبارنا مفكرين، هم السعداء أكثر» لانبثقت هنا عن معرفة إن كانت لهذا الوعظ ضدّ الغباوة أسباب أفضل من أسباب الوعظ ضدّ الأنانية: الشيء الأكيد هو أنه [الوعظ] قد جرّد الغباوة من راحة الضمير: - لقد عرف أولئك الفلاسفة كيف يضرّون بالغباوة!.

329 فراغ وبطالة

هناك همجية خاصة بدم «البشرة الحمراء» في التعطش إلى الذهب لدى الأمريكيين: وقد بدأت الآن مسارعتهن إلى العمل بلا انقطاع، - رذيلة العالم الجديد بحصر المعنى - تُزبِرُ أوربا القديمة عن طريق العدوى وتنشر فيها عقماً عجيباً في العقل. فالناس يشعرون فيها، منذ الآن، بالخجل من الراحة: [و] التأمل الطويل يسبب الندامة تقريباً. لم يعد الناس يفكرون إلا والساعة في اليد، كما لايفطرون إلا والنظر مركز على نشرات البورصة - إن الناس يعيشون كشخص «قد يفوته» شيء ما باستمرار. «أن نفعل أي شيء عوض لا شيء» هذا المبدأ هو أيضاً جبل صالح لخنق كل ثقافة وكل ذوق رفيع. وكذلك تموت عياناً كل الأشياء بمسارعة الناس الذين يعملون، كذلك يموت الإحساس بالشكل في ذاته، يموت السماع والنظر إلى نغم الحركات. الدليل على ذلك هي هاته الدقة الفجة التي يطالب بها الناس في كل مكان في الوقت الحاضر، في كل الحالات التي يود فيها الإنسان، لمرة واحدة فقط، أن يكون نزيهاً مع الناس، في الاتصالات مع الأصدقاء، مع الناس، مع الأطفال،

مع الأساتذة، مع التلاميذ، مع الرؤساء ومع الأمراء - لم يعد للناس الوقت ولا الطاقة للتصرفات الاحتفالية، للمنة مع بعض الموارد، لدأب الحديث كله ولكل Otium (*) بصفة عامة. لأن الحياة في مطاردة الربح ترغم [الناس] دائماً على إجهاد العقل، في حين أننا ننشغل دائماً بأن نخفي، بأن نتحايل أو أن نحزر بعض الامتياز: إن الفضيلة الأساسية الآن هي أن نفذ شيئاً في وقت أقل من الذي سينفذه فيه [شخص] آخر. وهكذا نادراً ما تبقى ساعات تكون فيها النزاهة مسموحاً بها: غير أن الناس يجدون أنفسهم، في مثل هاته الساعات، متعبين ويودّون ليس فقط أن «يسترخوا» ولكن أيضاً أن يستلقوا بسعة وببطء. و الرسائل تحرّر الآن طبقاً لهذا الميل: رسائل سيكون أسلوبها وروحها دائماً «علامة العصر» الكاشفة بدقة. لئن كانت لاتزال هناك بعض المتعة في الحياة الجماعية وفي الفنون فهي من نوع تلك التي يحتفظ بها لأنفسهم عبيد خيلتهم السخرة. ياله من ألم تواضع «الفرحة» هذا لدى أناسنا المثقفين والجاهلين! ياله من ألم هذا الشك المتنامي بخصوص كل فرحة! إن العمل واثق منذ الآن أن راحة الضمير كلها ستكون بجانبه: فالميل إلى الفرحة، يسمى الآن «حاجة للراحة» وقد بدأ الإحساس به كموضوع مخجل. «يجب أن نفكر في صحتنا» - هكذا يعتذر الناس حين يضبطون في حالة تلبس أثناء نزهة في البادية. أجل، يحتمل أن نصل إلى عدم الاستسلام لميل إلى la vita contemporanea (***) (أي إلى الذهاب للتنزه مع الأفكار والأصدقاء) دون إحساس بالذنب وآزدراء للذات. - طيب! فيما مضى، كان العكس تماماً: كان العمل هو الذي يجلب الإحساس بالذنب. فقد كان الرجل النبيل الأصل يخفي عمله حين تضطره الحاجة للعمل. [و] كان العبد يعمل متملكاً بشعور أن يعمل شيئاً مستقبلاً في ذاته: ال «فعل» ذاته كان شيئاً مستقبلاً. «النبيل والشرف وحدهما يُقبلان في Otium وفي bellum (***)»: هذا ما كان ينادي به صوت الحكم المسبق القديم.

330 استحسان

لا يحتاج المفكر لا إلى الاستحسان ولا إلى التصفيفات شريطة أن يكون واثقاً من كونه سيُسرّ بنفسه: لكن هذا هو ما لن يستطيع الاستغناء عنه. وهل هناك، فضلاً عن ذلك، رجال يستطيعون أن يستغنوا عنه مثلما يستطيعون الاستغناء عن أي نوع من الاستحسان العام؟ أشك في ذلك: وحتى فيما يتعلق بالرجال الحكماء،

(*) تبطل

(**) الحياة التأملية.

(***) حرب.

فطاسيت الذي لا يشتبه في كونه لايفتري على الحكماء يقول : -quando etiam sapien-
(*) tibis glorie cupido novissima exuiter - الشيء الذي يعني ، بالنسبة له :
أبدا .

331 أصم ولا مذهولا

كان الناس فيما مضى يحاولون أن يجعلوا لأنفسهم سمعة : وهذا لن يكفي في
الوقت الحاضر وقد صارت السوق شاسعة جدا ؛ - ينبغي أن يكون ذلك ضجيجا .
والنتيجة هي أن حناجر جميلة تزعق هي كذلك ، وأن أفضل السلع تُعرض بأصوات
مبحوحة : فبدون صياح السوق ، بدون بحة ، لن يُعترف بأية عبقرية منذ الآن . -
بئس هذا العهد بالنسبة للمفكر ، عليه أن يتعلم كيف يجد صمته بين ضجيجين وأن
يقلد الأصم حتى يصير أصم فعلا . ومالم يتعلم ذلك فإنه يوشك ، ولاريب ، أن
يموت من الجزع ومن الصداع .

332 الوقت العصيب

لاشك أنه قد كان لكل فيلسوف وقت عصيب فكر فيه [هكذا] : سأكون ذا
شأن قليل إن لم يصدق الناس حججي الرديئة كذلك ! - وحدث إذاك أن مرّ
عصفور محتال بالقرب منه مزققا : « لأهمية لك ! لأهمية لك ! » .

333 ماذا يعني أن نعرف

قال (**) Non ridere non Lugere, neque detestari, sed intelligere!
سبينوزا بهاته الطريقة البسيطة والرائعة الخاصة به . ومع ذلك ، فما هذه intel- (***)
ligere في العمق إن لم تكن الشكل ذاته الذي من خلاله تصبح الثلاثة الأخرى
ملموسة لنا على الفور؟ [إن لم تكن] نتيجة هاته الدوافع المختلفة والمتناقضة التي هي
إرادة أن نهزأ ، أن نتحسر ، أو أن نُشنع؟ لقد وجب ، قبل أن يكون أي فصل من
المعرفة ممكنا ، أن يُظهر كل واحد من هاته الدوافع ، قبلها ، رأيّه الجزئي حول
الموضوع أو الحدث ؛ ثم حدث خلاف ، لاحقا ، بين هاته الجزئيات ، ومن ثم تكون
بين الدوافع الثلاثة أحيانا حالة متوسطة ، أحيانا هدوء ، وأحيانا تنازل متبادل ،

(*) حتى الحكماء حين يرغبون في المجد يتخلون عن الرغبة الأخيرة .

(**) ألا نسخر ، ألا نتحسر وألا نبغض ، ولكن أن نعرف .

(***) المعرفة .

يكون نوع من العدالة والميثاق بينها : إذ بواسطة العدالة والميثاق تستطيع هاته الدوافع الثلاثة أن تثبت نفسها في الوجود وتحافظ على الصواب بشكل متبادل . إننا نحن الذين لانتبه إلا للمشاهد الأخيرة من المصالحة ، لتصفيات الحساب الأخيرة من هذا التسلسل ، نظن بفعل هذا أن intellegere تشكل شيئاً مُصالحاً ، عادلاً وخيراً ، شيئاً مضاداً للدوافع بشكل أساسي : بينما لايتعلق الأمر سوى بتصرف معين فيما بين الدوافع . لقد اعتبرنا ، خلال فترات طويلة ، أن الفكر الواعي هو الفكر بالمعنى المطلق : [و] ابتداء من الآن فقط تبدو لنا الحقيقة واضحة للعيان بأن الجزء الأكبر من نشاطنا الذهني يحدث دون أن نعيه أو نحس به : لكنني أدرك أن هاته الدوافع التي تتصارع فيما بينها بشكل متبادل ستصير محسوسة تماماً وستضر إحداها بالأخرى : - وفي هذا قد يجد هذا الإنهاك البالغ والفجائي الذي يحدث لدى كل المفكرين سببه (الإنهاك في ساحة المعركة) . أجل ، ربما كان في داخلنا ، الذي هو في صراع ، بطولاً مختبئة ، لكن ليس فيه بالتأكيد شيء إلهي ، شيء يبقى في الذات إلى الأبد ، كما كان سبينوزا يتصوره . إن الفكر الواعي ، خاصة فكر الفيلسوف ، هو أكثر أنواع الفكر تجرداً من القوى ، ولهذا أيضاً فهو ، نسبياً ، نوع الفكر الأكثر رقة وهدوء : وهكذا يمكن أن يسيء الفيلسوف بالضبط فهم طبيعة المعرفة بسهولة بالغة .

334 أن نتعلم أن نحب

هذا ما يحصل لنا في الميدان الموسيقي : ينبغي قبل كل شيء أن نتعلم كيف نسمع حركة الأقدام [في الرقص] ، كيف نسمع لحننا ، أن نعرف كيف نميزه بالسمع ، كيف نتبينه ونعزله ونحدده باعتباره حياة في حد ذاته : ثم يلزمنا مجهود واستعداد لتحملة رغم غرابته ، يلزمنا أن نتحلى بالصبر إزاء نظره وتعبيره ، وبالحنان إزاء ما هو فريد فيه ؛ - تأتي في الأخير اللحظة التي نعتاده فيها ، ننتظره فيها ، نحس فيها أننا سنفتقده إن غاب ؛ ومنذ هاته اللحظة لا يكف عن ممارسة إكراهه وسحره علينا حتى يجعل منا عشاقه المتواضعين والمفتونين الذين لا يتصورون أن في العالم شيئاً أجمل منه ، ولا يرغبون في أكثر منه ، ولا في شيء غيره هو . - بيد أنه ليس في الموسيقى فقط يحصل لنا هذا : فبهاته الطريقة بالضبط تعلمنا أن نحب الأشياء التي نحبها الآن . إننا ننتهي دائماً بأن نُجازي على استعدادنا ، على صبرنا ، على عدالتنا ، على حناننا تجاه الغرابة ، بحيث تنكشف الغرابة شيئاً فشيئاً وتهب لنا نفسها كجمال جديد لا يوصف : - هنا يكمن امتنانها لكرم ضيافتنا . إن الذي يجب نفسه لن يكون قد

وصل إلى ذلك إلا من هاته الطريق : ليست هناك طريق غيرها . فالحب أيضا يجب أن يُتَعَلَّم .

335. لتحي الفيزياء

كم يوجد من الرجال الذين يتقنون الملاحظة ! ومن بين النادرين الذين يقدرّون على ذلك - هل يوجد من يستطيعون أن يلاحظوا أنفسهم ؟ إن سابري الروح كلهم يعرفون ، لسوء حظهم ، أن « كل واحد بعيد عن ذاته أشد البعد » ؛ وحكم « اعرف نفسك بنفسك » الموجّه إلى الناس من فم إله هو خبث تقريبا . لكن أن يمضي إليها المرء [إلى معرفة نفسه] بياس من ملاحظة نفسه ، فلا شيء يدل على ذلك مثل هاته الطريقة التي اعتاد كل واحد تقريبا أن يتحدث بها عن طبيعة الفعل الأخلاقي ! هاته الطريقة السريعة ، العجّلة ، المقتنعة ، المسهبة ، والمصحوبة بهاته النظرة ، بهاته الابتسامة ، بهذا الحماس اللطيف ! يبدو أنه يريد أن يقول لكم : « لكن يا عزيزي ، هذا شغلي بالضبط ! إنكم تتوجهون بالضبط لمن يعنيه الأمر : يتفق أن لا يوجد شيء لي فيه كفاءة مثل هذا ! وهكذا ، حين يحكم المرء : « هذا شيء صحيح » ويستنتج من ذلك : « لذا يجب أن يفعل » ، ويفعل ، منذ تلك اللحظة ، ما اعترف بكونه صحيحا وعرفه بكونه ضروريا ، - فإن طبيعة فعله تكون أخلاقية ! » لكن ، يا صديقي ، إنك تتحدث لي هنا عن ثلاثة أفعال وليس عن فعل واحد : فحكمك : « هذا شيء صحيح » واحد منها - ثم ألا يحتمل أن نحكم بشكل لأخلاقي مثلما نحكم بشكل أخلاقي ؟ فلماذا تعتبر هذا ، وهذا بالضبط ، صحيحا ؟ - لأن ضميري يمليه علي ؛ والضمير لا ينطق أبدا بشكل لأخلاقي بما أنه يحدد قبلاً ما يجب أن يكون أخلاقيا ! - لكن لماذا الاستماع إلى لغة ضميرك ؟ إلى أي حد لك الحق في اعتبار مثل هذا الحكم حقيقيا ومعصوما ؟ ألن يكون هناك إذن ضمير قط - بالنسبة لمثل هذا الاعتقاد ؟ أليست لك أية معرفة بضمير فكري ؟ بضمير وراء « ضمير » - ك ؟ إنّ لحكمك : « هذا شيء صحيح » ماقبل تاريخ في دوافعك التي لا تقاوم ، في ميولك ، في كرهك ، في تجاربك وفي نقص تجاربك . عليك أن تتساءل ، « كيف أمكن لهذا الحكم أن يحدث ؟ » ، ثم « ما الذي يدفعني على العموم للاستماع إليه ؟ » يمكنك أن تطيع أمره مثل جندي شجاع يسمع أمر ضابطه . أو كامرأة تحب الذي يأمر . أو أيضا مثل متملق جبان يخشى الذي يأمر . أو أخيرا مثل أبله يطيع لأنه لم يجد ما يقوله ضد الأمر . باختصار ، يمكنك الاستماع إلى ضميرك بمائة طريقة مختلفة . لكن أن تسمع الحكم كذا أو الحكم كذا باعتباره

صوت ضميرك، إذن أن تشعر بشيء باعتباره صحيحا فهذا ما قد يكون أصله في كونك لم تتفكر أبدا في نفسك وقبلت قبولا أعمى كل ما وصف لك منذ طفولتك على أنه صحيح : أو أيضا في كون الخبز اليومي والتشريفات قد ضمنا لك، حتى اليوم، بذلك نفسه الذي تسميه واجبك - الذي يعتبر «صحيحا» في نظرك، لكونه يبدو أنه يشكل «شرط وجود» كـ (أن يكون لك الحق أنت نفسك في الوجود، هذا ما يبدو لك غير قابل للدحض) إن متانة حكمك الأخلاقي يمكن دائما أن تكون برهانا بالضبط على البؤس الشخصي ودليلا على اللاشخصية، إن مصدر «قوت» (ك) الأخلاقية قد يكون في عنادك - أو في عجزك عن استيعاب مثل عليا جديدة! باختصار، لو فكرت بشكل أدق، لولاحظت أحسن وتعلمت أكثر، لما أسميت هذا «الواجب» وهذا «الضمير» اللذين تدعي أنهما لك لواجبا ولاضميرا بأية حال من الأحوال : ففهم الطريقة ذاتها التي أمكن أن تنشأ بها الأحكام الأخلاقية سيقززك من هاته المصطلحات المثيرة للشفقة مثلما تقززت من قبل من مصطلحات أخرى مثيرة للشفقة ومشابهة لها مثل «الذنب»، «خلاص الروح»، «خلاص البشر» - والآن لا تحدثني، يا صديقي، عن الأمر المطلق! - فهاته الكلمة تدغدغ أذني، ينبغي لي أن أضحك رغم حضوركم الموقر : إني أفكر في العقاب المخصص للشيخ كانط الذي، لكونه رصد «الشيء في ذاته» وتلقفه خلصة - شيء مضحك كذلك - فقد رصده هو بدوره وفوجيء بـ «الأمر» المطلق، وفي باطنه وقع في الأخطاء التي هي «الإله»، الـ «الروح»، الـ «حرية» والـ «خلود»، مثل ثعلب يتيه في قفصه من جديد : - والحالة أن قوته وذكاءه هما اللذان حطما هذا القفص! - وهأنتم أولاء تُعجبون بالأمر المطلق في داخلكم؟ بـ «متانة» حكمكم الأخلاقي المزعوم هذه؟ بـ «مطلقية» الإحساس أنه «في هذا يجب على الآخرين أن يحكموا مثلي أنا»؟ عظموا بالأحرى أنا نيتكم هنا! [عظموا] عمى وخسة ونقص متطلب أنانيتكم! إنه لمن الأنانية حقا أن يشعر الواحد بحكمه الخاص كقانون كوني : وإنها لأنانية عمياء، خسيصة وبلا متطلب، لأنها تكشف أنك لم تجد نفسك بعد، أنك لم تخلق لنفسك مثلا شخصا محضا : - ولن يكون مثل امرئ آخر أبدا، حتى لا نتكلم عن الكل، عن كل الآخرين! . . . إن الذي لا يزال يحكم بأنه «في الحالة كذا يجب على كل واحد أن يفعل كذا» لم يتقدم بعد في معرفة ذاته ولو قليلا : وإلا فإنه كان سيعرف أنه ليس هناك، ولن يمكنه أن يكون هناك، أفعال متطابقة أبدا - أن كل فعل تسم فقد تم بطريقة فريدة ولا يمكن الاهتداء إليها ثانية، وأن نفس الشيء سينطبق على كل فعل مقبل - [سيعرف] أن كل قوانين الفعل لا تهم إلا المظهر الخارجي الفج (حتى القوانين الداخلية الأكثر دقة في كل

الأخلاق حتى الآن) - [سيعرف] أنه يمكن أن يتحقق بها، ولا شك، مظهر تطابق، لكن لا شيء بالضبط غير المظهر، - أن كل فعل هو شيء لا يخترق ويبقى كذلك بمجرد أن نفحصه أو نعيد تأمله - أن آراءنا حول ماهو «جيد» و «سام» و «عظيم» لن يُبرهن عليها أبدا بأفعالنا، لأن كل واحدة منها غير معروفة - [سيعرف] أنه إن كانت آراؤنا وتقييماتنا وجداول قيمنا من ضمن أقوى الركائز في دولاب أفعالنا فإنه يبقى أنه في كل حالة خاصة يكون قانون آليتها متعذر الإثبات. لنقتصر إذن على تطهير آرائنا وتقييماتنا، لنقتصر على خلق جداول قيم جديدة وخاصة: - لكن لانقذحن زناد فكرنا في «القيمة الأخلاقية لأفعالنا»! أجل، يا أصدقائي، ها نحن قد تقززنا في هذا الوقت من ثروة البعض الأخلاقية بخصوص البعض الآخر! إن النطق بالأحكام بإسم الأخلاق لابد أن ينفر ذوقنا السليم في النهاية! لتدع هاته الثروة لأولئك الذين لاهم لهم سوى جر الماضي بعيدا شيئا ما في الزمن، لأولئك الذين لا يصيرون أنفسهم في الحاضر. - إذن لأكبر عددا! بينما نحن نريد أن نصير أولئك الذين نحن هم - الجدد، الأفذاذ، الذين لامثيل لهم، أولئك الذين هم مشرعوا أنفسهم، أولئك الذين هم خالقوا أنفسهم! ولهذا الغرض يلزمنا أن نصير أفضل المريدين وأفضل مبتكري كل ما هو مطابق للقانون وللحاجة في العالم: يلزمنا أن نكون فزيائيين لنكون بهذا المعنى مبتكرين - بينما كانت كل تقديرات القيم وكل المثل تتركز، حتى الآن، على الجهل حتى بالفيزياء، أو كانت في تناقض معها. ولهذا، لتحي الفيزياء! ولتحي أكثر تلك التي ترغمننا على اللجوء إليها - نزاهتنا!.

336 شح الطبيعة

لماذا كانت الطبيعة خسيصة جدا مع الإنسان حتى أنها لم تدعه يلمع، فلان يلمع أكثر، فلان آخر يلمع أقل، كل حسب وفرة نوره الداخلي؟ لماذا ليس للرجال العظام وضوح جميل كوضوح الشمس وقت انطلاقهم كما في وقت أفولهم؟ كم ستكون الحياة أقل غموضا بين الناس [إذاك]!.

337 «إحساس الإنسانية» المستقبلي

لو تأملت هذا القرن بعيون قرن سحيق فلن أعرف في طبيعة الإنسان المعاصر شيئا أغرب من هاته الخاصية الغريبة، هذا المرض الغريب الذي ندعوه «الحس المؤرخ». إنه ترسب شيء جديد تماما وغريب في التاريخ: لنهمل هاته البذرة بعض

القرون ونيف ، فقد تنتهي إلى إنتاج نبات رائع ذي رائحة لا تقل روعة ، جدير بجعل الأرض ممتعة للسكن أكثر مما كانت عليه حتى الآن . إننا نحن المعاصرون قد شرعنا تماما في تشكيل سلسلة إحساسٍ مُستقبلي قوي ، حلقة حلقة - [و] لانكاد نعرف هذا الذي نفعله . قد يبدو تقريبا أن الأمر يتعلق بإحساس جديد بل بتقليل من كل الإحساسات القديمة - فالحس المؤرخ لا يزال شيئا جد فقير، جد بارد، ويوجد من بيننا كثيرون أصيبوا به مثلما يصابون بجمود، ويجدون أنفسهم من جرائه أكثر فقرا وبرودة . [بينما] يبدو لآخرين كعلامة الشيخوخة الزاحفة شيئا فشيئا، ويبدو لهم كوكبنا كمريض مُترع بالكآبة، ولكي ينسى حاضره يُشرع في كتابة تاريخ شبابه . ليس هذا، في الواقع ، سوى درجة من الإحساس الجديد : فكل من يستطيع أن يشعر بتاريخ الناس في جملته كتاريخه الخاص سيشعر، بنوع من التعميم الكبير، بمرارة المريض الذي يفكر في الصحة ، بمرارة الشيخ الذي يفكر في أحلام الشباب ، بمرارة العاشق الذي انتزعت منه معشوقته ، بمرارة الشهيد وهو يرى مثله الأعلى ينهار، بمرارة البطل عشية المعركة غير الحاسمة والتي كلفته مع ذلك جروحا وفقد الصديق ؛ - لكن أن يتحمل هذا الكم الهائل من المرات من كل الأصناف ، أن يستطيع تحملها ويكون مع ذلك البطل الذي ، عند طلوع اليوم الثاني من المعركة ، يحيي الفجر ويحيي حظه ، بمقدار ماله أفق من الألفيات أمامه وخلفه ، باعتباره وارث كل نبل العقل من الماضي ، لكن وارث مُكلّف بواجبات ، باعتباره أنبل كل النبلاء القدامى ، لكنه المولود الأول للأرستقراطية الجديدة ، حيث لم يشهد أي عهدٍ مثيلاً له ولم يحلم به أبدا : أن يتحمل كل هذا في روحه ، أن يتحمل ما هو قديم جدا وما هو جديد جدا ؛ [أن يتحمل] الخسائر والآمال والغزوات وانتصارات الإنسانية ، أن يملك كل هذا في روح واحدة في الأخير، أن يركزه في إحساس واحد : - هذا ما ينبغي مع ذلك أن يشكل سعادة لم يعرفها الإنسان قط حتى الآن ، - سعادة إله ، كلها قوة وحب ، كلها دموع وضحكات ، سعادة توزّع باستمرار، مثل الشمس عند المساء ، ثروتها التي لا تنضب وتُفرغ منها في البحر الذي لا يشعر، مثل الشمس ، أنه الأكثر غنى إلا حين يجدف [فيه] أفقر صيادٍ بمجاديف مذهبة ! إذاك سيسمّى هذا الإحساس الإلهي - إنسانية ! .

338 الشقاء وإرادة المعاناة

هل يفيدكم أنتم أن تكونوا أناسا شفقاء قبل كل شيء؟ هل يفيد الناس الذين يعانون أن تكونوا كذلك؟ لكن لنَدع السؤال الأول دون جواب . - فهذا نفسه الذي

نعاني منه بشكل جد بالغ وجد شخصي غير مفهوم لدى كل الآخرين تقريبا ومتعذر عليهم : هذا ما تبقى فيه متوارين عن القريب حتى وإن أكل معنا من نفس الطنجرة . بالمقابل ، أينما لوحظنا على أننا مُعانون فإن معاناتنا تفسَّر بأكثر الطرق سطحية ؛ شيء خاص بطبيعة العاطفة الشفوقة أن تعري المعاناة الغريبة مما هو شخصي فيها بالأساس : - فـ «المحسنون» إلينا هم الذين ينتقصون من قيمتنا وإرادتنا أكثر من أعدائنا . لو تفحصنا أغلب المعروف الذي نُسديه للأشقياء فإننا سنجد فيه شيئا ممقوتا في الوقاحة الفكرية التي يطيب للشفوق أن يلعب بها دور القدر . إنه يجهل كل شيء عن هذا التشابك وعن هاته العواقب الداخلية التي تسمى شقاء بالنسبة لي أنا ولك أنت ! فمجموع مُدَّخِرٍ روحي وتعويضه بالـ «شقاء» ، واقتحام مصادر وحاجيات جديدة ، واندمال جروح قديمة ، ورفض الماضي بمختلف أنواعه - كل هذا الذي يمكن أن يُربط بالشقاء لايزعج الروح الشفوقة العزيزة بتاتا : فهي تريد أن تُنجد ، ولا تفكر في أية لحظة في وجود احتياج شخصي للألم ، في كون أشكال الرعب ، أشكال الحرمان ، أشكال الإفقار ، منتصفات ليل الروح ، مغامرات ، مجازفات ، كبوات ، [في كونها] ضرورية ، مثل أضدادها ، لك كما هي ضرورية لي ، وأنه ، لكي أعبر بطريقة صوفية ، حتى السبيل التي تؤدي إلى سمائنا الشخصية تمر دائما عبر لذة جحيمنا الخاص . لا ، إن الروح الشفوقة لاتعرف شيئا من ذلك : «دين» الشفقة (أو الـ «قلب») يأمر بالإنجاد ، ويعتقد الناس أنهم يحسنون الإنجاد حين ينجدون في أسرع وقت ! إن كنتم أنتم يأمعنتقي مثل هذا الدين تطبقون على أنفسكم هاته الحالة المعنوية التي تبدوونها تجاه أمثالكم ، انتم الذين تأبون حتى أن تتركوا معاناتكم الخاصة تستريح فيكم قليلا لتستقبل باستمرار كل شقاء محتمل ، إن كنتم تشعرون إطلاقا بالمعاناة والكرب باعتبارهما قبيحين وكريهين وجديرين بالإزاحة ، باعتبارهما عيب الوجود : فلا أن لكم ، خارج دينكم ، دين الشفقة ، دينا آخر في القلب أيضا ، وربما يكون هذا أصل ذاك : - دين لين العيش ! آه ، كم هو قليل ماتعرفنه عن غبطة الإنسان أنتن أيتها الأرواح المرفهة والرؤوفة ! - لأن السعادة والشقاء أخوان توأمان إما يكبران كلاهما وإما ، كما هو الحال عندكم ، يظلان صغيرين كليهما ! لكن لنعد الآن إلى السؤال الأول . - كيف يمكن أن يبقى الإنسان في طريقه ! فدائما يلهينا عنها صياح ما : ويندر إذّاك أن تكتشف عيننا حالة لاتأمرنا بترك أمرنا الخاص لنسرع [إليه] . أعرف ذلك جيدا : هناك ألف طريقة شريفة وحميدة لتضليلي بعيدا عن طريقي ، وهي

طرق جد «أخلاقية»، هذا صحيح! أجل، يذهب دعاة أخلاق الشفقة الحاليون إلى حد ادعاء أن هذا، ولا شيء غير هذا، سيكون أخلاقيا : - أن يتيه المرء بهذا الشكل عن طريقه الخاص ويسارع إلى قريبه . أعرف أيضا بيقين لا يقل عن الأول : أنني لا أملك إلا أن أتأمل بؤسا حقيقيا لأكون قد تمتهت! ولو أن صديقا معانيا قال لي : «هذا هو الأمر، سأموت عما قريب؛ عدني إذن أن تموت معي» - لوعده بذلك، تماما كما ستجعلني رؤية عامة الناس الجبليين المقاتلين من أجل حرّيتهم أمد لهم يد العون وأهّبهم حياتي : - حتى لا أختار هنا سوى بعض الأمثلة السيئة ذات الأسباب المعقولة . أجل، إن كل هاته المخلوقات التي تثير الشفقة وتطلب الإنقاذ تمارس إغواء سرّيا كذلك : «طريق (نا) الخاص» في الواقع قضية شاقة ومكلفة، وبعيدة جداً عن حب الآخر ومعرفته، - لانفلت منها، وكذلك من شعورنا الشخصي جدا، دون بعض الارتياح، ونبحث عن ملجأ بقرب شعور الآخرين، في رحاب معبد «دين الشفقة» المريح . ما أن تنفجر حربٌ في الوقت الحاضر فإن ذلك لا يكون أبداً دون هجمة شهوة حسية أبقىّت سرّية بداهة بالضبط لدى أنبل رجال شعب ما : فهم يسارعون، مفتونين، إلى خطر الموت الجديد، لانهم يظنون أنهم سيجدون في التضحية في سبيل الوطن هذا الإذن الذي بحثوا عنه طويلا - الإذن بتحاشي هدفهم الخاص : - فالحرب توفر لهم منعظاً ليصلوا إلى الانتحار، لكنه منعطف مع راحة الضمير . وإن تعلّق الأمر هنا بكتمان بعض الأشياء فلن أكتّم مع ذلك أخلاقي التي تقول لي : عش مختبئاً حتى تتمكن من العيش لنفسك! عش في جهل ما يبدو لقرنك هو الأهم! ضغ بين الحاضر وبينك سُمكٌ ثلاثة قرون على الأقل! لتكن صيحات الحاضر، لتكن ضوضاء الحروب والثورات بالنسبة لك همساً فقط! أنت أيضاً تود أن تنجد! لكن أن تنجد فقط أولئك الذين تدرك ضيقهم تماماً، - [إنهم] أصدقائك، لأن معك ستكون لهم معاناة، وأمل : وألا تنجدهم إلا بالطريقة التي تنجد بها نفسك أنت : - سأجعلهم أكثر شجاعة، أكثر تحمّلاً، أكثر بساطة، وأكثر فرحاً! سأعلمهم ما يفهمه الآن قليل من الناس، ما يفهمه دعاة التضامن الشفوق أقل : التضامن في الفرح! .

339 Vita femina (*)

لكي نتبين روائع عمل ما - فإنه لا تكفي أية معرفة، لا يكفي أي استعداد : يستلزم الأمر أندرَ حظٍّ وأسعدَه كي يُرفع خمائر السحب مرة واحدة عن هاته القمم

(*) الحياة امرأة .

فتبدو لنا مضطربة بالشمس . لكي نراه ، لا ينبغي فقط أن نتواجد في المكان المرغوب : فلا بد أن تكون روحنا نفسها قد نزعت الخمار عن قممها ، وأن تكون في حاجة إلى تعبير ومثال خارجيين كأنها ليكون لها سند فتصير سيدة نفسها . غير أنه يندر جدا أن يتصادف كل هذا حتى لقد أظن عن طيب خاطر أن أعلى قمم كل ثروة ، سواء تعلق الأمر بتتاج أدبي ، بعمل ، بالإنسان أو بالطبيعة ، قد ظلت مخبأة ومحجوبة عن أنظار الأغلبية ، بل حتى عن النخبة : لكن الذي ينكشف لنا ، لا ينكشف لنا إلا مرة واحدة ! - لقد كان الإغريق ولا شك يصلون : «لِيَعُدَّ كل ما هو جميل مرتين أو ثلاثا !» - واها ! لقد كان لهم سبب معقول للتضرع إلى الآلهة ، لأن الواقع اللاإلهي لا يمنحنا الجمال إطلاقا أو لا يمنحه إلا مرة واحدة ! أريد أن أقول أن العالم يفيض بالأشياء الجميلة ، لكنه فقير ، فقير جدا من حيث اللحظات الجميلة ومن حيث التجليات الجميلة لمثل هاته الأشياء . لكن ربما يكون هذا هو سحر الحياة الأقوى : إنها مغطاة بخمار منسوج من ذهب ، بخمار من الإمكانيات الجميلة يعطيها حياة واعدة ، متحفظة ، محتشمة ، ساخرة مستعطفة وساحرة . أجل ، إن الحياة امرأة ! .

340 سقراط محتضرا

أُعْجَبُ بشجاعة سقراط وبحكمته في كل ما كان يفعله ، في كل ما كان يقوله ، وفي كل ما لم يقله . هذا الشيطان وملتقط فئران أثينا الساحر والمُحِبِّ ، الذي كان يجعل أكثر الشبان تكبرا يرتعشون وينتحبون ، لم يكن فقط أحكم ثرثار وُجد على الإطلاق : لقد كانت له عظمة بنفس القدر في الصمت . وقد وددتُ أن يكون بقي صامتا في اللحظات الأخيرة من حياته : - ربما كان إذاً سيتمي إلى طراز أسمى من العقول . هل كان ذلك الموت أم السم ، التقوى أم المكر - شيء ما أطلق لسانه في هاته اللحظة وقال : «يا كريتون ، إني مدين بديك لإسكيلاب» هاته «الكلمة الأخيرة» المضحكة والفظيعة تعني للذي يعرف أن يسمع : «يا كريتون ، إن الحياة مرض !» هل ممكن [أن] رجلا مثله كان متشائما - وقد عاش مرحا ومثل جندي في أعين الكل ! إنه لم يفعل شيئا إذن سوى إظهار رباطة الجأش تجاه الحياة ، سوى إخفاء حكمه الأخير وشعوره الأكثر حميمية يوم كان حيا . سقراط ، سقراط عانى من الحياة إذن ! ولقد انتقم منها بواسطة هاته الكلمة الغامضة ، الفظيعة ، التقية والتجديفية ! هل كان لابد أن ينتهي سقراط إلى الانتقام ؟ هل كانت ذرة سخاء تنقص فضيلته الوفيرة ! - آه يا أصدقائي ! يجب علينا أن نعلو حتى على الإغريق ! .

341 أثقل وزن

ماذا عساك تقول لو أن شيطاناً تسلل يوماً أو ليلة حتى داخل وحدتك الأكثر انزواء وقال لك : «هاته الحياة، مثلما تحياها الآن، ومثلما حييتها، سيلزمك أن تحياها مرة أخرى ومرات لاحصر لها؛ ولن يكون فيها شيء جديد، سوى أن كل ألم وكل متعة، كل فكرة وكل تأوه وكل ما هو مُتَنَاهٍ في الصغر والكبر في حياتك لابد أن يعود إليك، والكل في نفس النظام ونفس التابع - تلك الرتيلاء أيضاً، وضوء القمر هذا بين الأشجار، وهاته اللحظة وأنا نفسي. إن ساعة الوجود الرملية الخالدة لا تفتأ تُعكّس من جديد - وأنت معها، يا ذرة غبارٍ من الغبار!» - ألن تلقي بنفسك أرضاً، تصر أسنانك وتلعن الشيطان الذي قد يكلمك بهذا الشكل؟ أم سيحدث أن تعيش لحظة رائعة قد يمكنك فيها أن تجيبه : «أنت إله، فما سمعت أشياء أروع من هاته قط!» لو سيطرت عليك هاته الفكرة فستحوّلك، جاعلة منك، مثلما أنت، شخصاً آخر، ربّما طاحنة إياك : والسؤال المطروح بخصوص الكل، بخصوص كل شيء : «هل تريد هذا مرة أخرى ومرات لاحصر لها؟» سيهبط بثقله على تصرفك كأثقل وزن! أو كم سيلزمك من إظهار الإحسان تجاه نفسك وتجاه الحياة حتى لا ترغب في شيء غير هاته الأخيرة [التي هي] إثبات أبدي، هاته الأخيرة [التي هي] عقاب أبدي؟

342 Incipit tragœdia (*)

لما بلغ زرادشت الثلاثين من عمره غادر موطنه الأصلي وبحيرة إيرمي (Urmi) وصعد الجبل. هناك تمتع بحكمته ووحدته ولم يعي بذلك قط طيلة عشر سنين. لكن قلبه تغير في الأخير - وذات صباح استيقظ مع بزوغ الفجر وذهب قدام الشمس وخاطبها قائلاً : «أيها الكوكب العظيم! ماذا كانت ستكون غبطتك لو لم يكن هؤلاء الذين تُنيرهم! لقد طلعت هنا، في اتجاه مغارتي، طيلة عشر سنين : وقد كنت متخماً بضوئك وبطريقك، بدوني أنا، بدون نسري وأفعواني : لكننا كنا نتظرك كل صباح، كنا نخلّصك من اشمئزك، ونباركك في المقابل. هذا ما في الأمر. إني أتقزز من حكمتي، مثل نحلة جمعت من العسل الكثير، أنا في حاجة إلى بسط يداي، أريد أن أعطي وأوزع إلى أن يستمتع العقلاء من بين الناس بجنونهم

(*) مستهل التراجيديا .

مرة أخرى، ويستمتع الفقراء بغناهم مرة أخرى. فيما يخضي أنا، أريد أن أهبط إلى الأعماق: مثلما تفعل أنت في المساء حين تمر وراء البحر وتجلب النور حتى للعالم الجهنمي، أيها الكوكب الفياض! - لابدلي، مثلك، أن أميل، كما يقول الناس، في اتجاه أولئك الذين أريد أن أنزل وسطهم. هكذا أباركك أيتها العين الهادئة التي تتحمل، دون حقد، رؤية غبطة عظيمة جدا! فباركي الكأس التي ترغب أن تطفح حتى يسيل منها الماء بحرا ذهبيا فينشر انعكاس مُتَعَكِّ في كل مكان! هو كذلك! هذه الكأس تُريد أن تُفرغ من جديد، وزرادشت يريد أن يعود إنسانا. « هكذا بدأ أفولُ زرادشت.

الكتاب الخامس

نحن الرجال الذين لا يخشون شيئاً
أترتعش أيها الهيكل؟ كنت سترتعش أكثر لو أنك علمت أين أقودك .

تورينو .

343 ما آل إليه مرحنا

يبدأ منذ الآن أكبر حدث حديث العهد في بسط ظله على أوروبا — إذا علمنا أن «الإله قدماء»، أن الاعتقاد في الإله المسيحي قد فقدت فيه الثقة — يبدو فعلا لبعض النادرين، على الأقل، المزودين بشك نفاذ بها فيه الكفاية، بنظر جد دقيق لرؤية هذا المشهد، أن شمسا قد أفلت، أن ثقة عميقة قديمة قد تحولت إلى شك : لهؤلاء سيبدو عالمنا يوما عن يوم شفقياً أكثر؛ حذرا أكثر، غريبا أكثر، «قديما أكثر». لكن في التقرير الأساسي يمكن أن نقول : إن الحدث في حد ذاته كبير جدا، بعيد جدا، ويتجاوز كثيرا القدرة المفهومية للعدد الكبير [من الناس] لكي نستطيع أن نزعم أن الخبر قد وصل منه بعد، بل أقل من ذلك، أن نزعم أن أحدا قد فطن لما وقع فعلا — كما لم يفطن لكل ما يجب أن ينهار منذ الآن بمجرد أن ينهار الاعتقاد، لأنه أسس وبُني عليه، بل تشابك فيه تقريبا : أخلاقنا الأوروبية في كليتها مثلا. هذا التوالي الطويل والغزير من القطيعة، من التدمير، من الأفول، من الهزات، الذي يجب توقعه من الآن فصاعدا : منذ إذن يتنبأ به بكثير من اليقين ليظهر كالمعلم المعلن عن منطق الرعب الرائع هذا، كنبى التعتيم، نبى خسوف شمس لم يحدث مثله قط في هذا العالم؟ . . . حتى نحن حازرو الألغاز، نحن الذين ولدنا متنبئين، الذين نعيش نوعا ما في انتظار فوق الجبال، متموضعين بين اليوم والغد، وكما لو كنا متوترين بسبب التناقض بين اليوم والغد، نحن الطلائع، نحن ذرية القرن القادم السابقة لأوانها، الذين علينا منذ الآن أن نكون قادرين على مواجهة الظلال التي هي على وشك تغطية أوروبا : كيف يحدث انه حتى نحن نفكر في تصاعد هذا التعميم دون أن نكون قد تأثرنا به حقيقة، وخاصة دون هم ولا خوف على أنفسنا؟ ربما سنتحمل بشدة أثر العواقب المباشرة للحدث — العواقب المباشرة التي ليست بالنسبة لنا، عكس ما قد يُتَظَر منها، لامكِدرة ولا معتمة إطلاقا، بل إنما كنور، كغبطة، كارتياح، كإبهاج، كطمأنينة، كفجر من نوع جديد لا يوصف إلا بصعوبة . . . في الواقع إننا نحن الفلاسفة، نحن «العقول الحرة» عند سماع خبر أن «الإله القديم قدماء» نحس وكأن أشعة فجر جديد قد لمستنا : يفيض قلبنا، لهذا الخبر، بالشكران، بالدهشة، بالتوجس، بالانتظار — ها هو ذا الأفق صافٍ من جديد، وإن لم يكن صافيا تماما، هاهي ذي سُفُنَا حرة في استئناف سباقها، في استئناف سباقها مهما كلفها الأمر، هاهي ذي كل جرأة المعرفة قد سُمِحَ بها،

والبحر، بحرنا، هاهو ذا مفتوح من جديد، ربما لم يكن هناك أبداً «بحر مفتوح»
بمثل هذا الشكل.

344 بأي معنى لازلنا نحن أيضا أتقياء

في العلم، ليس لليقينيات حق المواطنة، هذا ما يقولونه بحق : وحين تقرر النزول بتواضع إلى مستوى الفرضية لتتبني وجهة نظر محاولة تجريبية مؤقتة، وجهة نظر خيال تنظيمي، حينذاك فقط يمكن أن نمح لها منفذاً، بل نوعاً من القيمة داخل مجال المعرفة - مع اقتصارها على البقاء تحت الحراسة البوليسية للحذر بالمقابل . - لكن لو أمعنا النظر في هذا ألا نجد يعني أن اليقينية لا تقبل في العلم إلا حين تكف عن كونها يقينية؟ ألن يبدأ انضباط العقل العلمي بفعل امتناعه عن كل اليقينيات من الآن فصاعداً؟ . . . ربما كان الأمر كذلك : بقي أن نعرف إن لم يكن ضرورياً، لكي يتمكن مثل هذا الانضباط من أن ينشأ، أن يكون هناك يقين من قبل، يقين جد إلزامي ولا مشروط حتى لأنه يضحى بكل اليقينيات الأخرى لصالحه . إننا نرى أن العلم يبنى على اعتقاد ما، فليس هناك علم إطلاقاً «دون افتراض» . لا ينبغي فقط أن يكون السؤال عما إذا كانت الحقيقة ضرورية قد وجدَ جوابه الإيجابي مقدماً، فلا يزال على هذا الجواب أن يثبت بشكل يجعله يعبر عن المبدأ، عن الاعتقاد، عن اليقين بأن «لا شيء ضروري مثل الحقيقة وأن الباقي كله ليس بالنسبة إليها إلا ذا أهمية ثانوية» . - هاته الإرادة المطلقة للحقيقة : ماهي؟ هل هي إرادة الأتقبل بأن ننخدع؟ هل هي إرادة ألا ننخدع أحداً قط؟ بهذا المعنى الأخير يمكن، في الواقع، أن تفسر إرادة الحقيقة : بشرط أن نعلق على هذا التعميم : «لا أريد أن أخدع أحداً» . بل حتى الحالة الخاصة : «لا أريد أن أخدع نفسي» . لكن لماذا لا ننخدع؟ لكن لماذا لا نقبل أن ننخدع؟ - لاحظوا أن أسباب الحالة الأولى تكمن في مجال مختلف عن أسباب الحالة الثانية : لا نريد أن نقبل الانخداع لأننا نفترض أنه ضارّ وخطير وقاتل أن نكون كذلك، - بهذا المعنى سيشكل العلم حدة ذهن مستمرة، سيشكل احتياطاً ومنفعة يحق لنا مع ذلك أن نعارضها : ما عسانا أن نقول؟ هل ستكون إرادة ألا نقبل بأن ننخدع فعلاً ضارة أقل، خطيرة أقل، وقاتلة أقل؟ ماذا تعرفون مقدماً عن طبيعة الوجود حتى تتمكنوا من تقرير إن كانت هناك امتيازات كبيرة في جانب الحذر المطلق أو في جانب الثقة المطلقة؟ ولكن في الحالة التي سيكون لاغنى فيها عن كليهما، كثير من الثقة وكثير من الحذر : فمن أين إذن سيأخذ العلم اعتقاده المطلق ويقينه اللذين يركز عليهما، إذا علمنا أن

الحقيقة ستكون أهم من كل شيء آخر، بل أهم من كل يقين آخر؟ لم يكن هذا اليقين بالضبط لينشأ لو أن الحقيقة واللاحقيقة كانتا تظهران نافعتين كليهما في نفس الوقت باستمرار : كما هو الأمر فعلاً . بالتالي - فإن الاعتقاد في العلم الموجود بشكل لا يرقى إليه الشك لن يكون قد تأصل في مثل حساب المنفعة هذا، إنما نشأ رغم كون اللامنفعة وخطر «إرادة الحقيقة» والـ «حقيقة بأي ثمن» يبرهن عليها باستمرار. «بأي ثمن» : آه! نفهم هذا جيداً لأننا ذبحنا وضحيانا باعتقادٍ بعد آخر على هذا المذبح . - بالتالي فإن «إرادة الحقيقة» لا تعني : «لا أريد أن أقبل بأن أنخدع» إنما تعني - وليس هناك خيار آخر - «لا أريد أن أخدع أحداً، ولاحتي أن أخدع نفسي» : ها نحن أولاء على ساحة الاخلاق . لتساءل إذن بجديّة : «لماذا لا تريد أن تخدع؟» حتى ولو ظهر - وهناك تجلّ - أن الحياة ما جعلت إلا للمظهر، أعني للخطأ، للمكر، للرياء، للخداع و للإنخداع الذاتي؛ بينما، من ناحية أخرى، لقد ظهر أكبر شكل للحياة دائماً بجانب (πολυτροπος) الأقل تردداً . ربما أمكننا تفسير هذا العزم برقة كدُونكشوتية، كدعابة حماسية صغيرة : من المحتمل أيضاً أن يتعلق الأمر بأقبح شيء، بمبدأ هدام معاد للحياة . . . يمكن أن تكون «إرادة الحقيقة» إرادة موتٍ سراً . - هكذا يعيدنا السؤال المطروح : لماذا العلم؟ إلى المسألة الأخلاقية : مجمل القول، ما فائدة الأخلاق؟ متى تكون الحياة والطبيعة والتاريخ «لأخلاقية؟» دون أدنى شك، فالعقل الصادق بهذا المعنى الجريء والنهائي، كما يقتضيه الاعتقاد في العلم، يثبت بهذا نفسه عالماً آخر غير عالم الحياة والطبيعة والتاريخ، وهو بقدر إثباته لهذا «العالم الآخر»، ألا ينفي ضده، هذا العالم، عالمنا؟ . . . لكن قديكون فهم ما أريد أن أنتهي إليه، يعني أن اعتقادنا في العلم لا يزال وسيبقى مرتكزاً على اعتقاد ميتافيزيقي، - وأنا نحن الذين نبحت اليوم عن المعرفة، نحن الذين هم دون إله وضد الميتافيزيقيين، ما نزال نستمد نارنا من الحريق الذي أشعله اعتقاداً أَلْفِيّ، هذا الاعتقاد المسيحي الذي كان أيضاً اعتقاد أفلاطون، الاعتقاد بأن الإله هو الحقيقة، بأن الحقيقة إلهية . . . لكن ما عسى أن يقال إذا كان هذا نفسه يفقد المصداقية أكثر فأكثر، إذا كان كل شيء يكفّ عن أن يبدو إلهياً، وإلا فالخطأ والعمى والكذب - وإذا كان الإله يبدو أكذوبتنا المستمرة؟ -

345 الاخلاق باعتبارها مشكلة

إن نقص الفرديات الشخصية يُستشعر في كل مكان؛ فشخصية موهنة، رقيقة، هامدة، تنكر نفسها، وتستدرك قولها، لم تعد صالحة لأية مهمة جيدة - وصالحها

للفلسفة أقل . ليس للـ «لامبالاة» قيمة لافي السماء ولا في الأرض : فالمشاكل الكبرى كلها تتطلب الحب الكبير ، ووحدها النفوس القوية ، الكاملة الصفات والجريئة ، والحازمة ، هي القادرة عليه . إنه لمن أهم الفوارق لو أن مفكرا اندمج بشكل عميق في مشاكله لدرجة أنه يجد فيها قدره وكآبته ، بل حظّه أيضا ، أو أن يتناولها بطريقة «الشخصية» أي ، بكل بساطة ، إن لم يعرف ملامستها واستيعابها سوى بهوائيات فكر فاتر وفضولي . في الحالة الأخيرة ، يمكن أن نكون على يقين أنه لن ينتج من ذلك شيء : لأن المشاكل الكبرى ، بقدر ما تسمح لنا باستيعابها ، بقدر ما تأبى أن تحتفظ بها الضفادع والعاجزون ، هذا هو ذوق المشاكل السليم - ذوق تتقاسمه فضلا عن ذلك ، مع كل النساء الصغيرات الباسلات . كيف يحدث إذن أني لم ألتق أحدا بعد ، حتى ولو في الكتب ، يكون قد اتخذ موقفا شخصيا مماثلا . بخصوص الأخلاق ، يكون قد عرف الأخلاق كمشكلة وعرف هذه المشكلة ككآبته ، كعذابه ، كشغفه الشخصي ؟ بكل بداهة ، لم تكن الأخلاق مشكلة قط حتى الآن ؛ بل كانت ذلك الذي كان الناس ينتهون بأن يتوافقوا حوله بالتبادل بعد مظنات وانشقاقات وتناقضات ، كانت المكان المقدس للسلم حيث يستريح المفكرون ، الذين أنهكهم طبعهم ، يتنفسون ويستعيدون الحياة . إني لأعرف أحدا تجرأ على انتقاد أحكام القيمة ؛ أبحث عبثا ، في هذا المضمار ، عن محاولات الفضول العلمي ، عن محاولات خيال علماء النفس والمؤرخين المتذبذب والفساد الذي يحدث مشكلة بسهولة ويستوعبها في الهواء دون أن يعلم بالضبط ما قد استوعبه . لقد عثرت بالكاد على بعض البدايات الهزيلة الصالحة لتاريخ أصول هاته الأحاسيس وهاته التقييمات (وهو ما يمثل شيئا آخر غير نقد هاته ، وثانية شيئا آخر غير تاريخ المناهج الأخلاقية) : إنني فعلت ، في حالة فريدة ، كل ما ينبغي لتشجيع الميل إلى هذا النوع من التاريخ وملكته - دون جدوى كما يبدو لي الآن . إن مؤرخي الأخلاق هؤلاء (الانجليز بخاصة) مخيبون للأمل : هم أنفسهم معتادون على أن يتلقوا بشكل ساذج أمر أخلاق معينة يجعلون من أنفسهم ، دون أن يعلموا ذلك ، فرسان موكبها : بالخضوع مثلا لحكم أوربا المسيحية المسبق هذا الذي جدد بناؤه بشكل ساذج جدا ، والذي يريد أن يتميز العمل الأخلاقي بجحود الذات ، بالتكر لها ، بالتضحية بالنفس ، أو بالاحساس بالتضامن ، بالعطف ، بالشفقة . إن عيب فرضيتهم المعتاد يهدف إلى إثبات إجماع الشعوب ، على الأقل إجماع الشعوب المدجّنة ، المتعلق ببعض تعاليم الأخلاق ، وبالحكم بالزاميتها المطلقة لكل واحد

منا؛ أو على العكس من ذلك، بالحكم بغياب إلزامية أية أخلاق، بعد تفهّم هاته الحقيقة القاضية باختلاف التقييمات بشكل حتمي حسب الشعوب : حكمان سخيّان كلاهما. ويعود عيب الأكثر دقة منهم إلى اكتشاف وانتقاد آراء شعب قد تكون خرقاء حول أخلاقه، أو آراء الناس حول أية أخلاق إنسانية، وبالتالي حول أصل هاته الأخيرة، حول عقوباتها الدينية، حول أسطورة القدرية وأشياء أخرى من هذا الطراز، كما يعود إلى تصور أنفسهم وقد انتقدوا هاته الأخلاق نفسها بفعلهم هذا. لكن قيمة تعليم مثل «يجب عليك» تبقى مختلفة أساسا ومستقلة عن آراء مشابهة حول هذا التعليم نفسه كما عن زؤان الخطأ، يقينا مثلما تبقى فعالية دواء ما منفصلة عن آراء المريض حول الطب، سواء كانت له أفكار علمية أم أحكام مستبقة لامرأة مسنة. من المحتمل جدا أن تنشأ أخلاق من خطأ : هاته الملاحظة لن تكون قد لامست مشكلة قيمتها. - لأحد حتى الآن استطاع إذن أن يتفحص قيمة أشهر أنواع الطب، المسمّى الأخلاق : الشيء الذي يستلزم أولا أن نقرر جعل هاته القيمة - موضع سؤال. وإذن هذا هو بالضبط مشروعنا. -

346 علامة استفهامنا

أهذا الذي لا تفهمونه؟ في الحقيقة سيصعب علينا أن نتفاهم. إننا نبحث عن كلمات، وربما نبحث عن آذان أيضا. فمن نحن إذن؟ لو أردنا ببساطة أن نسمّى بعبارات قديمة من مثل «دون - إله» أو «جاحدين» أو أيضا «لأخلاقين» فسنكون بعدُ بعيدين عن الاعتقاد بأننا قد عرفنا أنفسنا : نحن هاته الثلاثة كلها في الآن ذاته في مرحلة جد متأخرة، لكي يُفهم، لكي تستطيعوا أنتم أن تفهموا، أيها السادة الفضوليون، مانشعر به في داخلنا عندما نكون كذلك. لا! لم يعد مرّا ولا مؤلّا للانسان الجامح الذي عليه أن يجعل من لاعقيدته عقيدةً وغايةً وشهادةً. لقد شُحِدْنَا، لقد صرنا باردين وقساة من فرط إقرارنا بأنه لا شيء هنا على الأرض يحدث بطريقة إلهية، ولا حتى حسب المعايير الانسانية، بطريقة معقولة، رحيمة أو عادلة نعلم ذلك، فالعالم الذي نحيا فيه لا إلهي، لا أخلاقي، «لاإنساني»، - لطالما فسرناه بشكل خاطيء وكاذب، لكننا فسرناه حسب رغبة وإرادة احترامنا للأشياء المقدسة، أي حسب حاجة [ما]. لأن الانسان حيوان يحترم الأشياء المقدسة! بيد أنه يحذرنا أيضا : إن العالم في الواقع لايساوي ما اعتقدنا أنه يساويه، هذا هو أيقن شيء تقريبا أمكن لحذرنا أن يفهمه. على قدر الحذر تكون الفلسفة. لاشك أننا نتجنّب القول إن للعالم قيمة أقل : بل يبدو لنا اليوم شيئا مضحكا أن يكون

الانسان قد أراد أن يدّعي ابتكار قيم قد تتجاوز قيمة العالم الواقعي، - هذا بالضبط هو ما نحن متقززون منه مثلما نتقزز من ضلال الغرور والغباوة الانسانيين المفرط، والذي لم يُعترف بكونه كذلك لمدة طويلة. لقد كان آخر تعبير عنه في التشاؤم الحديث، وكان أقدم وأقوى تعبير عنه في ديانة بوذا؛ غير أن المسيحية تتضمنه أيضا بشكل أكثر التباسا، صحيح، أكثر غموضا، لكنه ليس أقل إغراء نتيجة لهذا. أما هذا الموقف: «الانسان ضد العالم»، الانسان باعتباره مبدأ «نافيا للعالم»، الانسان باعتباره مقياس الأشياء، باعتباره حَكَمَ العوالم الذي يذهب إلى حد جعل الوجود ذاته في كفة ميزانه واعتباره خفيفا جدا - أما الذوق الفاسد المذهل لهذا الموقف فقد وعيناه، إنه يثير اشمئزازنا - ونفقهه لما نرى «الانسان و العالم» موضوعين جنبا إلى جنب، يفصلهما التباهي الرفيع للحرف الصغير «و»! لكن ماذا؟ ألن نكون قد فعلنا شيئا آخر غير [خطو] خطوة أخرى في ازدياد الانسان باعتبارنا ساخرين؟ وإذن حتى في التشاؤم، في ازدياد الوجود الممكن أن يُعرف لنا نحن؟ ألن نكون بهذا قد وقعنا في شك التناقض، التناقض بين هذا العالم حيث كان الإحساس إلى الآن أننا في بيوتنا صعبة احتراماتنا للأشياء المقدسة - هاته الاحترامات التي ربما كنا نتحمل أن نحيا بفضلها - وبين عالم ليس سوى نحن أنفسنا : وقعنا إذن في شك قاس، أساسي، نهائي فيما يخصنا نحن؛ شك يمارس سيطرته علينا نحن الأوروبيين بشكل تشتد قسوته، وقد يضع الأجيال القادمة بسهولة أمام البديل المفرغ : «إما أن تلغوا احتراماتكم للأشياء المقدسة - إما أن تلغوا أنفسكم أنتم!» العبارة الأخيرة ستكون هي العدمية؛ لكن الأولى، ألن تكون هي كذلك - العدمية؟ - هذه هي علامة استفهامنا.

347 المؤمنون وحاجتهم إلى الإيمان

إن ما ينقص شخصا ما من الإيمان لكي ينجح، ما ينقص من عنصر «قار» يريده غير مزعزع لأنه يستند إليه - يكشف عن درجة قوته (أو لكي أعبر بوضوح، عن ضعفه). يبدو لي أن المسيحية لاتزال اليوم ضرورية للغالبية في أوربا : لهذا أيضا لازالت تحظى بالتصديق. لأن الانسان خُلِقَ هكذا : بمجرد أن يحتاج إلى قسم من العقيدة، ولو دحضناه له بألف طريقة، فإنه لا يكف عن اعتباره «صحيحا»، - وفقا لـ «اختبار القوة» الشهير الذي يتحدث عنه الإنجيل. لايزال البعض في حاجة إلى الميتافيزيقا، وحتى هاته الرغبة الحادة في اليقين التي تتفجر اليوم وسط الجماهير، بشكل علمي - وضعي، هاته الرغبة في إرادة امتلاك شيء قار بشكل مطلق (بينما

حتى في اندفاع هاته الرغبة قلما ينشغل الناس بالحجج الصالحة لتأسيس اليقين)؛ كل هذا يُظهر الحاجة إلى سند، إلى دعامة، باختصار يظهر غريزة الضعف التي لا تخلُق، والحق يقال، وإنما تحافظ على الديانات، على الميافيزيقا، على القناعات بمختلف أشكالها. يبقى أن كل هاته المناهج الوضعية تتغلف بأدخنة تشاؤم أسود، بشيء من العياء، من الجبرية، من الخيبة، من الخوف من خيبة جديدة - أو تنمّ بجلاء عن حقد، عن سخط، عن فوضوية الغيظ، كما تنمّ أيضا عن كل أعراض وتقنّعات الإحساس بالضعف الأخرى. حتى هذا العنف التي به سيتيه أذكى معاصرينا في أكواخ حقيرة، في الوطنجية مثلاً (لنسمّ ما يُدعى في فرنسا بـالشوفينية، وفي ألمانيا «deutsch»)، أو في عقائد جماعات أدبية جمالية مثل الطبيعة الباريسية (التي لا تجلي إلا هذا المظهر من الطبيعة الجدير بإثارة الاشمئزاز والذهول في ذات الوقت - نسمي هذا المظهر اليوم عن طيب خاطر : الحقيقة الحقة؛ أو في العدمية حسب نموذج سان بترسبورغ - أي في *croyance à la vertude de* (*) *l'incroyance* إلى درجة الاستشهاد من أجل هذا الأخير). ، حتى هذا العنف يظهر دائما، من أول وهلة، الحاجة إلى إيمان، إلى سند، إلى أس، إلى دعم . . . يكون الإيمان دائما مشتهى باستعجال أكثر في المكان ذاته الذي تنعدم فيه الإرادة : لأن الإرادة، باعتبارها ولعا بإصدار الأوامر، تشكل الرمز المميز للسيادة والقوة. أي كلما كانت مهارة شخص ما في إصدار الأوامر ناقصة كلما أحس باستعجال بالرغبة في حقيقة، في كائن أو سلطة تأمر، تأمر بصرامة، ولتكن إلها - أميرا، وضعاً اجتماعياً، طبيياً، مُعرّفاً، عقيدة، أو ضمير حزب. وربما وجب أن نستنتج من ثمة أن الديانتين العالميتين، البوذية والمسيحية، قد تكونان وجدتا سبب ظهورهما وانتشارهما في ضعف الإرادة غير المؤلف. وكان ذلك ما حدث في الحقيقة : فقد أظهرت الديانتان، بفعل مرض الإرادة، رغبة في «يجب عليك» معظمة بشكل مؤس إلى درجة انعدام المعنى. وبتعليمها التعصب في أوقات فتور الإرادة فإنها وفرت لعدد لا يحصى من الأرواح دعماً وإمكانية لأن تريد، ومتعة في أن تريد. فالتعصب هو في الواقع «قوة الإرادة» الوحيدة التي أمكن أن يقاد إليها الضعفاء والحائرون كذلك؛ ونظراً لكونه يُنوّم من الأشكال مجمل النظام الفكري الذي يركز على الإدراك الحسي للعالم المحسوس، فإنه يسبّب تضخم وجهة نظر تصوّرية وعاطفية خاصة تسود منذ الآن - ، سيسمّيه المسيحي إيمانه. بمجرد أن ينتهي إنسان إلى القناعة الأساسية بأنه

(*) في النص الأصلي ، بالفرنسية (الإيمان بفضيلة اللاإيمان).

يجب عليه أن يخضع لأمر ما فإنه يصبح «مؤمناً». في المقابل، إن فرحة وقوة تحديد ماهية الذات، وحرية أن تريد، ستكون معقولة، ومن أجلها سيُسرح عقل كل إيمان وكل رغبة في اليقين، إذ سيكون مدرّبا على الاحتفاظ بتوازنه على إمكانيات بسيطة كما لو على حبال، بل على الرقص فضلا عن ذلك على حافة الهوى. مثل هذا العقل سيكون العقل الحربامتيّاز.

348 عن أصل العلماء

إن العالم في أوربا ينمو على سافلة أية دولة وأية حالة اجتماعية، مثل نبتة لا تحتاج لتربة خاصة: لهذا فهو ينتمي أساسا وبلا تعمد إلى حاملي الفكر الديمقراطي. غير أن هذا الأصل يفضحه. فلو تدربنا قليلا أثناء مطالعة كتاب أو مقالة علمية على التحقق من طبع العالم وضبطه في حالة تلبس - ولا يخلو عالم من طبع - فسنكتشف فيه تقريبا دائما «ما قبل تاريخ» العالم، [سنكتشف] عائلته، وبصفة خاصة نوعية المهنة والحرفة التي كانت تمارسها. حيث يظهر الإحساس التالي: «هذا شيء برهنا عليه الآن، هذا سؤال أجيب عنه بالنسبة إلي»، فإن السلف عادة هو الذي يتكلم في دم وفي غريزة العالم، وهو الذي يوافق من وجهة نظره على «العمل المنجز»، - فليس الإيمان بالدليل لدى العالم سوى دلالة على ما كان دائما يعتبر عند جنس مثابر كـ «عمل جيد». مثلا يظهر أبناء كتاب المحكمة أو أبناء الديوانيين على اختلاف أصنافهم، الذين كانت مهمتهم تقتضي دائما أن يصنفوا مادة متنوعة، أن يوزعوها على أدراج خزانة، وبصفة عامة أن يخططوها، [هؤلاء الأبناء] يُظهرون، في حالة ما إذا صاروا علماء، ميلا خاصا إلى اعتبار مسألة ما قد حُلّت تقريبا بمجرد أن يكونوا قد خططوها. هناك فلاسفة ليسوا إجمالا سوى أدمغة تخطيطية - فالمظهر الشكلي لمهنة الأباء قد صار هو المضمون نفسه بالنسبة إليهم. إن الموهبة في التصنيفات وفي جداول الأصناف تكشف شيئا ما؛ لا يكون الواحد ابن والديه دون عقاب. فابن المحامي سيكون أيضا محاميا حتى وهو رجل علم: سيحاول أولا أن يحافظ على المنطق في فرضياته، وربما أيضا أن يكون لديه الحق ثانيا. أبناء القساوسة والمعلمين البروتستانتين يعرفون أنفسهم في الضمان الساذج الذي به يعتبرون أن مسألتهم قد برهن عليها قبلها، باعتبارهم علماء، بينما هم لم يفعلوا سوى أن عرضوها بجرأة وحرارة: ذلك لأن لهم عادة أساسية بأن يصدّقوا فيما يقولون - طبعاً، فذلك كان جزءاً من «مهنة» آبائهم! اليهودي في المقابل، أخذاً بعين الاعتبار نشاطه ذا الطابع التجاري وماضي شعبه، إن كان هناك شيء لم يتعود عليه كثيرا فهو أن يصدّقه الناس

- ليس أمامنا سوى أن نتأمل العلماء اليهود - فهم كلهم يراهنون بشكل غير معتادٍ على المنطق، أي على القوة المجبرة للحجج المتعلقة بالتصديق : يعلمون أنهم سينتصرون بالمنطق، حتى هناك حيث يعمل الكره العرقي والاجتماعي على ألا يصدقهم الناس عن طيب خاطر. في الواقع، ليس هناك شيء أكثر ديمقراطية من المنطق : فهو لايفاضل بين الأشخاص ويعتبر كذلك الأنوف المعقوفة أنوفا مستقيمة. (لِنَقُلْ بلا إلحاح : إن أوربا، والألمان في المقام الأول، [هذا] الجنس الأخرق بشكل يثير الشفقة والذي يجب اليوم أن «يغسل رأسه»، مدينون لليهود بالكثير فيما يخص المنطق وفيما يخص نقاء كبيراً في العادات الفكرية. حيثما كان لليهود تأثير فقد علّموا [الناس] التمييز بدقة أكثر، علموا الاستنتاج بصرامة أكثر، علّموا الكتابة بكثير من الجلاء والوضوح : كانت مهمتهم دائماً أن يهدوا شعباً إلى الصواب»).

349 في موضوع أصل العلماء مرة أخرى

أن تريد أن تبقى أنت ذاتك فذاك تعبير عن حالة من الضيق، عن تقييد للدافع الحيوي الذي يطمح بطبعه إلى بسط القوة، ومن ثمّ غالباً ما يتهم الحفاظ على الذات ويضحى به. إن كان بعض الفلاسفة، مثل المسلول سبينوزا، يرون في غريزة البقاء مسلمة قطعية، فلنعتبر ذلك شيئاً ذا دلالة لديهم : - فهم بحق رجال في ضيق، فكون علوم الطبيعة المعاصرة قد اتفقت بشكل كبير مع المسلمة السبينوزية (وفي الماضي القريب وبشكل فظ مع الداروينية بنظريتها الأحادية الجانب بشكل غير مفهوم المتعلقة بـ "الصراع من أجل البقاء")، فهذا ما قد يكون على وجه الاحتمال، في الأصل الاجتماعي لأغلبية هؤلاء العلماء : بهذا الاعتبار فهم من «الشعب»، كان أسلافهم فقراء، من الطبقة الدنيا، ولم يكونوا يعرفون شظف العيش إلا بشكل جدّ مباشر. من كل الداروينية الانجلو سكسونية تفوح رائحة جوّ خانق بالاحتفاظ السكاني البريطاني، ككتانة الطبقة الدنيا، المكونة من البؤس وضيق المجال. لكن على العالم باعتباره عالماً في حقل العلوم الطبيعية أن يعرف كيف يخرج من خلوته الانسانية : ففي الطبيعة ليس الضيق هو الذي يسود، لكن الوفرة، التبذير حتى درجة العبث. الصراع من أجل الوجود ليس إلا استثناءً، إلا تقييداً مؤقتاً لإرادة الحياة : إن الصراع الصغير مثل الصراع الكبير من أجل الحياة، كلاهما يدوران في كل الجهات حول التفوق، حول النمو، حول التوسع، طبقاً لإرادة القوة التي هي بالضبط إرادة الحياة.

350 إكراماً لـ "Homines religiosi (*)"

إن الصراع ضد الكنيسة هو ولاشك - لأنه يعني ألف شيء مختلف - مظهر من مظاهر صراع طباع أشد فظاظاً وطيشاً وسذاجة وسطحية ضد هيمنة رجال أشد رزانة وعمقا وتأملاً، أي أشد خبثاً وحذراً، والذين قضوا وقتاً طويلاً في تفحص قيمة الوجود وقيمتهم الخاصة كذلك بارتياح كبير : فغريزة الشعب الفظة وفرحه الحسي و «قلب (هـ) الطيب» تثور ضدهم . الكنيسة الرومانية كلها تركز على الارتياح الجنوبي بخصوص الطبيعة الانسانية، والذي فسح المجال تقريباً لسوء التفاهم في الشمال : الارتياح الذي كان يشكل ، بالنسبة للجنوب الأوربي، إرث الشرق الغامض، إرث آسيا القديمة والمغزة وعقلها التأمل . البروتستانتية وحدها هي الانتفاضة الشعبية لصالح الناس الطيبين، البسطاء، السذج والسطحيين (الشمال دائماً يبدي عطفاً وسطحية أكثر من الجنوب) ؛ لكن الثورة الفرنسية هي التي منحت الصولجان بشكل رسمي وبدون تحفظ لـ «الإنسان الطيب» (للحمل،

للحمار، للإوزة، باختصار لكل ما يتصف بسطحية بالغة، لكل ما ينهق، لكل ما هو ناضج ليلجج مارستان «الأفكار الحديثة» .

351 على شرف الطباع الكهنوتية

إن ما يقصده الناس بالحكمة (ومن ليس اليوم من «الناس» إذن؟) هي الدماثة التقية لكاهن القرية الذي يستريح في المروج بطمأنينة روح حذرة وبقرية ويشاهد انصرام الحياة برصانة مجتر - هذا الذي أظن أن الفلاسفة شعروا دائماً ببعدهم عنه، ربما لأنهم كان يحسون أنهم «ناس» أقل مما ينبغي، أنهم أقل كهننة قرية مما ينبغي . كذلك سيكونون آخر من يقر بأن الناس قد يستطيعون فهم شيء مما هو غريب جداً عنهم، شيء من هذا الولع الكبير لدى الباحث عن المعرفة الذي يحيا باستمرار في عاصفة المشاكل العظيمة والمسؤوليات الجسيمة، الذي ينبغي أن يحيا فيها (فهو إذن لا يكتفي قط بنظرة خارجية، لامبالية، واثقة وموضوعية . . .) أما الناس فيبجلون نوعاً آخر من الرجال حين يكونون من جانبهم مثلاً عن «الحكيم» ولهم الحق ألف مرة في أن يبجلوا هذا النوع من الرجال بمزيد من التشریف : إن ثناء الناس في طريقة تبجيلهم للحكمة يتوجه لطباع القساوسة الرقيقة والعفيفة هاته، الجدية جداً

(*) الرجال المتدينين

في بساطة عقلها ، ولكل ما يمت إليها بصلة . وتجاه من سيكون للناس أكبر مدعاة للاعتراف بالجميل إن لم يكن تجاه هؤلاء الرجال الذين يتمون إليهم والذين انبثقوا منهم ، لكن باعتبارهم رجالا منذورين ، موضوعين جانبا ، مضحيّ بهم لأجل خلاص الناس - هم أنفسهم يعتقدون أنهم مضحون بأنفسهم لله - هؤلاء الرجال الذين يستطيع الناس ، دون عقاب ، أن يفرغوا ما في قلوبهم في روحهم ، أن يتخففوا من أسرارهم ، من همومهم ومما هو أنكى (- لأن الإنسان الذي «يفشي» يتخفف من نفسه ؛ وكل إنسان «اعترف» ينسى) . والحالة أن الأمر يتعلق هنا بضرورة ملحة : لأن الروح أيضا تحتاج إلى بوالع لقاذوراتها وإلى مياه نقية تطهرها ، تحتاج إلى سيول سريعة من الحب ومن القلوب القوية المتواضعة والطاهرة التي ستكون ، بمثل هاته الخدمة الصحية غير العمومية ، مستعدة لتضحي بنفسها - في الحقيقة ، إن الأمر يتعلق هنا بتقديم قربان القس فيه هو الضحية ويبقى كذلك . . . إن الناس يشعرون بهؤلاء الرجال المقدمين قربانا والمنغلقيين ، رجال الـ «إيمان» الوقورين ، كحكماء ، أي كأولئك الذين اكتسبوا المعرفة ، كرجال آمنين بالنسبة لانعدام أمنهم هم : من ذا يستطيع إذن أن ينزع من الناس هاته الثقة وهذا الاحترام؟ - غير أنه صحيح ، في المقابل ، أنه بين الفلاسفة حتى القس يعتبر من «الناس» وليس رجل معرفة قط ، ذلك أن الفلاسفة قبل كل شيء هم أنفسهم لا يؤمنون برجال «المعرفة» ولأنهم يشتمون عفونة «الناس» في مثل هذا الإيمان وهاته الخرافة . إن التواضع هو الذي ابتكر لدى الإغريق كلمة فيلسوف والذي ترك لمؤرخي العقل الزهو البهي بأن يتسموا حكماء ، - تواضع طباع جد مندفعة بالأنفة وبالاتقلال المطلق مثل [طباع] فيتاغورس ، مثل [طباع] أفلاطون .

352 بأي معنى لاغنى عن الأخلاق تقريبا

عادة ما يكون مظهر الإنسان العاري مخجلا - لا أتحدث إلا عنا نحن الأوربيين (وعن الأوربيين على الإطلاق!) . لنفترض أنه بعفونة ساحر تجد أسعد جماعة من المدعوين نفسها فجأة مكشوفة ومجردة من ثيابها ، اعتقد جادا أن ذلك لن يثير الابتهاج فقط وإنما الشهية أيضا - يبدو أننا نحن الأوربيون لن نستطيع أبدا الاستغناء عن أي من الأقنعة التي تسمى ثيابا . لكن تقنع «الرجال الأخلاقيين» وتخفيهم تحت صيغ أخلاقية وتحت مفاهيم اللياقة ؛ باختصار ، هاته الطريقة الخيرة في إخفاء تصرفاتنا تحت مفاهيم الواجب ، الفضيلة ، العقل المدني ، الكرامة ، الكفر بالذات ، ألن تكون لها أسبابها المعقولة كذلك؟ لا أقصد بذلك أن الأمر يتعلق بتقنيع الحبث

والوضاعة الإنسانيين، بتقنيـع الوحش الكاسر فينا؛ فـكرتي، على العكس من ذلك تماماً، فباعتبارنا حيوانات مدجّنة فإننا نبدو بمظهر مخجل ونحتاج إلى تقنّع أخلاقي - [فكرتي] أن «الإنسان الداخلي» في أوربا ليس شنيعاً لدرجة يتجرّأ معها على أن «يقبل أن يُرى» (وكذلك على أن يكون وسيماً -) يتقنّع الأوربي بالأخلاق لأنه أصبح حيواناً هزلياً وعاجزاً؛ ولأنه شبه سقّط وضعيف وأخرق فإن له أسباباً جيدة لكي «يتدجن» . . وهذا التقنّع لا تقيمه حيوانات الصيد بل الحيوان القطيعي في ضعفه البالغ، في كرب وضجر طبعه . لنعترف بأن الأوربي - مبهرجاً بالأخلاق - واثقٌ من امتياز أكثر، من أهمية أكبر، من تقدير أكبر : إنه يصير بذلك «موضوع عبادة» تقريباً .

353 عن أصل الديانات

إن الابتكار الأساسي لمنشئ الديانة هو أولاً أن يضعوا طريقة معينة للعيش ، أن يضعوا ممارسة أخلاقية يومية معينة تكون بمثابة (*) *Disciplina voluntatis* وتُذهب الغم في نفس الوقت؛ ثم بعد ذلك إعطاء تفسير لهاته الحياة بالضبط تبدو من خلاله مضادة بالقيمة الأسمى، بحيث يصير هذا النوع من الحياة ملكاً نصارع من أجله، ونضحى بحياتنا من أجله عند الاقتضاء . في الواقع إن الابتكار الثاني هو الأساسي أكثر : فالأول، [أي] طريقة العيش ، كانت عموماً موجودة من قبل ، لكن ضمن طرق أخرى للعيش ، ودون وعي بقيمتها الضمنية . تتمظهر أهمية وأصالة منشئ ديانة ما عموماً في كونه يتبين طريقة العيش هاته ويختارها، في كونه هو أول من يتنبأ بالغرض الذي من أجله يمكن أن تُمارَس وتفسّر . فالمسيح (أو بولس) مثلاً وجد نفسه وجهاً لوجه مع حياة الطبقة الدنيا في الإقليم الروماني، حياة متواضعة، عفيفة ورازحة تحت الهموم : ففسر هاته الحياة وأضفى عليها أسمى معنى وأسمى قيمة - ومن هنا أعطاهم القوة والشجاعة لاحتقار أي نوع آخر من الحياة، هذا التعصب الصامت الخاص بالإخوة موراف (Moraves) ، هاته الثقة الدياسية والسرية في النفس التي لا تفتأ تنمو حتى تصير قادرة «على هزم العالم» (أي روما والطبقات العليا في الامبراطورية) . بوذا كذلك وجد هذا الصنف من الناس موزعين في كل حالات التراتبية الاجتماعية لشعبه، ناس طيبون ومحسنون مسالمون بالخصوص (نتيجة للبلادة، ونتيجة للبلادة كذلك يمارسون التعفّف ويعيشون دون

(*) انضباط طوعي .

حاجيات تقريبا : فقد فهم كيف كانت هاته الكائنات حتما ، باسم (*) *Vis inertiae* ستتعاطى لعقيدة تَعُدُّ بتجنب عودة المصائب الأرضية (أي العمل ، الفعل بشكل عام) - إن عبقريته كانت في أن «يفهم» ذلك . يحق لمنشئ ديانة ما أن يكون معصوما في المعرفة النفسية لنوعية متوسطة من الأرواح التي تنتظر أن تعي القاسم المشترك بينها . إنه هو الذي يجمعها بهذا الوعي : بهذا الاعتبار فإن إنشاء دين يفسح المجال دائما لحفلة كبيرة لتعارف الأرواح فيما بينها .

354 عن «عبقرية النوع»

إن مشكل الوعي ([أو] بشكل أدق : مشكل أن نصير واعين) لا يطرح لدينا بشكل جدّي إلا حين نبدأ في فهم إلى أي حد يمكن أن نفلت فيه : وقد وضعنا الفزيولوجيا وعلم الحيوان في بداية هذا الفهم - واللذان استغرقا بالتالي قرنين من الزمن لتدارك السبق الذي كان لربة لا يبنيتز المحذرة عليهما . نستطيع في الواقع أن نفكر، أن نشعر، أن نريد، أن نعاود التذكر، نستطيع كذلك أن «نفعل» بكل ما في الكلمة من معنى : ولن يكون كل هذا، مع ذلك، في حاجة للـ «دخول في وعينا» (كما نقول بطريقة مجازية) . ستكون الحياة كلها ممكنة من دون احتياج إلى الانعكاس : زد على ذلك أنه هكذا بالنسبة إلينا يستمر الجزء الأكبر من الحياة في الماضي فعلا دون مثل هذا الانعكاس - بما في ذلك حياتنا المفكرة والمحسوسة والمريدة - مهما يكن هذا فظا في أذني فيلسوف قديم . لماذا الوعي إطلاقا مادام زائدا عما هو أساسي؟ - لو شئتم ، والحالة هذه ، أن تتبهاوا للجواب سأعطيه هنا ، كذلك للإفترض الذي يتضمنه والذي قد يكون منحرفا ، إن دقة وقوة الوعي تبدو أني دائما كتابعين لملكة التواصل لدى الإنسان - (أو لدى الحيوان) ، وتبدو هاته الملكة نفسها تابعا لحاجة التواصل : لا أقصد إطلاقا من هذا أن الرجل المتفرد ، البارع بالضبط في فن التواصل والتعبير عن حاجياته ، قد وجد نفسه بالأحرى مقصورا للوهلة ذاتها على مساعدة أشباهه . هذا ما يبدو لي بالمقابل أنه حالة أجناس بكاملها ، حالة أجيال متعاقبة : هناك حيث أكرهت الضرورة والحاجة الناس لمدة طويلة على أن يتواصلوا ، وعلى أن يتفاهموا بسرعة وبدقة ، وهناك يكمن أخيرا فائض من قوة وفن التواصل هذين ، هناك ينتظر منذ الآن كنز ، تجمع بالتدريج تقريبا ، الوارث الذي سيستعمله بإنفاق [نفقات] باهظة (- الذين يزعمون أنهم فنانون هم أولئك الورثة ؛

(*) الحياة الخاملة .

وكذلك الخطباء والدعاة والكتاب، كل الرجال الذين هم آخر حلقات سلسلة طويلة، الذين «وُلِدوا متأخرين» بأفضل معاني الكلمة، والذين هم بطبعهم مبدؤون). عندما تُقبل هاته الملاحظة على أنها صحيحة سيتاح لي أن أستمِر في سياق افتراضي، إن الوعي لم يتطور، بصفة عامة، إلا تحت ضغط الحاجة إلى التواصل. ولم يكن الوعي، منذ البداية، ضروريا ونافعاً إلا داخل علاقات الانسان بالانسان، خاصة بين الذي يصدر الأوامر والذي يطيع، وتبعاً لدرجة هذا النفع كان يتطور. فالوعي ليس إجمالاً إلا شبكة من الروابط بين الناس، — ولم يتطور إلا باعتباره كذلك : فلو عاش الانسان منعزلاً، مثل وحش كاسر، لربما استطاع أن يستغني عنه. إنه كون أفعالنا وأفكارنا وإحساساتنا وحتى حركاتنا، تصير مدركة شعوريا لدينا — أو على الأقل جزء منها — ليس إلا نتيجة للسيادة الطويلة جدا التي مارسها «يجب عليك» على الانسان، لقد كان في حاجة، وهو الحيوان المهدّد أكثر، إلى مساعدة، إلى حماية، كان في حاجة إلى شبيهه، كان عليه أن يعرف كيف يكون مفهومًا لكي يعبر عن ضيقه — ولأجل كل هذا كان أولاً في حاجة إلى «وعي»، إذا حتى لكي «يعرف» ما كان ينقصه، لكي «يعرف» ما كان يشعر به، لكي «يعرف» ما كان يفكر فيه. لأن الانسان، لنقلها مرة أخرى، يفكر باستمرار، مثل سائر المخلوقات الحية، لكنه يجهل ذلك، والفكرة التي تصير شعورية ليست سوى جزء صغير جدا : الأكثر سطحية، الأضعف : — لأن هاته الفكرة الشعورية وحدها تحدث بالكلمات، أي برموز التواصل التي بها ينكشف تلقائياً أصل الوعي. باختصار، إن تطور اللغة وتطور الوعي (وليس العقل قط) يسيران يداً في يد. لنضيف إلى ذلك أنه ليست اللغة وحدها هي التي تُمَد جسراً بين إنسان وآخر، بل كذلك النظرة وضغط [اليد] والإشارة، أما الشعور بانطباعاتنا المحسوسة، أما القدرة على إثباتها وموضعها خارجنا تقريباً، فقد تزايدت تناسباً مع الحاجة المتنامية لتبليغها للغير عبر إشارات. إن الانسان المخترع للإشارات هو في ذات الوقت الانسان الذي يعي ذاته بشكل حاد أكثر فأكثر؛ وأنه لم يتعلم أن يفعل ذلك إلا باعتباره حيواناً اجتماعياً — ولا يزال يفعل أكثر فأكثر. — فكري، كما ترون، هي أن الوعي لا ينتمي في العمق إلى الوجود الفردي للإنسان، بل إلى كل ما يجعل منه طبعاً جماعياً وقطيعياً؛ هي أن الوعي، بالتالي، لم يتطور بشكل دقيق إلا من حيث النفع الجماعي والقطيعي، وأن كل واحد منا رغم رغبته في أن يفهم ذاته فردياً قدر المستطاع، في «أن يعرف نفسه» لا بد أنه لن يفعل شيئاً عداً أن يجلب لوعيه ما هو غير

فردى، ماهو «واسطة»؛ - هي أن فكرنا نفسه يرى باستمرار تقريبا مزيد القيمة بميزة الوعي - ب «عبقريّة النوع» التي تسود فيه - و مترجما ثانية إلى منظار القطيع . إن أفعالنا هي في العمق شخصية تماما وبلا مثيل ، فريدة، وفردية بمعنى غير محدود، هذا شيء لا يرقى إليه الشك ، لكن بمجرد ما نعيد ترجمتها إلى الشعور تكف عن أن تبدو كذلك . . . تلك هي الظاهراتية ، المنظورية بحصر المعنى ، كما أفهمها : إن طبيعة الوعي الحيواني تتضمن أن العالم الذي يمكن أن نعيه ليس إلّا عالما سطحيا ، عالم إشارات ، عالما معمّما ، مبتذلا - أن كل ما يصير شعوريا يجد نفسه للوهلة ذاتها مسطحاً ومصغّراً ومنقصاً إلى حدّ بلادة المقوّل القطيعي ؛ أن كل وعي يرجع إلى عملية تعميم وتسطيح وتزوير، إذن إلى عملية مُفسدة بالأساس . في الختام ، إن الوعي يشكل خطراً بتطوره ذاته ، وكل من عاش بين الأوربيين الأكثر وعياً يعلم أنه مريض . ليس ما يشغلني هنا ، كما يمكن أن تحزروه ، هو التعارض بين الذات و الموضوع : أدع مثل هذا التمييز لمنظري المعرفة الذين وقعوا في أنشوطات النحو (هاته الميتافيزيقيا [المخصصة] للشعب) . ويشغلني بشكل أقل التعارض بين «الشيء في ذاته» والظاهرة : لأننا بعيدون عن أن «نعلم» ما يكفي حتى نسمح لأنفسنا للقيام بمثل هذا التمييز . الحقيقة أننا لانمتلك أية آلية صالحة للمعرفة ، للحقيقة : لا «نعلم» (أو نعتقد أو نتصور) أن مقدار ذلك قد يكون نافعا لمصلحة القطيع الإنساني ، لمصلحة النوع : وماله اسم «نفع» هنا ليس في نهاية المطاف سوى اعتقاد ، سوى تصور ، ولربما كانت بالضبط هاته البلادة نفسها ، القاتلة أكثر من كل الأخريات ، والتي سنهلك بسببها يوما .

355 عن أصل مفهومنا لـ «معرفة»

لقد أوحى إليّ التفسير التالي في الشارع : سمعت رجلا من الشعب يقول : «لقد عرفني» - وفي الحين تساءلت : ماذا يمكن أن يقصد الشعب بالمعرفة؟ ماذا يريد حين يريد «المعرفة»؟ لاشيء غير هذا : ردّ شيء غريب إلى شيء معروف . ونحن الفلاسفة - هل قصدنا أكثر من ذلك بمصطلح : معرفة؟ المعروف يعني : الشيء الذي اعتدناه حتى أننا لم نعد نندهش له ، حياتنا اليومية ، قاعدة مانكون قد التزمنا بها ، الحاصل ، كل شيء مألوف : - ما عساي أقول؟ ألن تكون حاجتنا إلى المعرفة هي بالضبط حاجتنا إلى المعروف قبلا؟ [ألن تكون] إرادة العثور ضمن كل ما هو غريب وغير معتاد وارتياحي على شيء لم يعد موضوع إقلاقٍ لنا؟ ألن تكون غريزة الخوف هي التي تحثنا على أن نعرف؟ ألن يكون ابتهاج الذي يكتسب معرفة ابتهاج

الاحساس بأمنٍ مسترجع؟ . . . الفيلسوف الفلاني اعتبر العالم «معروفا» بمجرد ما أرجعه إلى الـ «فكرة» : لكن أليس ذلك لأن الـ «فكرة» (Idée) كانت معروفة ومألوفة لديه قبلها؟ أليس لأنه كان قد توقف تماما عن الخوف من الـ «فكرة»؟ - يا للفضيحة! اكتفاء أولئك الذين يزعمون أنهم يعرفون! لتفحص هذا الخصوص المبادئ والحلول التي يقترحونها لألغاز العالم! إنهم حين يجدون في الأشياء وتحت الأشياء ووراء الأشياء ما هو معروف لنا جيدا، لسوء الحظ، مثلا جدول ضربنا أو منطقنا، أو كذلك إرادتنا وطمعنا، فكم يكونون سعداء لتوهم! لأن «ما هو معروف يُتعرّف عليه ثانية» : إنهم على الإجماع بهذا الخصوص . غير أن أكثرهم تحفظا يزعمون أن التعرف على المعروف أسهل على الأقل من التعرف على الغريب : وسيكون أكثر منهجية مثلا أن ننطلق في «العالم الداخلي» ابتداء من «أفعال الشعور» لأن ذلك هو العالم المعروف فينا أفضل! هذا أفزع الأخطاء! فالمعروف هو المعتاد، والمعتاد هو أصعب ما يمكن «أن نتعرف عليه»، أي أن نتأمله كمشكل، إذن كغريب، كبعيد، كشيء وُضِعَ «خارجنا» . . . اليقين الكبير الذي تبين عنه العلوم الطبيعية بالنسبة إلى علم النفس ونقد عناصر الوعي - وهما علمان يمكن القول أنهما مضادان للطبيعي - يتعلق بالضبط بحقيقة كونها تعتبر الواقع الغريب موضوعا : بينما هناك شيء من التناقض والعبث تقريبا في إرادة اعتبار ما ليس غريبا موضوعاً . . .

356 إلى أي حد ستكون شروط الحياة في أوروبا «فنية» أكثر فأكثر؟

يفرض همّ توفير العيش تقريبا على كل الأوربيين الذكور اليوم - في عصرنا الانتقالي حيث أشياء قليلة تفرض نفسها - دورا محددا، مهنتهم المزعومة : تبقى لبعضهم الحرية الظاهرة لاختيار هذا الدور بأنفسهم، بينما يوصف للأغلبية . والنتيجة جد فريدة : كل الأوربيين الذين بلغوا سنا متقدمة يتهاونون في دورهم، هم أنفسهم ضحية «لعبتهم»، هم أنفسهم نسوا إلى أي حد تصرفت به الصدف والمزاج والتعسف لما قرّر «میل» هم - نسوا كم من أدوار أخرى كانوا يستطيعون لعبها : لأن الأوان قد فات الآن! وبمعنى أدق، لقد أصبح الدور حقيقة طبعاً، والفن أمسى طبيعة . كانت هناك عصور كان الناس فيها يعتقدون بثقة عنيدة، لابل بورع، أنهم مهياؤون شخصيا للمهنة كذا، بالضبط، للحرفة كذا، ولوتجاهلوا بكل بساطة حظ الصدف، حظ الدور، حظ التعسف : وبفضل هذا الاعتقاد نجحت كل أنواع المهن، والتعاونيات، والامتيازات المهنية الموروثة في إقامة

هاته القلاع الاجتماعية الهائلة التي تميز العصور الوسطى، والتي يمكن على كل حال أن نمجدها لما يلي : القدرة على البقاء (- البقاء هنا على الأرض قيمة من الطراز الأول!). لكن هناك، على العكس، عصورا ديمقراطية يتخلل الناس فيها أكثر عن هذا الاعتقاد، بينما تأخذ وجهة نظر معاكسة أهمية بالغة بجسارة، [مثل] الاعتقاد الأثيني الذي بدأ يتأكد في عصر بيريكليس، والاعتقاد الأمريكي الحاضر الذي ينحو أكثر فأكثر ليصبح أوريبيا : هناك أقنع الفرد بأن يكون قادرا على كل شيء، بأن يكون في مستوى أي دور، بينما كل واحد يجرب نفسه، يرتجل، يجرب ثانية، يجرب استمتاعا، وأن كل طبيعة تتوقف، تصير فنا... . إننا نعرف أن الإغريق، الذين تورطوا بادیء الأمر في هذا الاعتقاد في الدور - اعتقاد الفنان، إن شئنا - قد خضعوا تدريجيا لتحول غريب لا يستحق أن يقلد بأي وجه من الوجوه : لقد صاروا حقيقة ممثلين، وبما أنهم كذلك فقد خلّبوا لب العالم، فتنوه، وفي نهاية الأمر فتنوا «المهيمنة على العالم» (لأن *græculus histrio* (*) هو الذي هزم روما، وليست الثقافة الهلينية، كما يقول السذج... .) لكن الذي أخشاه، الذي نأخذه الآن أخذا محكما، هذا إن كانت لنا الرغبة في أخذه، هو أننا نحن الرجال العصريون، قد نكون على نفس الطريق تماما : ففي كل مرة يشرع فيها رجل في اكتشاف إلى أي حد يلعب دورا، إلى أي درجة يمكنه أن يكون ممثلا، يصير ممثلا فعلا... . من هذا الطراز نشهد انطلاقة نباتات جديدة، انطلاقة طغمة جديدة من الأفراد لن تعرف كيف تنمو في عصور أكثر جهودا، أكثر محدودية، - أو التي تبعد «إلى أسفل»، تسقط عنها حقوقها المدنية، تُتهم بالفضيحة - وأقول أننا نشهد أهم وأخرق عصور التاريخ حيث «الممثلون»، الممثلون من كل الأصناف هم الأسياد الفعليون. من هنا نرى نوعا آخر من الرجال يلحقه إجحاف أكثر فأكثر وفي الأخير يصير مستحيلا [وجوده]، بدءا بـ «المعماريين» الكبار، بـ «البنائين» الكبار : إن القوة البانية تنضني حاليا؛ المرأة على القيام بمشاريع طويلة الأمد لا تُشجّع، بينما المنظّمون العباقرة بدأوا يتناقصون : - من سيجرؤ بعد الآن على القيام بمشاريع سيستغرق إتمامها آلاف السنين؟ نرى في الواقع هذا الاعتقاد الأساسي تحبو جذوته، والذي بفضلله يمكن لرجل أن يعد، أن يعد أن يستبق المستقبل بمشاريعه، أن يضحى من أجل هاته الأخيرة بشكل لا تكون معه لرجل قيمة ولا معنى إلا بما هو حجر في صرح شاسع : لهذا يجب عليه قبل كل شيء أن يكون صلبا، أن يكون «حجرا»... .

(*) الممثل الاغريقي .

لامثالا - بالخصوص . باختصار - سيخفونه لمدة طويلة مع الأسف! - إن الشيء الذي لن يُبنى انطلاقاً من الآن ، الذي سوف لن يبنى أبداً ، هو - مجتمع بالمعنى القديم للكلمة : فلبناء مثل هذا الصرح ينقص كل شيء بدءاً بسواد البناء . نحن كلنا لم نعد مواد بناء مجتمع : هاته حقيقة موضع اهتمام وعناية ! لايهمني في هذه اللحظة أن يظن السادة الإشتراكيون ، وهم أحسر أنواع الرجال ، ربما أشدهم إخلاصاً كذلك ، لكنهم الأشد ضجيجاً في الحاضر على كل حال ، أن يظنوا ، أن يأملوا ، أن يحلموا ، وقبل كل شيء أن يعلنوا ويكتبوا ما يقارب العكس من ذلك : كلامهم عن المستقبل منذ الآن : «مجتمع حرّ» يمكن أن يقرأ على كل الطاولات ، على كل الجدران . مجتمع حرّ؟ جميل جداً! ومع ذلك ، أيها السادة ، بماذا ستبنون مثل هذا المجتمع إذا؟ إنكم لاتجهلون ، بحديد الخشب! حديد الخشب المشهور! بل ليس حتى من الخشب . . .

357 عن المسألة القديمة : «ما الذي هو ألماني؟»

لنعدّ في سرّنا مكاسب الفكر الفلسفي بحصر المعنى ، والتي يرجع الفضل فيها لعقول ألمانية : هل يمكن أن تعزى بشكل مشروع لمجموع العرق؟ هل نستطيع أن نقول : إنها ، في ذات الوقت ، عمل «الروح الألمانية» ، على الأقل علامتها ، بالمعنى الذي اعتدنا به اعتبار فكرة أفلاطون عن الهوس وجنونه الشبه - ديني بالأشكال حدثاً وشهادة في ذات الوقت على «الروح الهلينية»؟ أم سيكون العكس صحيحاً؟ هل تكون مكاسب المعرفة هاته فردية جداً واستثنائية جداً بالنسبة لعقل العرق على ما كانت عليه وثنية غوته مثلاً ، دون إحساس بالخطأ؟ بالقدر الذي هي عليه بين الألمان ميكيافيلية بسمارك ، «سياسة (ه) الواقعية» المزعومة ، براحة ضمير؟ تُرى هل يناقض فلاسفتنا حتى حاجيات «الروح الألمانية»؟ باختصار ، هل كان الفلاسفة الألمان فعلاً - ألماناً فلاسفة؟ - سأذكر بثلاث حالات . أولاً وضوح لايبنتز الفريد الذي منحه الحق ليثبت ، ضد كل من تفلسف قبله وليس ضد ديكارت فقط ، بأن الشعور ليس إلّا عرض التمثيل (accident de la représentation) لاصفته الضرورية والأساسية ، بأن ما نسميه بالتالي شعوراً ، بعيداً عن أن يكون عالماً الروحي بل والنفسي ، لايشكل منها إلا حالة ربما مَرَضِيَّة) : - هل تدل هاته الفكرة ، التي لم يُسَبَّرْ عمقها اليوم ، على شيء ألماني؟ هل هناك من سبب لكي نشك في أن لاتينيا كان سيصل بسهولة لعكس الظاهر هذا؟ - لأن ذلك عكس فعلاً . لتذكر في المرتبة الثانية علامة الاستفهام الكبيرة التي وضعها كانط بجانب مفهوم «السببية» ، - لا

لأنه عارض مشروعية هذا المفهوم كما فعل هيوم (Hume) : لقد شرع بالأحرى وبحذر في تحديد المجال الذي لا يزال فيه لهذا المفهوم نفسه معنى (ولازلنا لم ننته من هذا التحديد بعد). لتأمل في المرتبة الثالثة هذا العمل الجريء المدهش الذي زعزع به هيغل كل عادات وسهولة المنطق حتى تجرأ على تعليم أن المفاهيم النوعية تنمو *واحدتها من الأخرى* : الفرضية التي بفضلها هيئت العقول في أوروبا لآخر أحد أكبر الحركات العلمية، الداروينية - لأنه لاداروين بدون هيغل. في هذا الإبداع الهيجلي الذي كان الأول في إدخال مفهوم «التطور» في العلوم، هل يوجد شيء ألماني؟ - نعم، دون أدنى شك : في الحالات الثلاث المذكورة نحس بشيء من طبيعتنا الخاصة قد «كُشفَ، حُزِرَ» وإننا نندهش لذلك ونمتنّ له في نفس الوقت، فكل واحدة من هاته الفرضيات الثلاث تشكّل جزءا لا يستهان به من معرفة، من تجربة وانفعال الروح الألمانية نفسها. فعند لايبنتز نشعر بأن : «عالمنا الداخلي أكثر غنى، أكثر امتداد، وأكثر خفاء»، مع كائط نشك كألمان في القيمة القطعية للمعارف العلمية، كما نشك فضلا عن ذلك، في كل ما تسهل معرفته سببياً : حتى الممكن معرفته ذاته يبدو لنا بما هو كذلك ذا قيمة أقل. إننا نحن الألمان هيجليون، حتى ولو لم يوجد هيغل أبدا، [وذلك] بما نمنح، غريزيا (على عكس اللاتينيين)، للصيرورة وللتطور من مدلول أعمق، من قيمة أغنى مما نمنحه لما هو «كائن» - قلما نؤمن بمشروعية مفهوم الـ «كينونة» - ؛ هيجليون بمقدار ما لم نعد ميالين للسماح لمنطقنا بأن يكون المنطق نفسه، أن يكون النوع الوحيد من المنطق (نودّ بالأحرى أن نفتنع بأنه لن يكون إلا حالة خاصة، ربما أغرب وأبلد حالة -). السؤال الرابع سيكون معرفة ما إذا كان شوبنهاور بتشائمه، أي بمسألة قيمة الوجود، ألمانيا حتما. لا أعتقد ذلك إطلاقا. إن الحدث الذي بعده كنا سنتظر هذه المسألة بيقين، حتى أن منجم الروح كان بإمكانه أن يحدد يومها وساعتها قبلا، أي تدهور الإيمان بالإله المسيحي وانتصار الإلحاد العلمي، يشكل حدثا أوروبيا عاما يحق لكل الأجناس أن يكون لها فيه نصيبها من الفضل والشرف. بالمقابل، يجب أن نعزو إلى الألمان بالضبط - إلى هؤلاء الألمان المعاصرين لشوبنهاور - واقع تأخير انتصار الإلحاد هذا لمدة طويلة وبطريقة خطيرة؛ وقد كان هيغل خاصة مؤخره بامتياز، طبقا للمحاولة الكبيرة التي قام بها ليقنعنا ببربانية الوجود، في نهاية المطاف، بواسطة حاستنا السادسة نفسها «الحاسة التاريخية». لقد كان شوبنهاور، باعتباره، فيلسوفا، أول ملحد مُعلن وعنيد وُجد بيننا نحن الألمان : هنا كان يكمن السبب الحقيقي لعداوته مع هيغل.

لقد كانت الصبغة غير الربانية للوجود بالنسبة إليه شيئاً مباشراً، واقعياً، لأيناقش! كان يفقد هدوءه كفيلسوف ويَحْتَدُّ كلما رأى أحداً يتردد في هذا الموضوع ويلجأ للّفّ والدوران. هنا يكمن صدقه: الإلحاد التام والصادق هو في الواقع الشرط المسبق لطريقته في طرح المسائل باعتباره نصراً اكتسبه الوعي الأوربي في النهاية بعناء، باعتباره العملية الأغنى من حيث العواقب لتأديب روح الحقيقة، الألفي مضاعفة، التي انتهت برفض كذبة الإيمان بالإله... نرى هنا إجمالاً الشيء الذي حققه النصر على الإله المسيحي: الأخلاقية المسيحية ذاتها، مفهوم الصدق الذي أخذ بمعنى صارم أكثر فأكثر، دقة الشعور المسيحي الذي طوّره المعرفون، مُترجماً إلى شعور علمي و متسامياً فيه حتى الوضوح الفكري بأي ثمن. اعتبار الطبيعة كدليل على الرأفة والرعاية الإلهية؛ تفسير التاريخ بالحق الإلهي باعتباره شاهداً أزلياً على القصدية الأخلاقية للنظام الكوني؛ تفسير تجاربنا الخاصة بالمعنى الذي فسّر به أناس أتقياء تجاربهم منذ أمد طويل كما لو أن كل شيء فيها ليس سوى عطاء وإشارة وإنذار من العناية الإلهية، وأن الكل أسهم في خلاص الروح بالمحبة: هذا شيء انتهى منذ الآن، هذا شيء مناقض للشعور، هذا ما يحس به كل شعور رقيق الآن كشيء غير مهذب، كسوء نية، كتضليل، كأثوية، كضعف، كجبن - وإنه لفضل هاته الصرامة، إن كان لابد أن يكون بفضل شيء ما، نحن في الواقع أوريون صالحون، ورثة أطول وأشجع سيطرة على الذات برهنت عليها أوربا. والحالة أنه بمجرد ما نلقي بالتفسير المسيحي بعيداً عنا وندين «مدلوله» كعملة مزورة، يهاجمنا السؤال الشوبنهاوري بأشنع طريقة: هل للوجود معنى واحد فقط؟ - سؤال سيحتاج إلى بضعة قرون ليُدرك في كل أعماقه. الجواب الذي أعطاه شوبنهاور نفسه كان فيه - لتغفروا لي ذلك - شيء من التسرع، من الصبيانية، لم يكن سوى نوع من التوفيق وشبه تورط في المنظورات الأخلاقية الزهدية بالضبط - المنظورات المسيحية التي انفصل عنها الاعتقاد والإيمان بالإله في ذات الوقت... لكنه في الأخير قد طرح السؤال - كأوربي صالح، كما أسلفت، وليس كألماني. - أم هل برهن الألمان صدفة، على الأقل بالشكل الذي استولوا به على السؤال الشوبنهاوري، على انتمائهم الحميمي لهاته المسألة، على تجانسهم معها، على الحاجة التي كانت لديهم في أن يروها تُطرح؟ فواقع كونهم في ألمانيا تأملوا وناقشوا المسألة التي طرحها شوبنهاور، بعد رحيله - في تاريخ جد متأخر فضلاً عن ذلك بالرعونة الفريدة للتشاؤم البعد - شوبنهاوري؛ - لقد تصرّف الألمان بالنظر إلى ذلك كما لو لم يكونوا في

بيئتهم بشكل جلي . ومن خلال هذا لأشير إطلاقاً إلى إدوارد فون هارتمان ؛ بل على العكس ، اليوم أيضاً لازلت لم أتحلّ عن شكّي القديم بخصوصه ، إني اعتبره ماهراً جداً بالنسبة لنا نحن ، أعني أنه لم يفعل شيئاً منذ البداية كمخادع ذكي غير أن يستـزيء بالتشاؤم الألماني - بل وإنه يستطيع ، في نهاية المطاف أن «يورث» للألمان عن طريق الوصية ، الطريقة التي خدعوا بها هم أنفسهم في عز عصر التأسيسات . أتساءل والحالة هذه : هل يجب أن أذكر إكراماً للألمان هذا الخذروف العتيق الهارّ : بانسن (Bahnsen) ، الذي ظلّ سحابة حياته يدور بلذّة حول بؤسه «الواقعي الجدلي» ، وحول «نحسه الشخصي» - أيكون حتى هذا بالصدفة ألمانياً؟ (أنصح بلا إلحاح بأعماله باعتبارها علاجاً ضد التشاؤم . قد جرّبته أنا نفسي ، خاصة بسبب علم نفس (أعماله) الأنيق (*)) ، وهي فعالة فيما أعتقد ضد إمساك الروح و الجسد الذي لا يطاق) . أم هل نستطيع أن نعد ضمن الألمان الأقحاح صنف الانفعاليين والفتيات المسنّات مثل حوارى العذرية الملقّ : ما ينلاندر (Mainländer)؟ في الختام سنكون قد تعاملنا مع يهودي (— كل اليهود يبدون ملقين بمجرد أن يشرعوا في الوعظ) . لايسهم لا بانسن ، لا ماينلاندر ولا إ. فون هارتمان بالخصوص بمعطى يقيني في مسألة معرفة إن كان تشاؤم شوبنهاور ، ونظرته المروّعة بعالم عارٍ من كل طبيعة ربّانية ، بعالم صار بليداً ، أعمى ، أحمق ، مشبوهاً ، ورعب شوبنهاور الصادق هذا . . . إن كانت كلها تشكل ليس فقط حالة استثنائية ضمن الألمان ، بل أيضاً حدثاً ألمانياً ؛ بينما كل ما يقع في المرتبة الأولى ، سياستنا الشجاعة ، وَطَنِجيتنا (Patriotardise) المرحّة التي تنظر الى كل شيء حسب مبدأ فلسفي شيئاً ما ("Deutschland, Deutschland, über alles") (***) إذن Sub specie spe- (***) والحوالة أن Sub Specie من Species (****) الألماني يبرهن بشكل لا يرقى إليه الشك على العكس . إلا إن ألمان اليوم ليسوا تشاؤميين البتة ! ولنقله مرة أخرى ، لقد كان شوبنهاور تشاؤمياً باعتباره أوربياً صالحاً لا باعتباره ألمانياً .

358 ثورة المزارعين في ميدان الروح

نجد أنفسنا ، نحن الأوربيون ، أمام حقل هائل من الانقراض حيث لازالت أشياء كثيرة تنتصب واقفة ، حيث لازالت أشياء كثيرة نخرة وذات مظهر مخزن ، بينما

(*) Leur elegantiae Psychologicæ

(**) ألمانيا ، ألمانيا فيما وراء كل شيء .

(***) نوع دون سائر الأنواع .

(****) والحالة أن النوع الثاني من العرق الألماني .

الجزء الكبير المنهار منشور على الأرض ، مغطى بأعشاب برية كبيرة وصغيرة ، ولكل ذلك أثر رُسومي بالغ - أين وُجِدَت قط أنقاض أجمل من هاته؟ - حاضرة الانحطاط هاته هي الكنيسة : نرى مجتمع المسيحية الديني مزعزعا حتى أعماقه ، - الايمان بالإله صريع ، مقلوب ، بينما يخوض الاعتقاد في الزهد المسيحي المثالي معركته الأخيرة . فعملٌ قد بُني بصبر وعمق مثل المسيحية - التي كانت آخر صرح روماني! - لم يكن ممكنا بداهة أن يهدم بضربة واحدة : لقد تطلب الأمر كل أشكال الزلازل ، كل أصناف العقول التي تثقب ، تحفر ، تقرض ، تضعف وتُفَكِّك . غير أن أغرب ما هنالك : أن أولئك الذين بذلوا ما في وسعهم للإبقاء على المسيحية ، للحفاظ عليها ، قد أصبحوا أفضل مخربيهما ، - إنهم الألمان . يبدو أن الألمان لا يفهمون جوهر الكنيسة . أيكون ذلك لأنهم ليسوا روحانيين ولا حذرين كثيرا؟ يركز صرح الكنيسة على كل حال على حرية وسخاء روح جنوبيين ، وكذلك على حذر جنوبي بخصوص الطبيعة والإنسان والعقل - يرتكز على معرفة الإنسان ، على تجربة أناس تختلف تماما عن التي عرفها الشمال . لقد كان الإصلاح اللوثري ، على امتداده ، الثورة الناقمة للبساطة ضد شيء «مَهْدَب» ، كي نتحدث بحذر ، كانت سوء تفاهم شنيع وساذج ، فيه كثير مما يُغْفَرُ ، - لم يكن الناس يفهمون تعبير كنيسة مُتَنَصِّرة ولم يكونوا يرون فيه إلا فسادا ، كانوا يسيئون الحكم على الشكوكية الأرستقراطية ، ترف الشكوكية والحلم الذي تخوله لنفسها كل قوة متتنصرة واثقة من نفسها . . . يبدو اليوم واضحا كم كان لوثر يتصرف بشكل مشؤوم ، سطحي ، بلاروية ، بطيش ، في كل المسائل الأساسية للقوة ، كرجل من عامة الناس بالخصوص ، ينقصه إرث طبقة مهيمنة ، تنقصه غريزة القوة : بحيث أن عمله وإرادته إعادة بناء مثل هذا الصرح الروماني كانا بشكل لا إرادي ولا شعوري أصل مشروع للهدم . لقد شرع في نقض ما عزلته العنكبوت القديمة بعناء وصبر وفي تقطيعه بسخط معلن . لقد سلم الكتب المقدسة لكل واحد - وبهذا انتقلت هاته الكتب إلى أيدي فقهاء اللغة ، أي إلى هادمي كل عقيدة تركز على كتب . لقد هدم مفهوم الـ «كنيسة» برفضه الاعتقاد في إلهام المجاميع الدينية : لأن مفهوم الكنيسة يحافظ على قوته بالافتراض قبلها أن العقل المُوحي الذي أسس الكنيسة ما يزال حيا فيها ، [مستمر] في بناء ومتابعة بناء منزله . لقد أعاد إلى القس المتاجرة بالمرأة : والحال أن ثلاثة أرباع الاحترام الذي يقدر عليه الشعب ، وامرأة الشعب قبل كل شيء ، تركز على الاعتقاد بأن رجلا بارعا في هذا الموضوع لن يكون أقل من ذلك في مواضيع أخرى ، - في الواقع ، لقد وجد

الاعتقاد الشعبي في [وجود] شيء فوإنساني في الإنسان ، في الاعتقاد في المعجزة ، في [وجود] الإله المخلص في الإنسان ، وَجَدَ هناك أيضا محاميا بارعا وجذابا . لقد كان على لوثر ، بعد ما ردّ المرأة للقس ، أن يجرده من الاعتراف السمعي ، الشيء الذين كان عادلا نفسيا : غير أن القس المسيحي قد حُذِفَ إجمالا بهذا الفعل ، وهو الذي كان نفعه العميم أن يكون دائما أذنا مقدّسة ، بئرا من الصمت ، قبرا للأسرار . «كل واحد قسّ نفسه» تحت مثل هاته الصيغ ومكرها المزارعي كان يكمن كره لوثر الشديد لـ «الإنسان المتفوق» ، لهيمنة «الإنسان المتفوق» مثلما تصوّرتُ الكنيسة : - لقد هدم مثلا أعلى لم يعرف كيف يصل إليه في حين كان يبدو وكأنه يصارع فساد هذا المثل الأعلى ويكرهه . في الواقع ، لقد رفض هذا الراهب البغيض هيمنة Homines religiosi* : لم يكن إذن يفعل شيئا داخل النظام الكنسي سوى إثارة - «ثورة المزارعين» التي كان يحاربها بكثير من التعصب مراعاة للنظام المدني . - أما كل ما نما انطلاقا من إصلاحه ، من قبيح أو حسن ، والذي يمكن تقييمه تقريبا اليوم - فمن سيكون ساذجا ليلوم لوثر ببساطة أو ليمدحه بسبب مثل هاته النتائج ؟ إنه بريء من كل شيء ، إنه لم يكن يدري ما كان يفعله . لقد خطا تسطيح العقل الأوربي ، خاصة في الشمال ، خطت ساذجته ، إن شئنا التعبير عن ذلك بمصطلح أخلاقي ، خطوة جبارة إلى الأمام بفضل الإصلاح اللوثيري ، هذا شيء لا يرقى إليه الشك : كما تطورت بفضل ذلك حركية العقل وقلقه ، تعطيّشه للاستقلال ، اعتقاده في حقه في أن يكون حرا ، و [تطورت] «فطرت» هـ . ولو أردنا ، كاعتبار أخير ، أن نعطي للإصلاح فضل تهيبه وتشجيع مانبجله اليوم باعتباره «علوما عصرية» فينبغي أن نضيف بكل بداهة أن له دوره كذلك في فساد العالم العصري ، في قلة احترامه وورزاته وعمقه ، في كل الثقة [التي توضع] في أمور المعرفة وفي بساطة هاته الأمور ، باختصار ، في عامية العقل التي ميزت القرنين الآخرين والتي لم يخلصنا منها إطلاقا حتى التشاؤم الحديث ؛ - وحتى «الأفكار العصرية» تمت بصلة إلى ثورة المزارعين في الشمال ضد عقل الجنوب البارد كثيرا ، الملتبس كثيرا ، الحذر كثيرا ، والذي أقام أفخم أثر له على شكل الكنيسة المسيحية . لاننسى ، في نهاية المطاف ماتشكله الكنيسة ، خاصة بتعارض مع أية «دولة» : فالكنيسة ، قبل كل شيء ، بنية للهيمنة ، تؤمن الدرجة العليا للرجل الأكثر روحانية ، وهي تؤمن بقوة الروحانية لكي تمنع كل لجوء إلى وسائل عنف أشنع - الكنيسة ، بهذا وحده ، مؤسسة أنبل من الدولة بكل اعتبارات . -

359 الانتقام من العقل وأسباب سرية أخرى للأخلاق

أين تظنون الأخلاق - تجد محاميها الشديدي المراس والمكرين إذن؟ هذا إنسان ناقص، ليس له من العقل ما يكفي ليستمتع بذلك ولاله قليل من الثقافة ليتجاهله، إنه ضحجر، مشمئز، كله احتقار لذاته، لسوء حظه فهو محروم، بفضل شيء من الثروة، من العزاء الأخير، من «رحمة العمل» من نسيان الذات في «العمل اليومي»؛ مثل هذا الرجل الذي ينجل من وجوده إجمالاً - ربما يخفي، علاوة على ذلك، بعض النقائص الصغيرة - والذي لا يستطيع من جهة أخرى، أن يتوقف عن إفساد نفسه دائماً بشكل أسوأ ولاعن أن يصير سريع التأثر أكثر فأكثر لدى إطلاعه على الكتب التي لاحق له في الإطلاع عليها أو لدى اتصاله بمجتمع جد روحاني بحيث لا يستطيع أن يندمج فيه: مثل هذا الرجل المتسمم - لأن العقل يصبح سماً، [كذلك] الثقافة والثروة والوحدة، كل شيء يصبح سماً لدى هاته الكائنات الناقصة - مثل هذا الرجل، أقول، يقع، في نهاية المطاف، في حالة اعتيادية من الانتقام، من إرادة الانتقام...، مألذي تظنون أنه في حاجة إليه، في حاجة ماسة إليه لكي يسبغ على نفسه مظهر التفوق بالنسبة إلى رجال أكثر روحانية، لكي يحصل على متعة الانتقام التام، في الخيال على الأقل؟ سيكون ذلك الذي يحتاجه دائماً هي الاخلاقية، دون مجازفة الوقوع في الخطأ، [ستكون] دائماً هي الكلمات الرئانة الواعظة، دائماً هي «بمُ بمُ» العدالة والحكمة والقداسة والفضيلة، دائماً هي رواقية الموقف (- كم تخفي الرواقية جيداً كل ما لا يمتلكه المرء!...)؛ دائماً رداء الصمت الحذر؛ والبشاشة والدماشة، ومالا أعلم من أردية المثل الأعلى التي يختفي تحتها محثقرو ذواتهم الزمنيين، وكذلك المغترون الزمنون. لا يغلطن أحد بصدد ما أقول: إنه من هذا الصنف من المولودين أعداء للعقل ينشأ أحياناً هذا الجنس النادر من الانسانية الذي يبجله الناس تحت اسم القديس، [تحت اسم] الحكيم: من هذا الصنف من الناس ينشأ بشعو الاخلاق الذين يثيرون الجلبة، الذين يصنعون التاريخ، - سانت أوغسطين واحد منهم. الخوف من العقل، الانتقام من العقل - أوه! كم مرة من قبل تحولت هاته النقائص الطافحة بالقوة الباعثة إلى جذور فضائل! بل إلى الفضيلة نفسها! - وحتى ادعاء الفلاسفة للحكمة، لكي نتساءل عنه فيما بيننا، الذي توضح أحياناً هنا وهناك على الأرض كأشد الادعاءات خبلاً وبذاءة، - ألم يكن دائماً حتى ذلك الحين، في الهند كما في اليونان، ملجأ قبل كل شيء؟ ربما كان إدعاء الحكمة هذا أحياناً، من وجهة النظر التربوية التي تبرز كثيراً من الكذب، ربما كان مطلوباً كشكل من العناية الرقيقة بكائنات في صيرورة، في

نمو، باتباع غالباً ما يتطلب الأمر حمايتهم من أنفسهم بالاعتقاد في الشخص (بالخطأ) . . . لكن، ألن يكون، في الحالات الكثيرة التكرار، الملجأ الذي يعتزل فيه الفيلسوف، مُتَعَباً، قد أُبْرِدَتْهُ الشيوخوخة، مُحَنَّكاً، بقدر ما يكون ما يترجم ذلك الإحساس بالنهاية القريبة، يُترجم فطنة هاته الغريزة أمام الموت لدى الحيوانات، إنها تتنحى جانباً، تلزم الصمت، تلبد في مغارات، تصبح حكيمة . . . ماعساي أقول؟ الحكمة ملجأ الفيلسوف كي يتملص من - العقل؟ -

360 نوعان من الأسباب نخلط بينهما

هذا ما يبدو لي أنه أحد خطواتي وتقدمي الأساسيين : لقد تعلمت أن أُمَيِّز سبب الفعل من سبب هاته الطريقة أو تلك في الفعل ، من سبب الفعل بالمعنى كذا، من سبب الفعل للغاية كذا . الصنف الأول من السبب هو كم من القوى المتراكمة ينتظر أن يُصَرَفَ بأية طريقة كانت، لأية غاية كانت ؛ الصنف الثاني، بالمقابل، مقارنا مع هاته القوة الجاهزة، شيء تافه تماماً، صُدْفَةٌ صغيرة «يندفع» بواسطتها هذا الكم، منذ ذلك الوقت، بطريقة محدّدة : عود الثقب بالنسبة لبرميل البارود . ضمن هاته الصدف الصغيرة، أعواد الثقب هاته، سأصنّف كل «الغايات» المزعومة، كذلك «المواهب» المزعومة أكثر؛ إنها عرضية نسبياً، كيفية، لامبالية تقريباً بالنسبة للكم الهائل من القوة الذي يستعجل، كما أسلفت، أن يُصَرَفَ بأية طريقة كانت . إننا نتأمل به شكل جماعي من زاوية أخرى : تعودنا أن لانرى القوة الباعثة إلا في الهدف ذاته (غايات، مهن، إلخ)، طبقاً لخطأ قديم جداً، - لكن الهدف ليس سوى القوة الموجهة، ومن جراء هذا خلطنا بين الرّبّان والبخار . بل ليس الهدف دائماً هو الرّبّان، هو القوة الموجهة . . . أليس الـ «هدف» و الـ «الغاية» في الغالب سوى ذريعة زخرفية، سوى عمى إضافي من الغرور الذي لا يريد أن يعرف أن السفينة فقط تتبع التيار الذي تورّطت فيه بالمصادفة؟ أنها لا «تريد» السير في الاتجاه كذا إلا لكونها جرت إليه؟ أن لها اتجاهها دون شك - لكن لارّبان إطلاقاً؟ - لازل ينقصنا نقد لمفهوم «غاية» .

361 بصدّد مسألة الممثل

لقد شغلتنني مسألة الممثل لمدة طويلة : لم أكن على يقين (ولا حتى الآن أحياناً) فيما يتعلق بمعرفة إن كان القضاء على المفهوم الخطير للـ «فنان» سيتم فقط انطلاقاً من ذلك - المفهوم الذي عاملناه حتى الآن بعطف لا يُغتَفَر . الزيف في راحة الضمير؛

اللذة في التظاهر المتفجر كقوة، كابحا للـ «طبع» المزعوم، غامرا إياه أحيانا إلى حد خَنَقِهِ؛ الباطن يرغب في اتخاذ قناع والدخول في دور، في مظهر؛ فائض من ملكات التكيف من كل الأصناف لم تعد تعرف كيف تجد رضاها في خدمة المنفعة المباشرة الضيقة: ربما لا يشكل كل هذا الممثل في ذاته فقط؟... مثل هاته الغريزة ستتكون بسهولة بالغة لدى عائلات من الطبقات الدنيا التي كان عليها، تحت ضغوط وإكراهات مختلفة، أن تؤمن عيشها في تبعية قاسية، أن تدير أفواهها حسب أموالها، أن تتكيف بمرونة مع ظروف دائمة التغير، أن تظهر دائما في مواقف جديدة، وهكذا صارت، شيئا فشيئا، قادرة على «تعلق الرداء في مهب الريح» إلى أن تصبح «رداء» تقريبا حتى باعتبارها سيدة هذا الفن المستوعب والمجسّد، فن لعبة الغمضة الخالد الذي نسميه تقليدا إيمائيا لدى الحيوانات: إلى أن تصبح هاته القدرة كلها، المتجمعة خلال أجيال، مستبدة في النهاية، تصبح غير معقولة، جموحة، وتُعلّم كغريزة، الغرائز الأخرى أن تصدر الأوامر، كما أنها توجد الممثل، الـ «فنان» (ابتداء من البهلول فالمحتال فالمهرج فالبهلوان، وكذلك الوجه الكلاسيكي للخادم جيل بلا (Gil Blas)؛ لأنه في مثل هاته الأصناف نجد ما قبل تاريخ الفنان، وفي غالب الأحيان، ما قبل تاريخ «العبقري»). في شروط إجتماعية أرقى ينمو كذلك، تحت ضغوط مماثلة، نوع مماثل من الأفراد: فيما عدا هذا الاستثناء الذي هو كون غريزة أخرى، هناك، هي التي تتمكن بشكل متكرر، من كبج الغريزة التمثيلية تماما، لدى الـ «دبلوماسي» مثلا، - سأكون إضافة إلى هذا، قريبا من الاعتقاد أنه سيكون سائغا لدبلوماسي جيد أن يكون ممثلا جيدا في كل لحظة شريطة أن يكون هذا بالضبط «مباحا» له. لكن فيما يتعلق باليهود، شعب فنّ التكيف بامتياز، فقد نكون مستعدين، على أساس هاته الأفكار، أن نرى فيهم لأول وهلة مشروعا ذا قيمة تاريخية كونية تقريبا لتكوين الكومديين، مُسْتَنْبَأً للكوميديين بحصر المعنى؛ وهذا السؤال حديث جدا: هل هناك اليوم ممثل جيد ليس - يهوديا؟ اليهودي كذلك، باعتباره وَلَدَ مُعْنَى بالأدب، باعتباره المهيمن الفعلي على الصحافة الأوربية، يمارس هاته القوة التي يمتلكها بفضل ملكات الكوميدي لديه: لأن المعنى بالأدب هو أساسا ممثل - يلعب في الحقيقة دور الـ «ممكن»، الـ «مختص». - أخيرا، النساء: لنفكر في تاريخ النساء كله - ألا ينبغي لهنّ أن يكنّ كوميديات بالخصوص وقبل كل شيء؟ لنُصْغِ إلى الأطباء الذين نوّموا فتيات ما: في الختام،

لِنُحِبُّهُنَّ - لندعهنَّ «ينؤمننَّ» ! ما الذي ينتج عن ذلك دائماً؟ أنهن «يعتبرنَّ أنفسهنَّ» حتى حين - يعطين أنفسهن . . . المرأة فنانة إلى حد بعيد . . .

362 اعتقادنا في ترجل أوروبا

إننا ندين لنابليون (وليس إطلاقاً للثورة الفرنسية التي كانت تسعى إلى «إخاء» الشعوب وإلى تعبيرات عن العاطفة، شاملة ومزخرفة) بإمكان انتظار تعاقب قرونٍ محرّبةٍ لاسابق لها في التاريخ ابتداء من الآن، باختصار، ندين له بدخولنا في العصر الكلاسيكي للحرب، الحرب العلمية والشعبية في نفس الوقت [و] على نطاق واسع (فيما يتعلق بالوسائل و المواهب والنظام)، مرحلة ستأملها الألفيات القابلة استعاديا بغيرة واحترام كقطعة من الكمال : - فالحركة الوطنية التي سينشأ عنها هذا المجدُّ المحرّبي ليست في الواقع سوى ردة فعل تجاه عملية نابليون نفسها، ولم تكن لتظهر لولاه. إذن له سنعترف يوماً بفضل إرجاع التفوق في أوروبا للإنسان على رجل الأعمال وعلى غير المثقف؛ بل ربما على «المرأة» التي ما فتئت تتملقها المسيحية وروح القرن الثامن عشر المتحمّسة، و «الأفكار الحديثة» بشكل أكثر. لقد اثبت نابليون، الذي كان يعتبر الحضارة بأفكارها الحديثة كعدوة شخصية، نفسه بهاته العداوة كواحدٍ من أكبر متممي النهضة؛ هو الذي أعاد إلى الحياة جزءاً كاملاً من الطبيعة القديمة، الجزء الحاسم ربما، جزء الصّوان. وما يُدريك إن لم يكن هذا الجزء من الطبيعة القديمة سيستعيد التفوق على الحركة الوطنية كذلك، ليرث مجهود نابليون ويتابعه بالمعنى الإيجابي : - هو الذي كان يريد أوروبا واحدة، كما نعلم، وذلك باعتبارها سيدة الأرض..-

363 كيف أن للجنسين حكمهما المسبق بخصوص الحب

رغم كل التنازلات التي قد أكون مستعداً لتقديمها لكل حكم مسبق مؤيد للزواج الأحادي فإنني لن أقبل أبداً أن يتكلم الناس عن مساواة حقوق الرجل والمرأة في الحب، فهذا شيء غير موجود. معنى هذا القول أن الرجل والمرأة يقصد كل واحد منهما شيئاً مختلفاً بكلمة حب - ومن شروط الحب لدى الجنسين أن الواحد لا يفترض في الآخر نفس عطاء الإحساس، نفس مفهوم الـ «حب». ما تعنيه المرأة بالحب واضح جداً : عطاء الجسد والروح الكامل (ليس التخلي فقط) دون تقييد ولا تحفظ، يرافقه بالأحرى خجل ورعب عند التفكير في عطاء مشروط وعرضي. إن حبها، في هذا الغياب للشروط، إيمان : ما للمرأة إيمان غيره.. - إن الرجل، حين

يجب امرأة، يتطلب منها هذا الحب بالضبط، فهو نفسه أبعد واحد عن هذا المبدأ القبلي للحب النسائي؛ لكن إذا افترضنا أنه قد وُجد كذلك رجال لم تكن هاته الرغبة في التخلي الكامل غريبة عنهم فإنهم لن يكونوا إذن - رجالا. الرجل الذي يحب مثل المرأة يصير بذلك عبدا؛ لكن المرأة التي تحب كامرأة تصير بذلك امرأة أكثر كمالا... شغف المرأة بتخليها التام عن حقوق خاصة يفترض بالضبط أنه لا يوجد لدى العاشق لاشفقة ولا إرادة تخلي مشاهيئ: لأنه لو تخليا عن نفسيهما، بالحب، فقد ينتج عن ذلك، لست أدري، ربما فضاء فارغ؟ - المرأة تريد أن تؤخذ، أن تُقبل كملكية، تريد أن تزدهر في مفهوم «الملكية»، «أن تكون مملوكة»؛ وبالتالي فهي ترغب في رجل يأخذ، لا يعطي نفسه ولا يتخلي عن نفسه، بالمقابل، عليه أن يصير أكثر غنى في «نفسه» - بفائض قوة، بفائض سعادة، بفائض إيمان، وذلك يشكل ما تعطيه إياه المرأة حين تعطي نفسها. المرأة تتخلي عن نفسها، الرجل ينمو أكثر - لا اعتقد أن أي عقد اجتماعي ولا أفضل إرادة إنصاف سيمكثان من التغلب على هاته الثنائية الطبيعية: يُستحب إلى حد بعيد ألا نصطدم باستمرار بما هو صلب ومرعب وملغز ولا أخلاقي في هاته الثنائية. لأن الحب، مُتصوِّرا في كليته، في رفعته، في كماله، هو طبيعي، وبما أنه كذلك فهو شيء «لأخلاقي» إلى الأبد. - بهذا فإن الوفاء متضمن في حب المرأة، يتفرع عن تعريف هذا الحب نفسه: لدى الرجل يمكن أن يتولد بسهولة من بعد حبه، عرفانا بالجميل، أو بطبع ذوقه، وبالقربة الانتخائية، لكنه لا ينتمي لجوهر حبه، - وهذا أقل ما يمنحنا بعض الحق في التحدث عن تناقض طبيعي بين الحب والوفاء لدى الرجل: هذا الحب ليس سوى إرادة امتلاك وليس تخليا ولا تركا قط: والحالة أن إرادة الامتلاك تتوقف بانتظام بمجرد ما يكون هناك امتلاك... في الواقع، إن ظمأ الإمتلاك الدقيق والحذر لدى الرجل، هذا «الامتلاك» الذي لا يعترف به إلا نادرا، وبشكل متأخر، هو الذي يُوجد الحب لديه، وبهذا يُحتمل أن يزداد أكثر بعد تخلي المرأة - فالرجل لا يقبل بسهولة أن يتبقى للمرأة شيء «تخلي» له عنه. -

364 المتوحد يتكلم

يرتكز فن معاشره الناس أساسا على القبول (المهارة التي تشترط ممارسة طويلة)، مهارة تناول وجبة لايوحي إعدادها المطبخي بالثقة. إذا افترضنا أننا نأتي إلى الطاولة بشهية قوية فإن كل شيء سيمرُّ دون تنافر («رفقة السوء تمكنك من التذوق» - كما يقول ميفستوفليس): لكننا لانجد هاته الشهية القوية في اللحظة المرغوبة! واه،

كم يعسر أشباهنا على الهضم! المبدأ الأول: أن تذهب إليها، كما بعد مصيبة، بكل جرأتك، أن تخدم نفسك بعزم، أن تُعجَب بذاتك، أن تمضع كراهيتك، أن تبلى شمتراذك. المبدأ الثاني: «أن تحسن» شبيهاك، عند الحاجة، ببعض المديح الجدير بجعله يفيض فرحا بخصوصه هو: أو تجرّ طرف واحدة من ميزاتك الحسنة أو «المهمة» إلى أن تظهر فضيلتك كاملة لتُلفَّ شبيهاك في ثناياها. المبدأ الثالث: التنويم المغناطيسي الذاتي. أن تُثبت موضوع معاشرتك مثل زر زجاج إلى أن تقطع كل إحساس باللذة أو بالنفور؛ ينام الناس خفية، يتصلّبون، يكتسبون وقارا: الوسيلة المألوفة الممارسة في الحياة الزوجية وفي الصداقة، وهي متسحّنة كما ينبغي، مقدّرة كشيء لاغنى عنه، لكنها لم تجد تعريفها العلمي. اسمها المألوف هو- الصبر.

365 المتوحد يتكلم مرة أخرى

نحن أيضا نعاشر «أشخاصاً»، نحن أيضا، بتواضع، نرتدي اللباس الذي به يعرفنا الناس، يقدّروننا، يبحثون عنا، ونذهب إلى المجتمع ونحن مرتدين ذلك، أي إلى وسط مُقنّعين لا يريدون أن ننتعهم بذلك: «نحن أيضا نتصرف كأقنعة حذرة، وبظرافة نضع حدا لكل فضول لا يقتصر على تقنّنا». غير أن هناك وسائل أخرى لمعاشرة الناس وسط الناس: [أن نكون] كشبح مثلا - وهو شيء منصوح به كثيرا إذا أردنا أن نتخلص منهم ونجعلهم يخشوننا. الدليل: أنهم يضعون اليد علينا ونبقى متعذّري الإمساك. هذا شيء يُرعب. أو: ندخل من أبواب موصدة. أو حين تكون كل الأنوار مطفأة. أو أيضا: عندما نكون قد مُتّنا. هاته الوسيلة الأخيرة هي وسيلة إنسان مابعد الوفاة (*) بامتياز. («فيم تفكر؟ - أنت؟» قال واحد من هؤلاء [ناس مابعد الوفاة] بجزع ذات يوم، «هل كنا سنكون مستعدين لتحمل مثل هاته الغرابة وهاته البرودة وهذا الصمت الرمسي، لتحمل كل هاته الوحدة الدياسية، المختبئة، الخرساء، الغامضة، التي تُسمّى عندنا حياة، وقد تسمى كذلك موتا، لو لم نعرف ما سيقع لنالو لم نعرف أننا لانصل إلى حياتنا ونصير أحياء إلا بعد الموت، أوه! كم نحن أحياء! نحن رجال ما بعد الوفاة!»).

366 إزاء كتاب علمي

لسنا من أولئك الذين لا يتوصلون إلى تكوين أفكار إلا وسط الكتب، إلا عند إطلاعهم على الكتب - عادتنا نحن هي أن نفكر في الهواء الطلق، ونحن ماشون، ونحن نقفز، نتسلق، نرقص، بالأحرى بين الجبال المنفردة أو القرية جدا من البحر، هناك حيث الطرُق ذاتها مفكّرة. أسئلتنا الأولى المتعلقة بقيمة كتاب، بقيمة إنسان، بقيمة موسيقى، هي: «هل يستطيع أن يمشي؟ فضلا عن ذلك، هل يستطيع أن يرقص؟» . . . إننا نادرا ما نقرأ، دون أن تكون قراءتنا رديئة بسبب هذا - واه! كم نحن سريعون في حزر الطريقة التي انتهى بها أحد ما إلى أفكاره، جالسا، أمام الدواة، البطن معصور، الرأس مكبة على الورق: لكن لكم نحن سريعون كذلك لأن ننتهي من كتابه! يشعر المؤلف بقيمة ألم من أمعاء الكاتب المنضغطة، من الهواء المغلق، من سقف الغرفة ومن ضيقها، لا مجال للشك في ذلك. - تلك كانت أحاسيسي عندما أطبقتُ دفتي كتاب علمي وصادقٍ ممتنا، مفعما بالامتنان، لكن ببعض الارتياح كذلك. . . . فمن كتاب العالم يفوح تقريبا دائما شيء مضايق، شيء متضايق: في مكان ما منه يرشح «المتخصص»، [يرشح] حماسه، جديته، غضبه، تقديره الفائق للزاوية التي يجلس فيها وهو يخترع، وأخيرا موهبته، فلكل مختص موهبته. كتاب العالم يعكس كذلك روحا ملوية: فكل مهنة تجعل [صاحبها] أعوج. يكفي أن نرى أصدقاء شبابنا بعد أن امتلكوا علمهم: آه، كم العكس صحيح دائما، هو الآخر! كم هم منذ الآن مغمورون بالعلم ومملوكون له إلى الأبد! منغرزون في ركنهم، مُغَضَّنون حتى أنهم لا يعرفون من جراء ذلك، مستعبدون، محرومون من توازنهم، مهزولون، مزوون إلا في مكان حيث هم مُدَوَّرون بشكل رائع، - نتأثر عندما نلقاهم كذلك لكننا نصمت. كل مهنة، ولو افترضنا أن لها أساسا من ذهب، توجد تحت سقفٍ من الرصاص لا يفتأ يضغط على الروح حتى يصيرها ملوية، وغريبة الأطوار. لانملك أن نغير من ذلك شيئا. لاتعقدن بالخصوص أننا نستطيع أن نتغلب على مثل هذا التشوه ببعض الأساليب التربوية. فكل نوع من الاستاذية يؤدّي عنه غالبا هنا على الأرض حيث قد يؤدّي غالبا عن كل شيء: لن تكون رجل مهنتك إلا بأن تكون ضحيتها، ذاك هو الثمن. غير أنكم تودون أن تحصلوا عليها بطريقة أخرى - بـ «تكلفة أقل»، بسهولة كبيرة قبل كل شيء، - أليس كذلك، السادة معاصري؟ جزاكم الله خيرا! لكن ما ستحصلون عليه مباشرة إذاك، بدل الصانع والأستاذ، هو المعنى بالأدب، المعنى المرن بالأدب، «المتنوع

التوجه» الذي تنقصه الموهبة بالطبع - غير موهبة إيلائكم الظهر باعتباره قائد شعاع الفكر و «حامل» الثقافة - المعنى بالأدب الذي هو إجمالاً لشيء، لكنه «يمثل» تقريباً كل شيء، يلعب دور المتمكن، «يحل محله» ويتكلف بكل تواضع بأن يجعل الناس يؤدون له ويشرفونه ويحتفلون به عوضاً عن المتمكن. - لا يا أصدقائي العلماء! أبارككم حتى على موهبتكم! وأيضاً على ازدراؤكم للمعنى بالأدب، للمتطفل على الثقافة، على عجزكم عن التكسب بالعقل، على كل أصناف الرأي التي لن يمكن التعبير عنها بالمال! على عدم تمثيلكم لأي شيء لستموه أنتم! أبارككم على إرادتكم الفريدة لأن تصبحوا أساتذة في مهنتكم باحترام كل أستاذية، بكل قدرة، وبالرفض القطعي لكل ما ليس إلا مظهرًا، لشرعية، بريقاً خداعاً، مهارةً لاطائل تحتها، دهماوية، تصنعاً in litteris et artibus (*) - لكل ما لن يدل على نزاهة تامة في العلم والتعلم! (حتى العبقرى لا يعوض مثل هذا النقص، مهما عرف كيف يخدع بهذا الخصوص : ذاك مانفهمه على التو بمجرد أن نتمكن من ملاحظة عمل رسامينا وموسقيينا الموهوبين جدا عن قرب، - الذين يعرفون، وهم كلهم تقريباً يفيضون بالحيلة في الابتكار، بالأساليب، بالذرائع، وحتى بالمبادئ، يعرفون كيف يكتسبون مظهر هاته النزاهة بتصنع وبعد فوات الأوان، مظهر هاته المتانة، في التكوين وفي الثقافة، دون أن ينخدعوا هم أنفسهم، دون أن يُسكتوا إحساسهم الخاص بالخطأ. لأن كل الفنانين العصريين الكبار يُعانون، كما تعلمون جيداً، من الإحساس بالخطأ...)

367 أول تمييز واجب في العمل الفني

كل ما هو متصور، متخيل شعرياً، مرسوم أو مؤلف موسيقياً، أو حتى مبني ومشكل، ينتمي إما إلى الفن المناجاتي وإما إلى الفن أمام شهود. يجب أن نصنف ضمن هذا النوع الأخير كذلك غنائية الصلاة كلها، هذا الفن الذي يبدو مناجاتياً، الذي يتضمن الإيمان بالإله : لأنه ليست هناك وحدة بالنسبة لروح ورعة - هذا الابتكار يرقى [زمنياً] إلينا نحن الذين هم دون إله. لأعلم تمييزاً أعمق [مما يلي] في وجهة نظر الفنان الكاملة : معرفة إن كان يعتبر عمله في تقدم من وجهة نظر الشاهد (ومنها [كذلك] يتأمل «نفسه») أو إن كان على العكس قد «نسي الناس» :

(*) في الآداب والعلوم .

وهو شيء أساسي لكل فن مناجاتي - الفن الذي يكمن في النسيان . الفن الذي هو موسيقى النسيان .

368 الكليبي يتكلم

اعتراضاتي على موسيقى فاغنر اعتراضات فلسفية : فما الجدوى من تقنياتها بصيغ جمالية؟ «الحقيقة» هي أن هاته الموسيقى تجعل تنفسي يضيق بمجرد أن تؤثر علي : في الحين تغضب رجلي وتثور عليها - تريد إيقاعا ، رقصا ، مشيا موزونا ، تنتظر من الموسيقى ، قبل كل شيء ، نشوة في سرعة المشي اللطيفة ، تنتظر قفزا ورقصا . لكن ، ألا تحتج معدتي بدورها؟ وقلبي؟ ودورتي الدموية؟ وأحشائي؟ ألا أصاب بـيُحَة خفية عند سماعها؟ - وهكذا أتساءل : ما الذي ينتظره جسدي كله من الموسيقى إذن؟ ارتياحا ، أظن : كما لو أن سرعة كل العمليات الحيوانية يجب أن تزيد بإيقاعات خفيفة ، جريئة ، مفرطة الحيوية ، واثقة من نفسها ، وأن هاته الحياة البرّزنية والرصاصية قد طُلِيَتْ بذهب تناغم لطيف وحنون . كآبتي تريد أن تستريح في خبايا وثنايا الكمال . لهذا أنا في حاجة إلى الموسيقى . لاتهمني المأساة ! لاتهمني تشنجات هذه الانخطافات المهذّبة التي يجد فيها «الناس» رضاهم ! لاتفيدني تومئة الممثل الدجلية كلها ! . . . حزرتم ذلك ، أنا ذو طبيعة ضد مسرحية بالأساس ، - لكن فاغنر ، بالمقابل ، كان رجل مسرح ومثلا بالأساس ، كان رجل الميم الأكثر حماسا على الإطلاق ، حتى باعتباره موسيقيا ! . . . ولنقل دون إلحاح : إن كانت نظرية فاغنر : «المأساة هي الهدف ، ما الموسيقى إلا وسيلة إليها» - فإن ممارسته منذ البداية حتى النهاية كانت تُظهر على العكس أن «الموقف هو الغاية ، والمأساة ، مثل الموسيقى ، ليست إلا وسيلة لذلك» . الموسيقى باعتبارها وسيلة لتحديد ، لتقوية ، لاستبطان إشارة الممثل الدرامية وسحنته الخارجية : مأساة فاغنر ذريعة فقط لعدد من المواقف الدرامية ! لقد كانت له ، إلى جانب كل الغرائز الأخرى ، غريزة الممثل الكبير المِلْحَة ، وذلك في كل شيء : وكذلك كموسيقي ، كما أسلفت . - هذا ماكنت أحاول إفهامه ذات يوم لأحد الفاغنزيين الأوفياء ، ولم يكن ذلك دون عناء : وكانت لي أسباب معقولة لأضيف : «كن صريحا مع نفسك شيئا ما : لسنا هنا في مسرح ! في المسرح لا يكون لنا صِدْق غير صِدْق الجماعة ؛ نكذب كأفراد ، نكذب على أنفسنا . نترك ذاتنا في الدار حين نذهب إلى المسرح ، نتخلى عن حقنا في أن تكون لنا الشجاعة مثلما نمارسها بين جدران أربعة ضد الإله وضد الناس . لأحد يأتي معه إلى المسرح بحواس فنّه الدقيقة ، ولاحتي الفنان الذي يعمل للمسرح :

هناك لانكون إلا ناسا، جمهورا، قطيعا، امرأة، فريسيا، دابةً انتخابية، ديمقراطيا، مواطنًا، قريباً، حتى الشعور الشخصي جدا يستسلم لِسِحْرِ «العدد الأكبر» المسوّي، تتصرف فيه البلادة باعتبارها اشتهاً وعدوى، وحده الـ «جار» يسود فيه، ونصير فيه نحن أنفسنا جباراً...» (نسيت أن أورد ماقابل به الفاغنيري المتنور اعتراضاتي الفلسجية : «إجمالاً، صحتك ليست على ما يرام لتلائم موسيقانا؟» -).

369 التعايش فينا

ألا يجب علينا، نحن الفنانين، أن نعترف لأنفسنا بأن هناك تنافراً مقلقاً فينا، بأن لكل من ذوقنا وقوتنا المبدعة طريقة غريبة في أن يكون ويبقى لذاته، وبأن لكل واحد منهما نموه الخاص، - أعني أن لهما درجات، أوقاتاً مختلفة تماماً فيما يخص العمر والشباب والنضج والتفتتية والتدعص؟ بحيث أن موسيقياً مثلاً يستطيع أن يبدع أعمالاً قد تناقض كل ما تذوقه وتستلذه أذنه كمستمع مدلل وقلبه كمستمع : ولن يكون بحاجة لأن يعي هذا التناقض ! كما تدل على ذلك تجربة شبه شاقة من فرط تكررها فإنه من السهل علينا أن نذهب في ذوقنا أبعد من ذوق قوتنا المبدعة دون أن نجمدها مع ذلك أو نمنعها من الإنتاج؛ غير أنه قد يحدث العكس - وهذا بالضبط ما أريد أن أثير انتباه الفنانين إليه : إن مبدعاً مثابراً، نوعاً من الإنسان «الأمومي» بكل ما في الكلمة من معنى، الذي لن يكون له همٌّ سوى حَمْلُ عقله ووضعهُ، الذي لن يكون لديه حتى الوقت للتفكير لافي نفسه ولا في عمله ولا ليوازن بينه وبين عمله، الذي لن تعود له حتى الرغبة في ممارسة ذوقه، والذي سينسى هذا الذوق ببساطة، مع احتمال أن يتخلى عنه أو يكف عن الاهتمام به، إن مثل هذا المؤلف قد يتوصل إلى إنتاج أعمال لم يعد قادراً منذ مدة طويلة أن يحدد قيمتها : بحيث أنه لن يقول ولن يظن بشأنها إلا حماقات . يبدو لي أن العلاقة العادية بين الفنانين الخصبين وأعمالهم هي هذه - لأحد يجهل طفلاً أكثر من والديه - بل إنها، (لكي نأخذ مثلاً كبيراً، تكشفُ مجموع العالم الشعري والفني في اليونان : هذا العالم ما «عرف» يوماً ما كان يفعله...).

370 ماهي الرومانسية؟

سيذكر الناس، أو على الأقل بعض الأصدقاء، أني كنت قد انقضضت على هذا العالم بأخطاء فادحة وتقديرات مُبالغ فيها، على أية حال، على طريقة امرئ يتمنى. كنت أتصور التشاؤم الفلسفي في القرن التاسع عشر - لكن من يعلم إثر أية

تجارب شخصية؟ - علامة قوة فكر متفوقة، علامة شجاعة جريئة، علامة فيض حياة أكثر من تلك التي ميزت القرن الثامن عشر، قرن هيوم وكانط وكوندياك والحسويين : مازلت أتصوره كذلك حتى بدت لي المعرفة المأساوية كتurf ثقافتنا بحصر المعنى، كنوع التبذير الثمين، السامي، الخطير في هاته الثقافة، لكن كترفيها المشروع كذلك بفضل وفرته. كذلك كنت أفسر الموسيقى الألمانية بحيث أرى فيها تعبيرا عن القوة الديونزوسية للروح الألمانية : كنت أعتقد أنني أبصر فيها الزلزال الذي انصرفت به قوة أصلية كانت مركزة منذ قرون، غير مُبالية بكون كل ما يسمى ثقافة عادة قد أخذ يترنح بنفس الهزة. كما ترون، كنتُ منذ عهد قريب أنكر ذلك الذي يشكل الميزة الخاصة بالتشاؤم الفلسفي وبالموسيقى الألمانية - روما نسيتهما. ماهي الرومانسية؟ كل فن، كل فلسفة يمكن أن يُعتبر كوسائل ملائمة ومساعدة في خدمة الحياة النامية، المصارعة : إنها دائما يفترضان وجود معاناة، وجود كائنات تعاني. لكن هناك صنفين من الكائنات المعانيّة، أولئك الذين يعانون من فيض الحياة، الذين يرغبون في فن ديونيزوسي والذين لهم كذلك رؤية وفهما مأساويين للحياة - وأولئك الذين يعانون من عوز الحياة، الذين يبحثون في الفن وفي المعرفة عن الراحة، عن الصمت، عن البحر الهادئ، عن خلاص الذات، أو على العكس، عن النشوة، عن الانقباض، عن الدهشة، عن الجنون. للحاجة المزدوجة لهذا الصنف الأخير تستجيب رومانسية كل فن، رومانسية كل المعارف، لهاته الكائنات استجاب (ويستجيب) شوبنهاور وفاغنر، لأسمي هذين الرومانسيين المشهورين والمعتبرين اللذين كانا فيما مضى موضوع سوء فهم من طرفي - سوء فهم لم يكن ضارًا بهما إطلاقًا، كما يمكن أن يُغفَر لي [ذلك] بعدل. إن الكائن الغني بالوفرة الحيوية، إن الإله والإنسان الديونيزوسيين يمكنهما أن يتيحاً ل نفسيهما ليس فقط رؤية ما هو مريع وإشكالي لكن كذلك أن يقوموا بعمل مريع وأن يكتبّا على ترف الهدم والتفكيك والنفي : فالشرّ والعبث والقبح تبدو كلها مباحة لـديهما بفضل وفرة في القوى المنتجة والمخسبة القادرة على تحويل كل صحراء، كيفما كانت، إلى بلد خصب. بالمقابل، سيكون الكائن المعاني والفقر من حيث هو من يحتاج الحياة أكثر إلى الوداعة، إلى الصلاح في الفكر وفي العمل، لابل إلى إله، إلى إله للمرضى بصفة خاصة، إلى «مخلص»؛ وهو من سيكون بحاجة كذلك إلى المنطق، إلى الوضوح المفهومي للوجود - لأن المنطق يهدّي، يعطي الثقة - باختصار، سيكون بحاجة إلى نوع من الضيق والتضمين في آفاق متفائلة، جديرة بأن توفر له الدّفء وتطرد الخوف. هكذا تعلمت

شيئا فشيئا أن أفهم أبيقور، [الذي هو] نقيض متشائم ديونيزوسي، وكذلك أن أفهم المسيحي الذي ما هو في الواقع سوى أبيقوري، وهو مثله، رومانسي بالأساس، - وقد تمرن نظري على التمييز أحسن فأحسن لكي أعرف استعمال صيغة الاستقراء الصعبة والخذاعة التي هي أصل الكثير من الأخطاء - تلك التي ترقى من العمل إلى المبدع، من الفعل إلى الفاعل، من المثل الأعلى إلى من هو في حاجة إليه، ومن كل أسلوب فكر واستحسان إلى الحاجة التي تحدده بالحاح. - إنني أستعمل هذا التمييز الأساسي منذ الآن أمام كل قيمة جمالية: عند كل حالة خاصة أسأل «إن كان الجوع أم التخممة هو الذي صار مبدعا هنا؟». لأول وهلة يبدو نوع آخر من التمييز مرغوبا فيه أكثر - الأكثر بداهة من ضمن كثير من التميزات - وهو أن نبرهن إن كانت الرغبة في الثبات، في التخليد، في الكينونة، هي أصل الفعل المبدع، أو إن كان أصله، على العكس، هي الرغبة في الهدم، في التغيير، في الجديد، في المستقبل، في الصيرورة. لكن إذا تأملنا نوعي الرغبة هذين، بعمق أكثر، فإنهما سيبدوان قابلين لتفسير مزدوج، وهذا بالضبط حسب طريقة التمييز التي أشرت إليها والتي تبدو لي أنها تستحق التفضيل بحق. فالرغبة في الهدم، في التغيير، في الصيرورة، قد تكون تعبيرا عن قوة المستقبل الضخمة الوافرة (مصطلحي للدلالة عليها، كما هو معلوم، هو كلمة «ديونيزوسية»). غير أن هاته الرغبة يمكن أن تكون حقد هذا الذي هو ناقص، محروم، سيء الحظ، الذي يهدم، الذي عليه أن يهدم لأن الوضع الموجود، بل كل وجود، كل أشكال الكينونة تصدمه وتُسَخِطه - فما علينا، لكي نفهم هاته الشهوة، إلا أن نتأمل فوضويتنا. إرادة التخليد كذلك تتطلب تفسيراً مزدوجاً. فهي من جهة، قد تأتي من إحساس بالامتنان والحب: - وفن من هذا الأصل سيكون دائما فنا تمجيدا، ربما تقريظيا لدى روبنز (Rubens)، ساخرا بهدوء لدى (Hafiz)، جليا وخفيا لدى غوته، مغلفا كل شيء بضياء مجيد هوميروسي. لكنها، من جهة أخرى، قد تكون الإرادة الاستبدادية لكائن مصاب بمعاناة بليغة، كائن مصارع، معذب، يطمح لأن يفرض الطابع الإكراهي لقانون كوني على طبع معاناته ذاته، على ما هو فيها شخصي وخاص وضيق، كائن ينتقم بشكل من الأشكال من كل الأشياء بكونه ينحت صورته، فيها، يسمها بحديد صورته الأحمر، حديد نكاله. هذا ما يشكل التشاؤم الرومانسي في أبلغ أشكاله، سواء كفلسفة الإرادة الشوبنهاورية أو كموسيقى فاغنرية: - التشاؤم الرومانسي آخر أكبر حدث في قدر ثقافتنا. (أن يوجد تشاؤم مخالف تماما، تشاؤم كلاسيكي - هذا تصوّر ساذج ورؤيا أملكها

باعتبارهما لايفصمان عني، باعتبارهما (*) mon proprium et ipsissimum : إلا أن تعريف «الكلاسيكي» يصدد أذني، إنه مصطلح صار، من فرط استعماله، مدوّراً ولايمكن التعرف عليه . تشاؤم المستقبل هذا - لأنه آت! لأني أراه آتيا! أسميه التشاؤم/الديونيزوسي).

371 نحن المبهمون

هل حدث أن اشتكيننا من كوننا أسيء فهمنا، أو لم يتعرّف عليناأو، لم نُميز (من آخرين)، أو افترى علينا، أو أسيء سماعنا أو لم نسمع قط؟ هنا بالضبط يكمن نصيبنا - أوه! لمدة لاتزال طويلة! بكل تواضع، حتى 1901 - وهنا كذلك يكمن سموتنا، لن يكون لنا تقدير كبير لأنفسنا لو أردناه [نصيبنا] أن يكون بخلاف ذلك . إننا نقر بالغموض - الحقيقة هي أننا نحن أنفسنا في نمو، نخلع عنا قشورا بالية، في تغير دائم، نكتسب جلدا جديدا كل ربيع، لانفتا نصير شبابا أكثر فأكثر، نصير مُستقبلين، شاخين، أقوياء، نغرس جذورنا دائما بقوة أكبر في الأعماق - في الشر - بينما في الوقت نفسه نعانق السماء دائما بحب وسعة أكثر، وبكل أغصاننا، بكل أوراقنا نمتص ضوءها بتعطش . إننا ننمو مثل الأشجار، مثل كل ماهو حي، هذا ما يستعصي على الفهم، - ولسنا ننمو في مكان واحد فقط، بل في كل مكان، لافي اتجاه واحد فقط، بل بقدر ماننمو إلى الأعلى، إلى الخارج، ننمو إلى الداخل وإلى الأسفل، - قوتنا تعمل في نفس الوقت في الجذع، في الأغصان، في الجذور، لم نعد نملك أن نفعل شيئا بشكل أفضل أو أن نكون شيئا منفصلا . . . هنا إذن نصيبنا، كما أسلفت؛ ننمو إلى الأعلى حتى وإن كان ذلك مُميتا لنا - لأننا نسكن قريبا من الصاعقة أكثر فأكثر! - نعيمًا هو، فنحن لانحطّ من شرفها بهذا، ويبقى هذا الشيء هو ما لانريد أن نقتسمه ولا أن نكشفه، إنه لعنة العلو، لعنتنا . . .

372 لماذا لسنا مثالين

فيما مضى كان الفلاسفة يخشون الحواس : ترى هل - نكون قد نسينا هاته الخشية؟ كلنا اليوم حسّويون، نحن الفلاسفة الحاليون والآتون، ليس فقط فيما يخص النظرية، لكن فيما يخص التطبيق العلمي (Praxis) والتطبيق (Pratique) أيضا. بالمقابل، كان أولئك الفلاسفة يعتبرون أن الحواس تكاد تجرهم خارج

(*) باعتبارهما ملكيتي ومثلي .

عالمهم، خارج مملكة «الأفكار» الباردة، إلى جزيرة خطيرة وأكثر جنونية. كانوا يخشون أن تذوب فينا قواهم كفلاسفة كما يذوب الثلج في الشمس. «الشمع في الآذان» ذلك كان، فيما مضى، الشرط القبلي للتفلسف تقريبا: لم يكن لفيلسوف أصيل أذان صاغية للحياة، وبقدروا هي الحياة موسيقى كان هو ينكر موسيقى الحياة، - وإنها لخرافة فيلسوف قديمة أن تُعتبر كل موسيقى صوت صفارات إنذار. - والحال أننا اليوم قد نكون مدعوين لاعتقاد العكس (الشيء الذي قد يكون خاطئا كذلك)، يعني أن الأفكار، بكل مظهرها البارد والأنيمي، ورغم أن هذا المظهر أسوأ من الحواس في الإغواء، - فقد عاشت دائما بـ «دم» الفيلسوف، لقد أفرغت حواسه دائما، بل حتى «قلبه» إن شئتم أن تُصدقونا. لقد كان هؤلاء الفلاسفة القدماء دون قلب: كان التفلسف دائما يقتضي نوعا من الهاموية. ألا تشعررون لدى مثل هاته السيء، كسيما سبينوزا، بشيء مُلغز ومُقلق بشكل بالغ؟ ألا تفهمون هذا العرض الذي يقدم هنا، هذا الامتناع التدريجي - فقدان الحواس الذي يُعطى تفسيراً مثاليا أكثر فأكثر؟ الاتحادسون في الخلفية عُلقةٌ ظلت مخبئة طويلا، تبدأ بمهاجمة الحواس، وفي نهاية المطاف لا تُبقي ولا تترك شيئا غير العظام، غير الاصطكاك؟ - أعني اصطكاك الأصناف والصيغ والكلمات (لأن كل ما بقي من سبينوزا، وليُغفر لي ذلك، أي *amor intellectualis Dei* (*) ليس إلا اصطكاكاً، لا غير! فما معنى حب، ما معنى إله، دون أدنى قطرة دم؟...) الحاصل: أن كل مثالية فلسفية كانت حتى الآن نوعا من المرض، حين لم تكن احتياطاً صحة خطيرة ومفرطة الحيوية، وهي حالة أفلاطون، حين لم تكن خشية قوة زائدة بخصوص الحس، حين لم تكن حكمة سقراطي حذر. - ألسنا، نحن العصريون، أصحاب جدا حتى تكون مثالية أفلاطون ضرورية لنا؟ وإنما نخشى الحواس، لأن...

373 الـ «علم» باعتباره حكما مسبقا

ينتج عن قوانين التراتبية أنه لا يجب السماح إطلاقا لبعض العلماء، لانتماهم للطبقة المثقفة الوسطى فقط، بالاطلاع على المسائل وعلى علامات الاستفهام الكبيرة بحصر المعنى؛ فلاشجاعتهم ولا نظرتهم سيكفيان في ذلك، - فحاجتهم التي تجعل منهم باحثين قبل كل شيء، وطريقتهم في التوقع والتمني داخليا أن تتشكل الأشياء بهذا الشكل أو ذاك، وخوفهم وأملهم، كلها تنتهي إلى أن تهدأ وترضى قبل الأوان.

(*) الحب الإدراكي للإله.

فالشيء الذي يحمّس هذا المتحدّق الانجليزي، هربرت سبنسر، مثلاً، على طريقته، ويفرض عليه أن يرسم حداً لأمله، أن يرسم خطاً أفق للأشياء المرغوبة، هذا التصالح الأخير بين «الأنانية والغيرية» الذي يجعله يُحرّف، هذا شيء جدير بأن يثير تفرّزنا نحن: أن إنسانية بمثل هاته المنظورات السبنسرية كمنظورات أخيرة قد تبدو لنا جديرة بالازدراء، بالإفناء! لكن حقيقة كونه أحس بشيء باعتباره أملاً أسمى، وهو شيء يحسّ به الآخرون، ولا يملكون أن يحسوا به بشكل مشروع إلا كإمكانية كريمة، فهذه علامة استفهام لم يكن سبنسر ليتوقعها... نفس الشيء ينطبق على هذا الاعتقاد الذي يكتفي به، في الحاضر، كثير من العلماء الماديين، الاعتقاد في عالم مفروض أن يكون له مُعادل ومقياس في الفكر الإنساني وفي المفاهيم الإنسانية للقيمة، الاعتقاد في «عالم الحقيقة» الذي قد يمكن إدراكه بشكل نهائي عن طريق عقلنا الإنساني المحدود. - ماعساي أقول؟ هل سنقبل حقاً أن ندع الوجود ينحط هكذا إلى تمرينٍ حسابيّ حقير، إلى الحياة البيتية لعالم رياضي؟ لنحذر قبل كل شيء إرادة تجريده من طابعه الغامض: هذا ما يتطلبه الذوق السليم، أيها السادة، خصوصاً ذوق الاحترام، الشيء الذي يتجاوز أفقكم! أن يكون تفسير واحد فقط للعالم هو المشروع، تعيشون فيه أنتم بشكل مشروع، وفيه لن يمكن الاستكشاف ومتابعة العمل عملياً إلا من خلال رأيكم (- تقصدون بطريقة إوالية إجمالاً؟) الذي لا يقبل غير العد، الحساب، الوزن، النظر والفهم، فهذا ليس إلا بلاهة وسذاجة حين لا يكون استلاباً وقماعة. أليس محتملاً جداً، بالمقابل، أن يكون ماهو سطحي وخارجي في الوجود - ماهو ظاهر، جلده، ما يجعله ملموساً - هو أول شيء استطعنا إدراكه؟ بل ربما كان الشيء الوحيد؟ إن تفسيراً «علمياً» للعالم مثلما تقصدونه أنتم سيبقى بالتالي واحداً من بين أبلله التفسيرات، أي واحداً من بين أقرها من حيث المعاني من بين كل التفسيرات الممكنة تصوّرها: نهمس هذا في آذان الإواليين ونُشعرهم به، وهم الذين يُختلطون اليوم بالفلاسفة عن طيب خاطر ويعتقدون بشكل مطلق أن الإوالة ستكون عقيدة القوانين الأولى والأخيرة التي يجب أن يُبنى عليها كل وجود كما يبنى على أساس. لكن عالماً إوالياً بالأساس سيكون عالماً عبثياً بالأساس! لنفترض أن قيمة موسيقى مالا تقدر إلا من خلال كمية العناصر التي يمكن عدّها، حسابها، تحديدها في صيغ، - فكم سيكون عبثياً مثل هذا التقدير «العلمي» للموسيقى! فماذا سنكون قد استفدنا أو فهمنا أو عرفنا منه! لاشيء، قطعاً لاشيء مما يجعل منه «موسيقى» بالأساس!...

374 مُطلقنا الجديد

إن معرفة إلى أي مدى يمتد الطابع المنظوري للوجود أو إن كان له بالإضافة إلى ذلك طابع آخر، إن كان وجوداً دون تفسير، دون أي «معنى» لا يصير «لامعنى» معرفة إن لم يكن كل وجود، من جهة أخرى، وجوداً تفسيريًا بالأساس - هذا ما لن نستطيع الفكر تقريره كالعادة، لابتحليل جاد ولا باختباره الدقيق لنفسه : لأن الفكر الإنساني لن يفعل شيئاً بعد هذا التحليل غير أن يرى نفسه في أشكاله المنظورية، وفيها فقط . لانستطيع أن نرى ما وراء زاويتنا : إنه لفُضُولٌ يائس أن نحاول معرفة أي أنواع أخرى من الفكر ومن المنظورات يمكن أن توجد هي الأخرى : مثلاً معرفة إن كانت بعض الكائنات قادرة على الشعور بالزمن بشكل نكوصي أو في مُراوَحَتِهِ بين التدرّج والنكوص، بالتناوب (الشيء الذي سيفسح المجال لتوجّه آخر للحياة ولمفهوم آخر للعلة والمعلول) . غير أني أظن أننا اليوم بعيدون على الأقل عن هذه البدءة المثيرة للسخرية في التقرير من زاويتنا بأن المنظورات، انطلاقاً من هاته الزاوية، هي وحدها التي ستكون مقبولة . بالعكس، لقد عاد العالم «مطلقاً» لنا مرة أخرى : بحيث لن نستطيع أن نتجاهل إمكانية احتوائه على عدد لا يحصى من التفسيرات . مرة أخرى تملكنا الرعدة الكبرى : - من ذا قد يرغب إذن في تأليه غول هذا العالم المجهول، مُحيي في الحين هاته العادة القديمة؟ من يتجرأ منذ الآن على حب هذا المجهول باعتباره «الاله المجهول»؟ واهّا! هناك كثير من الامكانيات غير الإلهية للتفسير منقوشة في هذا المجهول، كثير من الشيطانيات، من البلاغات، من حماقات التفسير - تفسيرنا الانساني، المفرط في الإنسانية، الذي نعرفه . . .

375 لماذا نبذو أبيقوريين

إننا نحن الرجال العصريون حذرّون بخصوص القناعات الأخيرة؛ حذرّنا يراقب الإغراءات والمكائد التي يُؤخذ بها الشعور في كل اعتقاد راسخ، في كل نعم مطلقة، في كل لا مطلقة : فكيف يُفسّر هذا؟ ربما بواقع كوننا قد نتعرّف فيه على نصيب كبير من تيقُّظِ «الطفل الذي حرق نفسه»، من المثالي المتقزز، بل نتعرف فيه كذلك على نصيب أكبر من الفضول المتهلل لذلك الذي كان فيما مضى لازقاً برُكْنِهِ حتى أنه ليغتاظ منه، والذي يلتدّ، منذ الآن، بالعكس ويتهادح في اللامحدود، في «العراء المطلق» . بهذا الشكل ينمو ميلٌ شبه أبيقوري للمعرفة لا يترك الطابع الإشكالي للأشياء بسهولة؛ ينمو كذلك نفور من طنانية الكلمات والمواقف الوعظية، [ينمو]

ذوق يرفض كل النقائص البليدة والفضة ويعرف، بكبرياء، أن عليه أن يتمرن في حذر. في الحقيقة، هذا هو الذي يجعل زهونا يشد الزمام شيئاً ما إثر إندفاعتنا العنيفة تجاه اليقين، [هو الذي يكون] هذا التحكم في الذات الذي يبرهن عليه الفارس خلال نزهاته السريعة جداً [على ظهر الفرس] : لأننا لانفتأ نمتطي حيوانات مهووسة وجموحة، وإن تردّدنا فلا شك أن ذلك ليس بسبب الخطر...

376 تباطؤات الحياة

هذا ما يشعر به كل الفنانين، كل مبدعي «نتاجات أدبية»، [الذين هم] من النوع الأمومي : يتخيلون، عند نهاية كل مرحلة من حياتهم - التي يأتي نتاج أدبي ليقطعها، كل مرة، إلى مراحل - أنهم قد بلغوا الهدف ذاته، أنهم مستعدون، بهذا الإحساس، لتقبل الموت بصبر : نحن ناضجون بخصوص هذا. ليس هذا تعبيراً عن العياء - بل بالأحرى تعبيراً عن نوع من الضوء واللطف الخريفيين اللذين يولدهما لدى المؤلف نضج النتاج الأدبي، وكذلك هذا النتاج نفسه. إذاك يتباطأ إيقاع الحياة حتى يتخثر ويسيل مثل العسل - حتى التوقيفات الطويلة، حتى الاعتقاد في التوقف الطويل...

377 نحن الذين «بلا وطن»

لا ينقص اليوم إطلاقاً بين الأوربيين هؤلاء الناس الذين لهم الحق في أن يتسموا الذين بلا وطن بمعنى يميزهم ويشرفهم؛ لتوكل بوضوح إلى هؤلاء بالضبط حكمتي السرية و *ma gaya scienza* (*)! لأن مصيرهم قاس وأمنيته غامضة، وإنه لنجاح باهر أن نوجد لهم عزاء - لكن ماجدوى ذلك! نحن أطفال المستقبل، كيف يمكننا أن نكون في منزلنا في مثل هذا الوقت الحاضر. إننا نقاوم كل مثل أعلى قد لا يحس أجدنا بموجه أنه متغرب حتى في هاته المرحلة الانتقالية الضائعة والمعرضة للزوال؛ لكن فيما يخص حقائقها فإننا لانتقد أنها دائمة. طبقة الجليد التي مازالت تحمل الوقت الحاضر قد رقت : والريح المذوبة للجليد تهب، ونحن الذين بلاوطن نفسنا شيء يكسر الجليد و «حقائق» أخرى جد رقيقة... إننا لانتفظ بشيء، ولا نريد كذلك أن نعود إلى أي نوع من الماضي، لسنا «متحررين» (**). قطعاً، لنعمل للتقدم، لانتحاج أن نصم آذاننا حين تنشد صفارات السوق عن المستقبل -

(*) علمي المرح .

(**) متحرر : نصير الحرية الفردية في السياسة والاقتصاد .

ماتنشده : «تساوي الحقوق»، «مجتمع حر»، «لا سادة ولا عبيد» هوذا مالا يستهويننا، إلا نادرا ! ببساطة، إننا لانأمل أن تتأسس مملكة العدل والوئام هنا على الأرض (لأنها ستكون مملكة العراقيل والضعف البالغ بكل الاعبارات)، إننا نغتبط بكل الذين، مثلنا، يحبون الخطر والحرب والمغامرة، الذين لا يقبلون أن يتكيفوا، أن يُسَلَبوا، أن يتصالحوا أو أن يُرَقَّقُوا، إننا نعد أنفسنا ضمن الفاتحين، نفكر في ضرورة تراتبية جديدة، وعبودية جديدة أيضا - لأن كل تقوية وكل رفعة للنوع «إنسان» تفترضان كذلك نوعا جديدا من العبودية - أليس ذلك بحق؟ بكل هذا يجب أن نكون متضايقين أكثر ما يمكن في عهد يدعي شرف كونه أرق وأعدل العهود التي طلعت عليها الشمس وأكثرها إنسانية . والأدهى من ذلك هو كون مثل هاته الكلمات الجميلة تثير فينا بالأحرى أفكارا مبطنة قبيحة ! حتى أننا لانرى فيها سوى تعبير - وتقنيع أيضا - عن الضعف البالغ، عن العياء عن تقدّم السنّ، عن العجز ! لايهمنا نوع البريق الخدّاع الذي يبهرج به المريض ضعفه ! هو حرّ في أن يعرضه كقوّته - لاشك أن الضعف يجعل الإنسان لطيفا، أوه ! لطيفا جدا، منصفاً جداً مسالماً جداً، «إنسانياً» جداً ! «دين الشفقة» الذي يريدون إقناعنا بتبنيّه، - أوه ! نعرف جيداً هؤلاء الرجال الضعيفي الإرادة وهاته النساء الحمقى الهستيريين الذين يحتاجون اليوم لانتحال هذا الدين بالضبط والاحتجاب وراءه ! لسنا إنسانويين ولن نجرؤ أبدا عن التحدث عن «حبنا للإنسانية» - ليس أحدنا كوميدياً ليُمثّل هذا ! أو ليس سان سيمونيا ولافرنسيا ! يجب أن تكون مصابا فعلا بإفراط ماجن في الإنفعالية الإيروسية وبجزع غرامي لكي تعاشر بصدق شوق الإنسانية نفسه . . . تعاشر الإنسانية ! هل وُجِدَت قط عجوز أكثر شناعة بين كل العجائز؟ (إلا أن تكون هي «الحقيقة» : سؤال مخصص للفلاسفة) . لا، إننا لانحب الإنسانية، غير أننا، من جهة أخرى، يبعدون عن أن نكون «ألمانين» بالمعنى الرائج اليوم لكلمة (*) (deutsch) حتى نجعل من أنفسنا الناطقين باسم الوطنية والحقد العرقي، حتى نبتهج بالعدوى الوطنية التي بفضلها تترسّ الشعوب في أوروبا ضد بعضها في الحاضر وتقاطع بعضها بالتبادل . نحن جدّ وقحين بخصوص هذا، جدّ ماكرين، جدّ فاسدين، لكن جد مجرّين كذلك، فقد «سافرنا» كثيرا : نفضل كثيرا أن نعيش على الجبال، على انفراد، «لآنيّين»، سواء في قرون ماضية أو آتية، لالشيء إلا لنوفر على أنفسنا الغضب الصامت الذي سيُحكّم به علينا باعتبارنا شهودا على

(*) ألماني .

سياسة تجعل العقل الألماني عقيماً بجعله مزهواً، والتي هي، فضلاً عن ذلك، سياسة تافهة: ألا ينبغي لها، كيلا يتفكك ابتكارها الخاص على الفور، أن تموضعه بين حشدٍين قاتلين؟ ألا ينبغي لها أن ترمي إلى تخليد تجزيء أوروبا إلى دويلات صغيرة؟... إننا نحن الذين بلاوطن متنوعون ومختلطون فيما يخص الجنس والأصل باعتبارنا «ناساً عصريين»، وبالتالي نادراً ما نُغرى بالمشاركة في هاته المغالاة وفي خدعة الهيام بالذات العرقي هاته التي تعرض نفسها في ألمانيا كعلامة مميزة للمزايا الألمانية، والتي تعطي لدى لشعب «الحسّ المؤرخ» انطباعاً مزدوجاً عن الزيف والوقاحة. نحن باختصار - وستكون هذه كلمة شرفنا! - أوروبيون صالحون، ورثة أوروبا، ورثة أغنياء ومفعمون لكننا ورثة مدينون كثيراً بعدة أليات من العقل الأوروبي: إننا كذلك لأننا تحدرنا في نفس الوقت من المسيحية ومن أعداء المسيحيين، ولأننا بالضبط متحدرين منها [المسيحية]، ولأن أسلافنا كانوا مسيحيين باستقامة مسيحية مطلقة، وضخّوا طواعية بما ملّكوا، بدمهم، بدولتهم وبوطنهم لصالح إيمانهم. ونحن - نفعل نفس الشيء. لفائدة ماذا إذن؟ لفائدة كفرنا؟ أكل أنواع الكفر؟ لا، إنكم تعرفون ذلك جيداً بأصدقائي! نعم المخبوءة فيكم أقوى من كل أنواع لا و ربما التي تعاني منها بتضامن مع عصركم؛ ولو كان عليكم أن تُبحروا، أنتم أيها المهاجرون، فإن ماسيدفعكم لذلك أنتم أيضاً سيكون - عقيدة!

378 ثم نصير صافين مرة أخرى

إننا نحن أسخياء وأغنياء العقل الذين نقوم على قارعة الطريق، مثل السُّبُل، ولا نريد من أحد من الاستقاء منا: لانعرف، للأسف، أن ندافع عن أنفسنا، حين نريد ذلك، لانستطيع منع الناس، بأي شيء، من أن يجعلونا عكرة، معتمّة - ولا منع العصر الذي نحيا فيه من أن يقذف فينا ما هو فيه «حالي أكثر»، ولا طيوره الوسخة من إلقاء قاذوراتها، ولا صبيانها من إلقاء أشيائهم التافهة، ولا المسافرين المنهكين الذين يستريحون بالقرب منا من إلقاء مآسيهم الصغيرة والكبيرة فينا. لكننا سنفعل مثلما كنا دائماً نفعل: نبتلع، في عمقنا، كل ما يلقي فينا، - لأننا عميقون، لانسى ذلك - ثم نصير صافين مرة أخرى...

379 فاصل المهرج الترفيهي

لم يؤلف هذا الكتاب مبغض للبشر: فالحقد على الإنسان يؤدّي ثمنه غالياً في الوقت الحاضر. لكي نحتقر الانسان مثلما احتقر من قبل، بشكل عريشي، بلا قيد

ولا شرط، من أعماق القلب، بكل حب الحقد - يجب أن نعرف كيف نتخلى عن الازدراء. وكم نحن مدينون لازدراءنا بالضبط بكثير من الفرحة الدقيقة، بكثير من الصبر، بل بكثير من الطيبة! فضلاً عن ذلك، فنحن، بهذا الشكل، «من اختارهم الله»، يشكّل الازدراءُ الظريفُ ذوقنا وامتيازنا، يشكل فنّا وربّنا فضيلتنا نحن الأكثرَ عصرية من بين العصريّين! . . . الحقد، على العكس من ذلك، يساوي، يضع وجهها لوجه؛ في الحقد هناك شرفٌ، في الحقد أخيراً هناك خشيةٌ، نصيبٌ كبير من الخوف. لكننا نحن الرجال بلاخشية، نحن الرجال الأكثر روحانية في هذا القرن، نعرف تفوّقنا بما فيه الكفاية لكي نستطيع أن نحيا دون خشية بخصوص هذا الزمان بالضبط باعتبارنا رجالاً أكثر روحانية. سيتطلب الأمر كثيراً حتى نعدم أو نسجن أو نُنفى؛ لن يتوصلوا حتى لأن يمنعوا أو يحرقوا كتبنا. فهذا القرن يحبّ العقل، يحبنا، هو في حاجة إلينا، حتى وإن كان علينا أن نفهمه أننا ماهرون في الإزدراء: أن معاشرّة الناس تثير فينا قشعريرة خفيفة؛ أننا، بكل لطافتنا وصبرنا واجتماعيتنا ومجاملاتنا، لن نستطيع أن نُقنع أنفسنا بالتخلي عن حُكمه المسبوق المعارض للإقتراب من أي كائن إنساني؛ أننا نحب الطبيعة، لاسيّما وأن كل شيء يحدث فيها بشكل أقل إنسانية، ونحب الفن حين يتركز على هروب الفنان أمام الإنسان، أو على استهزاء الفنان بالإنسان، أو على استهزاء الفنان بنفسه. . .

380 الـ «مسافر» يتحدث

لكي نتأمل أخلاقيتنا الأوربية عن بُعد، لكي نقابلها مع أخلاقيات أخرى، سابقة أو آتية، يجب أن نعمل بطريقة المسافر الذي يحاول أن يتأكد بنفسه من علو أبراج حاضرة ما: لأجل هذا يغادر الحاضرة. ولكي لا تكون الـ «أفكار عن الأحكام الأخلاقية المسبقة» مُجَدِّداً أحكاماً مسبقة على أحكام مسبقة فإنها تفترض وضعاً خارج الأخلاق، تفترض ما وراء خير وشر يجب أن نصعد أو نتسلق أو نطير إليه - تفترض في كل الحالات، والحالة هذه، ما وراء مفهومنا للخير والشر، تفترض حرية بخصوص كل «أوربا» التي تُعتبر، في نهاية المطاف كجملة أحكام القيمة القطعية التي تسربت إلى دمننا. أن نريد الذهاب بالضبط خارجاً وإلى الأعلى فتلك ربما حماقة صغيرة هي مُتَطَلَّبُ «يجب عليك» الشاذّ واللامعقول - لأن لنا أيضاً، نحن العقول العارفة، أمزجتنا «اللاقدرية» - : ليس السؤال هو الوصول إلى الأعلى بل هو معرفة إن كنا نستطيع ذلك. يبدو أن هذا يتوقف على شروط متعددة: الأساس هو أن نعرف إن كنا خفافاً جداً أم ثقلاً جداً - إنها مسألة «وزننا الخاص». يجب عليك

أن تكون خفيفاً جداً لكي تدفعك إرادة المعرفة فيك إلى مثل ذلك البعد وإلى ما وراء عصرك، تقريباً، لكي تكتسب نظرة تعانق ألفيات، ولكي ترى بها السماء الصافية، فضلاً عن ذلك! يجب علينا، نحن أوريثو الوقت الحاضر، أن ننفصل بالضبط عن كل ما يضايقنا، يعرقلنا، يرهقنا، يثقلنا. إن إنساناً مثل هذا الما وراء الذي يريد أن يتبينَ أسمى تقييمات عصره، عليه قبلاً أن «يتغلب على» روح هذا العصر في داخله هو نفسه - ذاك اختبار قوته - وبالتالي ليس فقط على عصره، بل أيضاً على التقزز الذي أحسَّ به حتى ذلك الوقت تجاه هذا العصر، على معارضته له، على صعوبة عيشه فيه، على لاراهنيته وعلى رومانسيته . . .

381 عن مسألة الوضوح

حين نكتب لانهحرص فقط على أن نفهم، لكن أيضاً على ألا نفهم. لو أن شخصاً كائناً من كان حكم على كتاب ما بأنه غير مفهوم فليس ذلك اعتراضاً كافياً عليه إطلاقاً: فلربما كان هذا داخلاً ضمن نوايا المؤلف، - فهو لم يرد أن يفهم من طرف «أي كان». كل عقل، كل ذوق رفيع يختار مُستمعيه حين يريد أن يتواصل؛ وبذلك نفسه يرسم حداً للـ «آخرين». من هنا تنشأ كل قوانين الأسلوب المهدبة: إنها تُبعد، تخلق مسافة، تمنع الـ «وصول»، تمنع الفهم، كما أسلفنا، - بينما تفتح آذان أولئك الذين تجمعهم معنا قرابة في الأذن. ولأقولها فيما بيننا، وفي حالتي الفريدة - لا أريد أن يمنعي جهلي ولا حيوية طبعي من أن أكون مفهومًا لكم، يا أصدقائي: قلتُ ولا حيوية طبعي مع أنها تحثني على أن أعرض للشيء باستعجال، إذا كان صحيحاً أنني أستطيع فقط أن أعرض له. لأنني أقدر أن هناك مشاكل لها عمق حثام بارد - يجب أن نغطس فيه ونخرج بسرعة. أما ظن الناس أنهم، بهذا الفعل، لن يصلوا إلى العمق ولن يهبطوا عميقاً جداً فتلك خرافة الذين يخشون الماء ويقشعرون منه؛ إنهم يتحدثون عن ذلك دون تجربة! آه، إن البرد الشديد يمنحك حيوية! ولكي نسأل بلا إلحاح، هل يبقى شيء ما غير مفهوم حقيقة وغير معروف لمجرد أننا لم نلمسه إلا خطفاً، لمجرد أننا لاننظر إليه إلا من موق العين؟ هل يجب أن نلتصق به تماماً؟ أن نجلس عليه ونحضنه تقريباً لكي نفهمه؟ Diu noctuque incubando (*) كما كان نيوتن يقول عن نفسه؟ هل هناك على الأقل حقائق حساسة وجفولة لا يمكننا التمكن منها إلا بشكل فجائي و

(*) أن نحضه ليلاً ونهاراً .

بالمباغثة - أو لنترك . . . الحاصل أنه لاتزال لاختصاري قيمة أخرى : ضمن أسئلة مثل التي تستغرقني يجب أن أقول أشياء كثيرة باختصار حتى أسمع باختصار أكثر. في الحقيقة، يجب أن أحتاط، كلاً أخلاقياً، من إفساد البراءة، أعني الحمير والبنات المسنات من الجنسين الذين لم يعيشوا من الحياة سوى البراءة، بالإضافة إلى ذلك يجب أن تحمّسهم كتاباتي، أن تُثيرهم، أن تشجعهم على الفضيلة! لا أعلم شيئاً مفرحاً على الأرض أكثر من حُرِّ مُسنة وعذارى مُثارة بأحاسيس الفضيلة اللطيفة : و «هذا ما شاهدته» - هكذا تكلم زرادشت . هذا فيما يخص نيّة الاختصار : جهلي مقلق كثيراً حتى أني أخفي نفسي عن نفسي . هناك ساعات أخجل فيها منه : ولاشك كذلك أن هناك ساعات أخجل فيها من مثل هذا الخجل . ربما كنا كلنا نحن الفلاسفة غير مستعدين جيداً بخصوص المعرفة الآن : العلم يتقدم، والعلماء الكبار من بيننا قريبون من اكتشاف أنهم يعلمون منه القليل جداً . غير أن الأمر سيكون أسوأ لو كان الأمر بخلاف ذلك - لو كنا نعرف منه الكثير : مهمتنا هي ألا نختلط بالسناه وتبقى [مهمتنا] كذلك، قبل كل شيء . نحن شيء آخر غير العلماء، مع أنه لا مندوحة من أن نكون علماء عند الإقتضاء . لنا حاجيات أخرى، نمو آخر، هضم آخر : نحتاج أكثر، نحتاج أقل . فيما يخص معرفة كم يلزم عقلاً ليتغذى فإنه ليست هناك صيغة لهذا : لكن إن جرّه ذوقه إلى الاستقلالية، إلى جيئة وذهاب سريعين، إلى السفر، ربما إلى مغامرات لاتقدر عليها إلا العقول الأكثر يقظة، فإنه سيفضل العيش حرّاً بزادٍ قليل على العيش تابعاً والبطن ممتلئ . إن الراقص لا ينتظر من غذائه البدانة، بل الحيوية والرشاقة الكبرى - ولست أعلم أن عقل فيلسوف قد يتمنى أكثر من أن يصير راقصاً جيداً . إن الرقص، في الواقع، هو مثله الأعلى، هو فنّه أيضاً، وهو في الأخير تقواه الوحيدة، «عبادته السماوية» . . .

382 الصحة الكبرى

إننا نحن الجدد، الذين لا اسم لنا، الذين نستعصي على الفهم، طلائع مستقبل لايزال غير أكيد - إننا، لكي نصل إلى هدف جديد، نحتاج إلى صحة جديدة، أكثر حيوية، أكثر مكراً، أكثر عناداً، أكثر جسارة، أكثر فرحة مما كانت عليه أية صحة حتى الآن . إن الذي تطمح روحه لأن يعيش كل وفرة القيم والطموحات التي سادت حتى الآن، لأن يقوم برحلة سياحية على كل ضفاف هذا «البحر المتوسط» المثالي، الذي يريد أن يعرف من خلال مغامرات تجربته الأكثر شخصية ما يجري في روح فاتحٍ ومستكشفٍ مثل أعلى، في روح فنانٍ، قديسٍ، مشرّع، حكيم، عالم،

رجل تقي، عرّاف، رجل وُضِعَ جانباً بغاية الإتقان، [وهي روح] من الطراز القديم: يحتاج هذا الشخص، قبل كل شيء، إلى شيء واحد: الصحة الكبرى - هذا النوع من الصحة الذي لا نمتلكه فقط، بل نكتسبه، ويجب علينا أيضاً أن نكتسبه باستمرار، لأننا نتخلى عنه من جديد، لأننا لانفتأ نتخلى عنه من جديد، لأنه يجب التخلي عنه... والآن، بعد أن كنا على الطريق لمدة طويلة، نحن المغامرون بحثاً عن المثل الأعلى بشجاعة أكثر مما ينبغي، وعلى الرغم من كثير من الغرق والخسائر، فإننا قد استمتعنا، عند كل محنة، بصحة أفضل مما قد يسمحون به لنا، بصحة مخيفة - يبدو أننا الآن، على سبيل الجائزة، على مرأى أرض غير مُكْتَشَفَة، لم يُجَدَّ حدودها أحدٌ بعد، على مرأى ما وراء كل الأرضين، كل زوايا المثل الأعلى المعروفة حتى الآن، على مرأى عالم فيه وفرة كبيرة من الأشياء الجميلة، الغريبة، المريبة، المرعبة والرائعة بحيث أن فضولنا، مثله مثل تعطشنا للإمتلاك قد أثراً بذلك - أوه! حتى أنه لا شيء منذ الآن سيُسبِغُنا! بعد مثل هاته المنظورات، بمثل هذا الجوع النهم في الشعور وفي المعرفة، كيف سيمكننا أن نكتفي بالإنسان الحالي؟ والشيء الخطير، لكن لا يمكن تفاديه، هو أن نجد صعوبة في الإهتمام بجديّة بأهدافنا وطموحاتنا التي هي أولى لدرجة أننا قد لانقدر حتى على إيلائها اهتماماً. مثل أعلى آخر يمشي أمامنا، مثل جذاب، كله مخاطرة، لانريد أن نشجع أحداً عليه لأننا لانرى أحداً يمكن أن نُخَوِّلَ له الحق في ذلك عن قصد: مثل عقل يستمتع، بشكل ساذج، أي بشكل لإرادي وبنوع من الوفرة ومن القوة المفرطة الحيوية، بكل ما كان يُعتبر حتى الآن مقدساً، صالحاً، لا يُمسّ، إلهياً: عقل لاتعني لديه الأشياء السامية التي يجد فيها الناس معاييرهم للقيمة، على سبيل المثال، شيئاً سوى الخطر، الإنحطاط، المهانة، أو على الأقل التوقف، العمى، وأحياناً نسيان الذات؛ مثل لين عيش وإحسان، مثل فوبشري في الوقت نفسه، وغالباً ما سيبدو لا إنسانياً، مثلاً حين يظهر، بالنسبة إلى كل الجدية التي سادت على الأرض حتى الآن بخصوص كل أنواع التفخيم في الحركة، في الكلمة، في النبوة، في النظرة وفي الأخلاق، حين يظهر كالمحاكاة الساخرة الأكثر واقعية وإيرادية لهاته الأخيرة - مثل أعلى ربما ستعلن الجدية الكبيرة انطلاقا منه بالفعل، رغم كل شيء، وستكون علامة الاستفهام الأساسية أخيراً قد وُضِعَتْ، بينما يتغير قَدْرُ الروح، ليتقدّم العقرب على ميناء الساعة، لتبدل المأساة...

383 خاتمة

لكن بينما أنا أرسم ببطء، ببطءٍ شديدٍ، علامة الاستفهام الكثيبة هاته لكي أختتم، وبينما أستعد كذلك لتذكير قرائي بمزايا قراءة متأنية - آه! مزايا كم هي منسية ومتجاهلة! - حدث وأن أحاطت بي أشد الضحكات مكرًا، أشدها مرحًا، أشدها تيقظًا: أرواح كتابي نفسها تهاجمني، تجذبُ أذني وتذكّرني بالواجب: «إننا لانحتمل موسيقى الغراب الكثيب هاته - صرختُ في - أبعدُها عنا! ألسنا في غير الصباح الأكثر إشراقًا؟ على أعشاب خضراء ناعمة، على مملكة الرقص؟ هل هناك ساعة أنسب للمرح من هاته؟ من سيغني أغنية على درجة عالية من الإشعاع والخفة والأثيرية بحيث لا تثير حتى حشرات الزيز - بحيث تدعوها بدل ذلك أن تغني وترقص معنا؟ إن مزمار القربة الريفّي الساذج أفضل من هاته الأصوات الغريبة، من نقيب البوم هذا، من هاته الأصوات الرسمية، من صفير المرموط هذا الذي أمتعتنا بها في بيدائك حتى الآن، أيها السيد المتوحد الذي يعرضُ المستقبل بالموسيقى! لا! كفى من هاته النبرات! لننشد أجواء أكثر متعة، في وضع أفضل، أكثر فرحًا!» إن أعجبكم هذا، يا صدقائي المتلهّفين، فليكن! من لا يتنازل لكم عن طيب خاطر! مزمار قربتي ينتظر بعدُ، حنجرتي كذلك - وإن كانت مبحوحة شيئًا ما، معذرة! إننا في قلب الجبل. لكن الذي قد تسمعونَه جديدٌ على الأقل، وإن لم تفهموه، إن أسأتم فهم المنشد، فلايهم! فهناك تكمن «لعنة المنشد». بالمقابل، ستسمعون موسيقاه ولحنه بشكل أكثر وضوحًا، وشبابته ستجعلكم - ترقصون أفضل. فهل تريدون ذلك؟ . . .

ملحق

أغاني الأمير الخارج عن القانون (*)

(*) "أغاني الأمير الخارج عن القانون" نظم ست قصائد من ثمان كان نيتشه قد نشرها في يونيو 1882، تحت عنوان: "غزليات مسينا" [أو "قصائد ريفية غزلية" نسبة إلى مدينة Messine] في مجلة Internationale Monastasschrift - (م). 251

إلى غوته

ما الخالد
 إلا رمز!
 الإله، دجلُ
 الشاعر الخداعُ . . .
 عجلةُ العالم بدورانها
 غايةٌ إثر غاية تلامسُ :
 " شقاء " - قال الحقود،
 [أما] الأحمق فقال - لعبة . . .

لعبة العالم القهرية
 تمزج الكينونة والظاهر : -
 والشططُ الأبدِي
 خلطُ ملط - فيها يقحمنا . . .

موهبة الشاعر

وأنا أستريح منذ أيام خلّت
 تحت أوراق شجر معتمه
 سمعت تكتكة خفيفه
 تعين النغم برقة .
 مغیظا، قطبت وجهي
 مستسلما للحركة، أخيرا،
 كشاعر، أنا نفسي
 شرعت أتكلّم تكتكه .
 فاجأني أنظم أبياتا،
 عند كل مقطع لفظ، هوب،
 غمرني الضحك فجأة
 خلال ربع ساعة .
 أشاعر أنت؟ أشاعر أنت؟
 أمشوشةٌ إذن رأسك؟
 " سيدي العزيز، أنت شاعر "

قال الطائر النّقار محرّكا كتفه .

في الدغل ماذا كنت أنتظرُ،
من كنتُ، كقاطع طريق، أرقبُ؟
مجيء صورة أو جملة؟ وقافيةٌ
بوثة قفزت وراه مُردّفة .

ما ينطّ [و] ما يسيل ،
توّا يجعلُ الشاعرُ بيتا منه .
«سيدي العزيز، أنت شاعر»
قال الطائر النّقار محرّكا كتفه .

القوافي، أقول لكم، سهامُ .
تهتز، ترتعش وتقفز،
بمجرد ما يلج السهم
الأطراف النبيلة لجسم صغير!
آه، تموت منها، أيها المتسوّل
أم تترنّح من ثمالة!
«سيدي العزيز، أنت شاعر»
قال الطائر النّقار محرّكا كتفه .

أمثال عرجاء، عجلي
كلمات سكري، كما الكل يتعجل!
إلى أن تُعلقوا، آية فآية،
في سلسلة التكتكة .

وتقولون إن ثمة عرقا متحجّراً
يستلذّ هذا؟
أيضلّ الشعراء؟

«سيدي العزيز، أنت شاعر»
قال الطائر النّقار محرّكا كتفه .

أتهزأ بها الطائر؟ أتمزح؟
لو أن رأسي مشوشةٌ
ماسيُمسي المسكينُ قلبي؟
حذار ، حذار من غضبي!-

لكن الشاعر - يجدل القوافي
ما استطاع ، حتى غاضبا
«سيدي العزيز أنت شاعر»
قال الطائر النّقار محركا كتفه .

في الجنوب

معلقا إلى الغصن الرئيس ،
أهدد تعبي .
استضافني طائرٌ ؛
في عشه أستريح .
أين أنا إذن؟ آه ، بعيدا ، بعيدا جدا!

البحر الأبيض نائم
وفيه شراع أرجواني .
جلمود ، أشجار تين ، منار وميناء ،
خراف ثاغية ، مقام الحب البريء -
يا براءة الجنوب استقبليني!

أن أسير خطوة - يالها من حياة!
ساقا ثم أخرى ، توتوني* وبطيء .
قلت للريح احمليني ،
علمني الطائر التحليق ، -
وجنوبا ، فوق البحر ، خلقت .

الصواب! شيء مخيب!
هو ذا ما ، سريعا إلى الهدف ، يوصل!
عرفت بالطيران ما كان يوهمني ،
ها قد أتاني الشوق والحيوية
لأجل حياة ، لعبة جديدة .

حكمة أن تفكر وحيدا
لكن أن تغني وحيدا . . . حماقة!

(*) تونوني (Teuton) = من التوتونيين ، سكان جرمانيا الشمالية (م) .

كذلك حولي تحلّقي
وفي صمت انصتي
لأغنية في مدحك
أيتها العصفير الشريفة!
شبابة، كاذبة، تائهة،
[كذا] تبدين للحب خلقت
ولكل ألهوة جميلة .
في الشمال - أتردد في الاعتراف -
أحببت امرأة صغيرة
عجوزا تثير القشعريرة، -
«الحقيقة» :
كانت تسمى تلك المرأة المسنة . . .

بيبا الورعة (*)

مادام جسدي الصغير جميلا ،
أوثر أن أكون تقية .
نعلم أن الإله يحب الصغيرات ،
الجماليات ، فوق الكل .
بسرور سيغفر لاشك
للرويب المسكين
والذي ، ككثير من الرويبين
بالقرب مني يسعد . . .

ما[هو] لأب الكنيسة حمارا
لا ، شابا لا يزال وغالبا محمرا ،
غالبا ، رغم أسوأ الهموم ،
مفعما غيرة وغما .
لأحب المسنين ،
ولا هو قط يحب المسنات ،
بأي حكمة رائعة
دبر هذا الإله !

(*) (Beppa) - أو «الساحرة الصغيرة» ، كذلك كان عنوانها الأصلي في «غزليات مسينا» . (م)

تعرف الكنيسة أن تحيا
تسبر القلب والنظر،
دوما، الغفران، تمنحني،
من إذن لن يمنحني!
بفيكم الصغير تُتممون،
ركعة ثم تخرجون
وبذنب صغير جديد
[ذاك] التقديم تذهبون.
على الأرض الحمد للإله
المحبّ البنات الجميلات
ومثل هموم القلب هذي
لنفسه يغفر بطيب خاطر.
ما ظلّ الصغير جسدي جميلا
أوثر أن أكون تقيّة :
وليكن الشيطان قريني
إذا صرتُ عجوزا بلا أسنان.

المركب العجيب (*)

ليلة أمس والكل نيام،
والريح ما كادت بأنين
مبهم، تجوب الأزقة،
لم تمنحني الأريكة راحة،
لا ولا الخشخاش، ولا الذي
ينيم عميقا - راحة الضمير.
أخيرا، متخليا عن النوم
إلى الشطّ هرولتُ. هناك في ضوء القمر
والجورائق، وجدت،
على الرمل الساخن، المركب والرجل
نائمين كلاهما، الشاة والراعي :
نائما غادر المركب الشطّ.

(*) أو «السرّ المعتم» - ضمن المجموعة السابقة (م).

انصرمت ساعة، ربما اثنتان،
أو حتى سنة؟ - آنذاك غرقت
فجأة أفكاري وحواسي
في لا مبالة خالدة،
وجهنم، دون حدود،
فُتحت: كانت النهاية.

تنفس الصبح: على أعماق كالحة
يرسو مركب ينام ويستريح...
ما الأمر! كذا كانوا يصرخون، كذا صرخت
حيناً مئات الأصوات: ما هناك؟ دم؟
ماشيء جرى! كنا نائمين، نائمين
كلنا - آه! عميقا، عميقا!

إعلان حب (الحب الذي عجل بالشاعر إلى الهاوية)

يا لمعجزة! ألا زال يطير؟
يعلو وأجنحته لا تتحرك؟
ما يرفعه إذن ويحمله؟
ما هدفه، سبيله، عنانه منذ ذلك الحين؟

كالنجم وكالخلود
يحيا الآن في أعال تخشاها الحياة،
رؤوف حتى بالحسد.
وعاليا يخلق نفسه من يراه محلقا!

أيها القطرس!
إلى الأعالي يسوقني دافع أبدي!
خطرت ببالي: وأذرفت دموعا،
دموعا، - أجل، أهواك.

نشيد راعي الماعز الشوقريطي (*)

هاأنذا مستلق، مريض الأحشاء،
يفترسني البق.

(*) أو «إلى قريبي ثيوقريط...»

وهناك لا يزال ضوءٌ وضجيج!
أسمعهما يرقصان . . .

في تلك الساعة كانت تريد
أن تنسلّ إليّ .
ككلب أنتظر،
لا إشارة تأتي .

علامة الصليب هذه، متى كانت قد وعدته؟
كيف كان بمقدورها أن تكذب؟
أم كانت وراء واحد يجري
كما تفعل معزاتي؟

من أين لها فستان الحرير؟
آه، يا غطريستي!
هناك أيضا بعض تيوس أخرى إذن
تسكن هاته الغابة؟

- كم يجعل الانتظار الشبقُ
المرء عبوسا وساماً!
كذا في ليل خائق ينمو
في الحديقة فطير مسموم .

ينخرني العشق
كما الآلام السبعة، -
لأي شيء لا شهوة عندي
وداعا - يا بصلاتي: . . .!

وقد نام القمر في البحر،
متعبة هي كل النجوم،
رماديا يطلع النهار
لا أرغب إلا في الموت .

هاته الأرواح الخائفة (*)

لهاته الأرواح الخائفة
أكن حقدا مميتا .
كل احترامها لي نكال ،
كل مدحها يفوح خزيا وغيظا .
لأنني لا أساق بالعصر قط
مشدودا لمقودهم ،
من نظرهم ، مزا ، يميني
الحسد الفاقدا الأمل .
أولى أن يلعنوني صراحة
وليولوني الظهر !
لتشرد في إلى الأبد
هذي الأرواح على غير هدى .

مجنون باليأس

واها ! لما كنت أخطه على الطاولة والجدار
بقلب مجنون ، بيد مجنون ،
سيصلح لرونقة الجدار والطاولة ؟ . . .
لكن تقولون : «يدا المجنون تلطخان فقط -
والطاولة والجدار يجب أن يطهرا
إلى أن يمحى أدنى أثر !»
لو سمحتم ! سأساعدكم - ،
فأنا تعلمت استعمال الإسفنج والمكنسة ،
كناقد وسقاء .

لكن لما هذا العمل ينتهي
سألقاكم بسرور ، أنتم أعقل العقلاء
مُصدِّقة (**) . . . هي الطاولة والجدار .

(*) أو «إلى بعض التقرضيين» (م)

(**) concho، وردت الكلمة هكذا، غير تامة . لهذا افترضنا أنها أصل : conchoidal : (صفة)
شبيه بالمحار شكلا (محاراتي) . conchyliculture (تربية المحار) . conchilien : مصدّف،
محتوي على أصداف (م) .

Rimus Remedium

(كيف يتعزى الشعراء)

من فيك ؛
ساحر الزمان ، المهذار
ترشح ببطء الساعة تلو الأخرى .
عبثا يصرخ كل نفوري :
ملعونة ، ملعونة لجة
الأبدية !

جُلُمْدُ هو - الكونُ
ثورٌ ضار ، أصمٌ عن كل صراخ .
بطعناته الخفيفة ، الألمُ
في ذهني ينقش :
«الكون لا قلب له ،
من البلاهة الحققد عليه !»
صبي كل الخشخاش
صبي ، أيتها الحمى ، صبي سماً في ذهني !
من عهد طويل
تتحسسين يدي وجيني .
ماتبعين ؟ ماذا ؟ «بأي - ثمن» ؟
- ها ، ملعونة هي العاهرة
ملعونٌ تهكمها !

لا! عودي !
الجوّ خارجاً بارداً ، أسمع المطرَ -
عليّ أن أكون أكثر وداً معك ؟
خذي ! ها الذهب : كم تلمع القطعة !
أأسميك «حظاً» ؟
أأباركك أنت ، حمى ؟
ينفتح الباب ، فجأة !
غمر المطر حتى فراشي :
أطفأت الريح السراج - كارثة !

- الآن من لا ينظّم،
أراهن، أراهن،
أنه كان بذلك سيموت .

حظّي (*)

أرى من جديد حمام سان مارك
ساكنة هي الساحة، فيها يرتاح الصباح،
بالألق الوديع، عاطلاً أرسل أناشيدي
كالعديد من الحمام إلى اللازورد،
ثم أناديهما ثانية إلي
لأعلق قافية جديدة بريشها -
حظّي، حظّي!

قبة السماء الهادئة، الحرية والصفية،
وأنت تؤوين الصرح المبرقش، خفيفاً،
موضوع - ماذا أقول؟
موضوع حب وخوف ورغبة!
طواعية سأتشرب روحه
أستطيع يوماً أن أعيدها إليه؟
لا، صمتاً، يامرعى عيوني! -
حظّي، حظّي!

أيها البرج الساذج، بقوة ليث
تتنصب ظافراً، ساخراً من الجهد!
تغطي الساحة برنتك العميقة - :

وحتى نتكلم بالفرنسية، أتكون (**) *son accent aigu*?
لو مثلك مكث هنا
سأعرف بأيّ إكراه
أنشرُ التحرير . . .
حظّي! حظّي!

(*) أو : وبعد ! (م)

(**) بالفرنسية في النص الأصلي : . . . أتكون نبرتها الحادة؟ (م)

ابتعدي يا موسيقى! دعيها أولاً تتعتم
 وتمتد حتى الليل البني
 والدافء: الظلال!
 عن الفروق، لازل الوقت نهرا،
 لا تومض بعد
 فسيفساء التبر بيهاء الورود،
 لا يزال من النهار الكثير
 الكثير من النهار لحلم الشاعر،
 الخطى الشاردة، الهمسات المتوحدة -
 حظي! حظي!

نحو البحار الجديدة

هناك - الذهاب هناك، أريده، منذ الآن
 عليّ أنا أعتمد، علي يدي.
 مفتوحاً يعرض نفسه البحر، في الزرقة
 يريد أن ينقذ مركبي الجنوي (*)
 كل شيء يومض لي ببريق جديد،
 تغفو الظهيرة على الفضاء والزمن - :
 وحدها عينك - ببشاعة
 تحديق في، أيها المطلق! (**)

سلس ماريا (***)

هنا كنت جالسا، أنتظر،
 أنتظر - لكن لا شيء أنتظر،
 ما وراء خير وشر، أتلهذ تارة
 بالضوء [و] طورا بالظل
 فأنا كلية لم أكن إلا لعبة،
 بحيرة، جنوبا، وقتا بلا هدف.

(*) الجنوي: نسبة إلى مدينة جنوة Gènes

(**) في نص آخر: أيتها الأبدية (م)

(***) المدينة الإيطالية.

لما فجأة ، أيتها الصديقة! أمسى الواحدُ اثنينُ
- وزرادشت مرّ بالقرب مني . . .

إلى ربح المسترال (أغنية للرقص)

ريحُ المسترال ، طاردةُ السحاب ،
موتُ الغم ، طهارةُ السماء ،
كم أهواك ، أنت التي تثنّين!
ألسنا كلانا من نفس البطن
الطلائع المعدة سلفا
لنفس القدر أزلّيا؟
في مسالك الصخور الزلقة
أسارع راقصا للقاءك ،
راقصا مذ تُصفرّين وتغنّين ،
أنت التي ، دون مركب ولا مجداف ،
شقيقة الحرية ، الحرّة أكثر
تنقضّين وراء البحار الهائجة .
مستيقظا بالكاد ، لدى ندائك
قفزتُ إلى درج الأجراف
ذات الجدران الصّفر ، على البحر .
أهلا! كنت تنحدرين مثل
شلالات المآسية صافية ،
مظفّرة من أعالي الجبال .
رأيتُ خيلك عاديّات
تدوس سطح السّماوات السويّ ،
رأيتُ العربية التي تُقلّك ،
رأيتُ حتى يدك تمتدّ
حين على صهوة الخيل
لوّحت كالرعد بالسوط .

(*) هذا البيت يوجد في القصيدة الأصل ، ارتأينا إضافته هنا حتى يكتمل المعنى (م) .

رأيتك تقفزين خارج العربة
لتهوي سريعا إلى الأسفل،
تسوّطين الموج، تروضين البحر (*)

رأيتك سهما حادا،
عموديا تشقين الهاوية، -
كما يشق شعاع الذهب الورود
بأولى أنوار الفجر

ارقصي من الآن على ألف متن
[على] متون الموج، [على] خدع الموج
يحيا من يبدع رقصات جديدة!
لنرقص إذن بألف طريقة،
- لنسمّ فننا - حرا!
- لنسمّ علمنا - مرحا!

من كل نبات لنختلس
زهرة لمجدنا،
ولأكليلا ورقتين.
لنرقص كالتروبادور (**)
بين القديسين والمومسات
رقصة بين الإله والناس!
من لا يشارك الرياح رقصتها،
من يعيش مغلفا بعصية،
محنطا، أو عجوزا مقعدا،
من كمنافق يتصرف،
كغير مستنير، كساذج الفضيلة :
هيا! ليخرج من جثتنا!
لنشر عفر الطرقات
أستهزاء بكل مستقام،

(**) شعراء جوالون (التروبادوري : شاعر غنائي جائل من فئة الشعراء الذين اشتهروا في جنوبي فرنسا وشمال إيطاليا من القرن 11، إلى نهاية القرن 13) - المنهل -

لنَجْفَلَ الجنس الضعيف!
من نظراته المذعورة،
من نَفَسِ الصدور اللاهثة
لنَطْهَرُ كل الشاطئ! !
لنَطْرُدُ مكْدَرِي السماء
المغتمين، عُشاق العراصات،
لنَصِفَ مملكة السماوات،
لنَزْجِرَ . . . معك
يا أكثر العقول الحرة حريةً،
كما نَزْجِرُ العاصفة بَغْبطتي .
حتى تَخْلُدَ ذكرى
هاته الغبطة، خذي شهادة منها
خذي إلى الأعلى هذا الإكليل
لقذفه عالياً، بعيداً كذلك،
على درجات السماء، حلّقي
انصرفي لتعلقيه على النجوم!

جدول تاريخي مختصر

تواريخ أهم الأحداث، الأسفار، العطل، اللقاءات بمختلف الشخصيات،
ومؤلفات نيتشه

(1844-1900)

- الطفولة - 15 أكتوبر 1844 ، ميلاد فريديرك وليام نيتشه ، ابن القس لودفيغ كارل نيتشه وفرانسييسكا أويلر ، بنت قس بدورها ، بمدينة روكن قرب لايبسيغ .
- و - 1846 ، ميلاد أخته إليزابيت ، التي ستصبح في المستقبل السيدة فوئستر .
- الشباب - يونيه 1849 ، وفاة الأب .
- 1854 ، الالتحاق بثانوية نومبورغ .
- 1858 ، الدراسات الثانوية بيقورطا .
- التكوين الجامعي - سبتمبر 1864 ، يدخل جامعة بون ، حيث سيتابع دروس سيرينغر (تاريخ الفن) ، ريتشل (فقه اللغة) ويان (الاركيولوجيا) .
- أكتوبر 1865 ، يرافقه ريتشل إلى لايبسيغ - بداية التأثر بشوبنهاور - متابعة دروسه في فقه اللغة .
- 1867 ، يرتبط بإرفين روده ، أستاذ الدراسات الإغريقية المشهور (صاحب كتاب «الروح» : مؤلف عن الرمزي والأساطيرية) .
- 1867-1868 ، الخدمة العسكرية ، بعد سقطة عنيفة من على حصان يعود إلى لايبسيغ سنة 1868 ، ليلتقي لأول مرة بريشار فاغنر .
- مرحلة الدراسات اليونانية - فبراير 1869 ، الأستاذية بشعبة فقه اللغة الكلاسيكي ، بجامعة بازل (Bâle / سويسرا)
- ماي يزور فاغنر بـ : تريشن (لوزان / سويسرا)
- 1870 ، يوظف أستاذ كرسي بجامعة بازل ، علاقات وصداقات من نفس المدينة : المؤرخ جاكوب بوركارت J.Burckhart وعالم اللاهوت البروتستانتي فرانز أوفربك F.Overbeck .
- الحرب الفرنسية الألمانية ، حيث سيتطوع نيتشه كممرض ، حرب سيحتفظ منها بذكرى رهيبه .
- ميلاد - 1872 ، زيارة جديدة لفاغنر ، الالتقاء بكوزيما فاغنر (زوجته) .
- التراجيديا - كتاب ميلاد التراجيديا .
- ديونيزوس - 1873 ، الأعراض الأولى للمرض : صداع - ألم الرأس .
- 1873-1876 ، كتاب دواعي موسمية ، شتاء 1876 ، عطلة بمدينة سورانتة / إيطاليا ، صحبة فاغنر ، مالفيدا دي مايزنبورغ والدكتور بول ريه .
- نقد نظرية - 1877 ، معاودة الآلام الجسدية .
- الثقافة - 1878 ، فساد العلاقة مع فاغنر
- تصفية - 1879 ، حالته الصحية الرديئة ألزمته طلب رخصة عطلة من الجامعة
- الوضعية. (بازل) .

- كتاب : إنساني مفرط في إنسانيته ،
 - كتاب : حكم وأمثال متنوعة ،
 - الصيف ، عبور منطقة لونغادين ،
 - الشتاء - 79-1880 ، مرحلة انهيار عصبي بمدينة نومبورغ .
 - كتاب : المسافر وظله .
 - 1880 ، مارس الصيف والخريف - أول عطلة بالبندقية/إيطاليا .
 - مدينة مارينباد ونومبورغ/ألمانيا ، شتاء 1880-1881 بمدينة جنوة/إيطاليا .
 - كتاب : فجر .
 1881- الربيع - تحسن حالته الصحية ، بريكوارو (قرب مدينة فيسانس)
 صعبة صديقه وتلميذه بترغاست ، مرة أخرى سقطة ثانية .
 - الصيف عطلة في لونغادين بمدينة سلس ماريا (تجليات كتاب : العودة
 الأبدية) .
 - شتاء 1881 - 1882 إقامة مطولة بمدينة جنوة/إيطاليا ؛ فترة نقاهة ؛ بداية
 كتاب : العلم المرح .
 زرادشت - الربيع ، الإقامة بمسينا ثم روما ، لقاء مع لوسالومي (التي كان يحلم بأن
 ومذهب يجعل منها مريدة ، والتي سيطلبها للزواج ، يُرفض الطلب ، وتصبح Lou
 العودة (صديقة بول ريه) فيها بعد السيدة أندرياس ، وستخصص بعدئذ دراسة
 الأبدية .
 مهمة حول نيتشه) .
 - الصيف والخريف ، بمدينة طوتنبورغ ولايسينغ
 - الشتاء بمدينة رابالو
 - 1883 ، 13 فبراير ، برابالو ، إنهاء الجزء الأول من كتاب هكذا تكلم
 زرادشت يوم وفاة فاغنر بالبندقية .
 مرحلة - الربيع ، بروما ،
 الزرادشتية و - الصيف ، سيلس ماريا : الجزء II من زرادشت
 محاولة التبشير - الخريف بألمانيا ، يطلب تقديم محاضرات بجامعة لايسينغ ، يُرفض
 الطلب ، يعود إلى جنوة .
 الحِكْمِيّ - الشتاء 1883-1884 ، إقامة بمدينة نيس/فرنسا ، الجزء الثالث من كتاب
 : زرادشت . خيبات لعدم الترحيب بالكتاب .
 - 1884 ، الربيع بمدن البندقية ، بال ، زوريخ ثم الرجوع إلى سيلس ماريا
 - آلام رأس فظيعة .

- بداية مرحلة - شتاء 1884-1885، الإقامة بمدينة نيس ومونتون/فرنسا، إنهاء الجزء الرابع
تحول مجموع من : زرادشت (طبع على نفقة المؤلف).
- القيم - 1885، الربيع والصيف، بالبندقية ثم العودة إلى سيلس ماريا/إيطاليا،
الخريف بمدينة مونيخ/ألمانيا، ثم فلورنسا/إيطاليا، فالعودة إلى نيس/
فرنسا، أعمال تحضيرية للكتاب تحول مجموع القيم الذي سينشر بعد
وفاته بعنوان : إرادة القوة.
- 1886، الربيع، إقامة بالبندقية ولايسينغ حيث سيلتقي ب : روده -
كتاب : مقدمات للأثار السالفة.
- الصيف بمدينة سيلس ماريا
- الخريف بمدينة روتا (إيطاليا دائما)
- إعلان الحرب - 1866-1887، بمدينة نيس
ضد الأخلاق - 1887، الربيع بكانوبيو وكوار (لونغادين) - كتاب : ما وراء الخير والشر .
المسيحية - الصيف بسيلس ماريا
والبرجوازية - الخريف بالبندقية
- الشتاء بمدينة نيس، كتاب : جينالوجيا الأخلاق .
- 1888، الربيع، أول إقامة بتورينو، يربط علاقة مع الناقد الدانماركي
جورج براندز الذي سيقدم سلسلة من المحاضرات بكوبنهاغن حول
الفلسفة النيتشوية .
- الصيف، بسيلس ماريا
- الخريف، العودة إلى تورينو، إنتاجية كبيرة بغبطة عارمة .
- الحملة - شتاء 1888 - 1889 كتاب : الحالة فاغنر، أفول الأصنام، المسيح
النهائية ضد - الدجال، وأخيرا هذا الإنسان (ينشر بعد وفاته)
المسيحية
- 1889، يناير، بتورينو، انفجار هذيانه - رسائل لشخصيات مختلفة، لكل
من ستريندبيرغ، وبوركهارت، بتوقيع : ديونيزوس أو المصلوب . انهيار
عصبي . يعاد به من تورينو، من طرف أوفربك إلى مدينة (بازل)، ومن ثم
تأخذه والدته إلى إينا (Iena)، وبها سيُحجز
ديونيزوس والمصلوب
- بمصححة الطب النفسي ليعالج من طرف مويثيوس Moebius .
- 1897- وفاة والدته - تتكفل به أخته (إيلزابيت فويرستر) بمدينة فايار .
- 1900، 25 غشت، وفاة نيتشه .
- الخبيل

ثبت الأعلام والشذرات التي ذكرت فيها

[122]	إبكتيت
[84]	أبولون
[369، 276، 45]	أبيقور
[369، 276، 45]	أجاكس
[80، 75]	أرسطو
[120]	أرسطون دوشيوس
[1]	إشيل
[371، 356، 350، 343، 49، 91، 18]	أفلاطون
[83]	آلسي
[91]	ألفيري
[83]	أشلوخييس
[54]	إلف
[92]	إمرسون (ر. و)
[87]	أورفيوس
[36]	أوغست (الامبراطور)
[358]	أوغسطين (القديس)
[149، 84]	أومبدوكل
[14]	إيروس
[81]	إيفيجيني
[291]	إيكارت
[346]	بترسبورغ (سان)
[103]	بتهوفن
[83]	بروبرس
[98]	بروتوس
[300، 251، 135]	برومتيوس
[395]	بريكليس
[356]	بسارك
[352، 345، 142، 108]	بوذا

[139]	بولس (الحواري)
[360، 77]	لا (جيل)
[77]	يليني
[84]	تربندر
[36]	تير
[83]	ثيوقريط
[250]	جوبيتر
[84]	دامون
[95، 91]	دانتى
[356]	داروين
[97]	دورينغ
[104]	راسين
[312]	رافائيل
[369]	روبنز
[91]	روسو
[80، 77]	روسيني
[70]	روميو
[380، 341]	زرادشت
[372]	سبنسر (هربرت)
[371، 348، 332، 99، 37]	سبينوزا
[95]	ستاندال
[339، 327، 36، 32]	سقراط
[81، 80، 14]	سوفوكليس
[122، 34]	سينيك
[99]	سيغفريد
[95]	سييس
[98]	شكسبير
[369، 356، 151، 146، 127، 99، 97]	شوبنهاور
[95]	شومفور

[329]	طاسيت
[308]	عرميد
[369، 356، 103، 97، 92]	غوته
[370، 368، 99، 97، 80]	فاغنر
[178، 86]	فاوست
[101، 99، 94، 37]	فولتير
[101، 94، 3]	فونتونيل
[350، 149]	فيتاغورس
[83]	فيلات
[98]	قيصر
[99]	كاغليوسترو
[97]	كارلايل
[83]	كاليهاك
[369، 356، 334، 193، 97]	كانط
[314]	كرومويل (أوليفر)
[83]	كورني
[369]	كوندياك
[122]	لاروشفوكو
[99]	لامارك
[92]	لاندور (ر. و)
[356، 353]	لاينتز
[357، 148، 146، 129، 97]	لوثر
[188، 136، 47]	لويس الرابع عشر
[95، 92]	ليولاردي (جياكومو)
[123]	ليون العاشر (البابا)
[82]	مارسيال
[5]	مازني
[86]	مانفريد
[356]	ماينلاندر

[353، 138، 137]	المسيح
[178]	مفتوفيليس
[169]	مورا
[353]	موراف
[216]	موسى
[101]	مونتسكيو
[104، 97]	مونتيني
[95]	ميرابو
[92]	ميريمه (بروسير)
[53]	مينرفا .
[362، 282، 169، 23]	نابليون
[36]	نيرون
[381، 37]	نيوتن
[357]	هارتمان (إدواردفون)
[370]	هافيز
[167، 98]	هاملت
[94]	هلفتيوس
[153، 83]	هوراس
[302، 184، 11، 5]	هوميروس
[357]	هيجل
[370، 357]	هيوم

دليل : عربي / فرنسي

Supra-terrestre	آخريّ
Anthropophagie	أدامة (أكل لحم البشر)
Comprehensibilité	إدراكية
Bienveillance	إرعاء
Vraisemblance	إستلاحة (مشابهة الحق)
Forme	أصل ، (شكل)
Primitivité	أصلية ، (فطرية)
Crampon	أظفورة
Satunnales	أعياد زحل
Millenaire	ألفيّة
Impératif catégorique	أمر مطلق
Homme maternel	إنسان «أمومي»
Noeud (magique)	أنشطة
Passion	إنفعال (هوى ، شغف ، وجد)
Négation	إنكار (نفي)
Mécanique	إوالة (تركيب)
Brasse	باع/أبواع (طول ذراعين)
Moue	برطمة
Misanthropie	بغض البشر
Fonction	تابع
Epidermité	تأدم (من الأدمة)
Atavisme	تأسلية
Andante	تباطؤ
Barbariser (se)	تبربر
Remords	تبكيت الضمير
Impulsion	تحريض ، (اندفاع ، نزوة ، إغراء)

Putréfaction	تدعيص
Différenciation	تخلف
Religiosité	تدين مفرط
Identité	تطابق ، (تماثل)
Incantation	تعزيم
Fixation	تعلف
Mutabilité	تغيرية
Pathos	تفخيم
Dithyrambique	تقريضي
Intermittances	تقلبات
Mimetisme	تقليد (إيمائي)
Représentation	تمثيل (بيان)
Antinomie	تناقض
Enjuiver	تهويد
Inraraibilité	ثباتية
Médire	ثلب
Midi	جنوب
Méridional	جنوبي
Sensualiste	حسوي
Maillon	حلقة
Zèle	حماس
Apôtre (l')	حواري
Sang	حياة (دم)
Exteriorité	خارجانية
Souterraine	دياسية
Durée	ديمومة
Démagogie	وهماءية ، (ديماغوجية)
Progéniture	ذرية
Esprit	ذهن ، (عقل ، روح)
Vieillesse	رثاث
Maladresse	رعونة

Caton	رقيب
Fossoyeur	رمّاس
Ame	روح، (نفس)
Stoïcisme	رواقية
Ascète	زاهد
Ivraie	زؤان
Présomption	زهو
Précurseur	سابق (مبشر، رائد)
Singexie	سعدنة
Toussoter	سَعَوَل
Langueur	سقام
Avortant	سقط
Vénalité	شراء الذهب
Conditionalité	شرطية
Mot metrique	شعار
Forme metrique	شكل بحريّ
Scèpticisme	شكوكية
Valable	صحيح
Devenir (le)	صيرورة
Asthenie	ضعف
Detresse	ضيق
Idiosyerasie	طبع
Libre Nature	طبيعة طلاقة
Nature	طبيعة (مزاج)
Prémises	طلائع
Plebeienisme	عامّة
Improbité	عدم نزاهة
Timonien	عريشيّ
Espièglerie	عفرتة
Foncier	عميق
Imperfection	عيب، (قصور)

Sylvestre	غابية (من غابة)
Coup de main	غارة
Inculture	غمارة
Corruption	فساد
Bon sens	فطرة، (حسن سليم)
Surhumain	فوبشري
Brouillaminie	فوضى
Surnatural	فوطبيعي
Libre Arbitre	قدريّة
Grégaire	قطيعي
Force impulsire	قوة باعثة
Inimiosité	كراهية، (عداوة)
Cynique	كلبيّ
Quantum	كمّ
Sacerdotal	كهنوتي
Illogisme	لامعقولية
Holocauste	محرقة (ذبيحة كبرى)
Phantasmagorie	مخرقة
Adeptes	مريد
Ethos	مزاج شعب
Cilice	مسح
Coup de dé	مغامرة (رمية نرد)
Vert	مغفل
Hécatombes	مئات
Vamprisme	هامويّة
Soins	هموم
Auto idôlatrie	هيام بالذات
Oracle	وحي
Mesure	وزن (شعري)
Patriotradise	وطنجيّة
Prise de conscience	وعي

الفهرس

7	- بهاء اللايقين . . . بمثابة تقديم
49	1- الكتاب الأول
87	2- الكتاب الثاني
121	3- الكتاب الثالث
163	4- الكتاب الرابع
203	5- الكتاب الخامس
251	6- ملحق : أغاني الأمير الخارج عن القانون
267	7- جدول تاريخي مختصر
271	8- ثبت الأعلام والشذرات التي ذكرت فيها
275	9- دليل عربي - فرنسي

تم التصفيف الإلكتروني والطبع
بـ مطابع أفريقيا الشرق
159 مكرر ، شارع يعقوب المنصور - الدار البيضاء -
الهاتف : 25.95.04 / 25.98.13

« هل سبق أن اشتكيننا من كوننا أسيء فهمنا ، أو لم يُتعرّف علينا ، أو لم نُميز من آخرين ، أو أفترى علينا ، أو أسيء سماعنا أو لم نسمع قط؟ هنا بالضبط يكمن نصيبنا . . . أوه! لمدة لاتزال طويلة ! . . . وهنا كذلك سمونا ، لن يكون لنا تقدير كبير لأنفسنا لو أردنا أن يكون نصيبنا بخلاف ذلك . إننا نقر بالغموض - الحقيقة هي أننا نحن أنفسنا في نمو ، نخلع عنا قشوراً بالية ، في تغير دائم ، نكتسب جلداً جديداً كل ربيع ، لانفتاح نصير شباباً أكثر فأكثر ، نصير مستقبلين ، شائخين ، أقوياء ، نغرس جذورنا دائماً بقوة أكبر في الأعماق - في الشر - بينما في الوقت نفسه نعانق السماء دائماً بحب وسعة أكثر ، وبكل أغصاننا ، بكل أوراقنا نمتص ضوءها بتعطش . إننا ننمو مثل الأشجار ، مثل كل ما هو حي ، هذا يستعصي على الفهم (. . .) هنا إذن نصيبنا ، ننمو إلى الأعلى حتى وإن كان ذلك مميتاً لنا - لأننا نسكن قريباً من الصاعقة أكثر فأكثر! - نعماً هو ، فنحن لانحطّ من شرفها بهذا ، ويبقى ذلك هو ما لانريد أن نقتسمه ولا أن نكشفه ، إنه لعنة العلو ، لعنتنا . . . »

نيتشه - الشذرة 373

صمّمت الغلاف الفنانة :

CANDIDA M.P. VIEIRA

(Portugal)

▲ /فريقيا/لشرق

159 مكرر، شارع يعقوب المنصور

الدار البيضاء

25.95.04

25.98.13

ردمك : 4 - 007 - 25 - 9981 - ISBN